نساء صالحات

تأليف
خميس بن السعيد محمد

تقديم

الشيخ: أبو بكر جابر الجزائري

الشيخ: أحمد علاء دعبس

الشيخ: عوض محمد القرني



مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقريظ

بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أقول : لقد ناولني الأستاذ الفاضل خميس السعيد محمد عبد الله ، ناولَني بالمسجد النبويّ الشريف كتابَه الجديد الحديث والمعنوَن له بـ ﴿ وَالَّذِينَ هُم لِفُروجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ، فتصفّحتُه فوجدتُه قد حَوى خمسة أبواب ، في الباب الأول فصل واحد[1] ، وفي الباب الثاني فصلان ، وفي الباب الثالث سبعة فصول ، وفي الباب الرابع تسعة فصول ، وفي الباب الخامس والأخير اثني عشر فصلاً ، ووجدتُ مَراجعهُ في التفسير سبعة تفاسير من مشاهيرها وأصحّها ، كما وجدتُ في الحديث اثنين وثلاثين مرجعاً ، وفي الفقه ثلاثة عشر مصدراً ، وفي الفكر سبعة عشر مرجعاً ، وفي المتفرّقات من هنا وهناك ستة مصادر ، وعليه فمجموع هذا الكتاب ــ أي مجموع مصادرِه التي تألّفَ منها ـ مائة وأربعة مصادر قطعاً وبدون شكّ .

والأمراض التي يعالجها طبّ هذا الكتاب النافع ــ بإذن الله تعالى ــ أُجمِلُها فيما يلي :

١ ـ الأمراض العارضة : وهي السُّفور واختلاط الرجال الأجانب بالنساء الأجنبيات في مجالات عديدة ، وسماع الأغاني وهي أصوات العواهر

---

(١) فصلان .

والمخنثين من الرجال ، ومعارض شاشات التلفاز والصحون الهوائية المختلفة .

٢ ـ الأمراض الفتّاكة : وهي الزّنا ، واللواط ، ومقدماتهما ، والأسباب الداعية إلى فعلهما .

٣ ـ الأمراض العصرية : كاصطلاحات : الحرية والديمقراطية والماركسية واليهوديّة والشيوعية . .

وأخيراً فهذه الأمراض كلها وضَع لها المؤلّف ـ أيّده ا لله ـ أدوية علاجها ، من الدعاء والذكر ، إلى الصلاة والصيام ، إلى العمل بالكتاب والسنّة والاقتداء بصالح الأمّة ، فما تركَ مرضاً خطيراً إلاّ وضع له دواءه الذي يعالج به ، فجزاه ا لله خيراً .

والكلمة الأخيرة في هذا التقريظ الموجز هي : أنّ هذا المؤلّف هو حاجة علماء الأمّة ودُعاتها إلى الإصلاح ، فلاينبغي أن يخلو منه مكتبة علم داعٍ إلى ا لله تعالى .

كتبَ

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

في ١٤١٩/٥/٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد الأوّلين والآخِرين معلّم البشرية وهادي الإنسانيّة سواء السبيل ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـد . .

فإن الاهتمام بسلوك الفرد والجماعة لَمِن أهـم الأمـور الـتي ينبغـي أن تتضافر الجهود حيالها ، إذ تُقاس المجتمعات رُقياً وعدمه برفعة ذلك السلوك وعدمـه .

ولذلك سُرِرتُ غاية السرور ، حين جاء أخـي صـاحب هـذا البحـث يعرضه عليَّ ، وأُبدي فيه رأياً ، وأقَوِّم ما أرى تقويمـه ، وقد قمـتُ بقراءتـه معه قراءةً متفحّصة ، ورأيت أنه جامع في بابه، وقد بذل الباحث فيه جهـداً طيباً في تأليف أجزائه ، وجمع شوارده ، وترتيبها ترتيباً يُغبط عليـه .

وقد علّق الباحث على مـا نَقـل مـن عبـارات سـلفنا الصـالح تعليقـات جيدة نافعة لكل مَن يقرأ ، منبّهة على خطر هذا الموضوع ، وضـرورة تنبُّـه الشيب والشباب إليه ، حتى يتجنّب المجتمـع الوقـوع في الـرّدَى والهلاك ، فأجراس الخطر حولنـا تدقّ معلنةً النّذير مما يَفتح على شـبابنا كـل يـوم مـن

أبواب تتفنّن في تزيين الرّذيلة ، وإظهار الشهوات في ثوبٍ خلاّب برّاق يُغري النفوس الضعيفة بالتعلُّق والسير وراءها دون نظر إلى العاقبة .

وقد تكاتفَت وسائل الإعلام المختلفة على رسم تلك الصورة وصُنع ذلك الواقع الذي يكون ضحيّته في الغالب الشباب الغرّ من البنين والبنات .

وقد عالجَ هذا البحث هذه القضية علاجاً جيداً يعتمد أولاً وآخراً على مصادر منهج الإسلام من الكتاب والسنّة ، وأعلام الأمة من العلماء الذين أفنوا حياتهم في سبيل رفعة الأمّة .

ولم يستورد الباحث أفكاراً ولا حلولاً ممّن لايدينون بدين الحق عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلبَهُ عَنْ ذِكرِنَا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكَانَ أمْرُهُ فُرُطاً ﴾ .

ولاشك أن هذا المنهج في علاج القضايا الإسلامية هو المنهج الأريب الذي لامحيص عنه لكل مَن أراد أن يتصدّى لقضايا الأمّة ، إذ ليس في ديننا ولا منهجه قصور ولا إفراط ولا تفريط ولا خلل حتى نلجأ إلى غيره من المناهج في سدّ عجزه .

وفي ختام هذه الكلمات أهيبُ بكل قارئ لهذا البحث أن يقرأهُ بتأنٍّ واستيعاب ، وأن ينوي بالقراءة وجه الله عز وجل ، ثم تطبيق ذلك في حياته ونشره بين مَن استطاع مِن أقرانه وأقربائه وجيرانه وأصدقائه .

والله وحده المسؤول أن يوفق الباحث في أبحاثٍ قادمة نافعة ، وأن يكتب لهذا البحث القبول عنده ، وأن يجزل له العطاء ، وأن يجنِّبَ قلبه ولسانه وقلَمَهُ الزّلَل .

﴿ رَبَّنا لاَ تُزِغ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحمَةً إنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ ﴾ .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أ . د : أحمد علاء عبد الحميد دعبس
الأستاذ المشارك للفقه المقارن
بكلية التربية للبنات بأبها
الأحد : ٧ / محرّم / ١٤١٩هـ
٣ / مايو / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على مَن وصَفه الله بقوله : ﴿ وَإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وبعد . .

فقد رغب إليَّ الأخ خميس السعيد محمد عبد الله أن أقدّم لكتابه : ﴿ وَالّذين هُم لِفُروجِهِم حَافِظُون ﴾ ، فتصفّحتُ الكتاب على عجل بعد أن كنت قد قرأت مسودته الأولية فوجدتُه يفيض غيرةً على الأمّة وأخلاقها وأعراض رجالها ونسائها ، وينادي فيها بحماسٍ شديد .

إنما الأُمَمُ الأخلاقُ ما بقيَت

فإن هُمُو ذهبَت أخلاقهم ذهبوا

ولا شكّ أن الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم والعفّة والطهارة وحفظ الأعراض إنما هي ثمرات للإيمان الحق والعقيدة الحيّة ، ودلائل على كرامة الأمة وشرفها ونقاء معدنها .

وبالضد من ذلك فإن مرذول الأخلاق واعوجاج السلوك وتدنيس الأعراض واللهاث وراء سعار الشهوات إنما هو مدرجة لضياع الدين وفساد الاعتقاد ومحو شخصية الإنسان وآدميّته ليتحوّل إلى كلب يلهث وحيوان يكدح ليس له قيَم ولا قيمة ولا عزّة ولا كرامة ولا نقاء ولا طهارة ، وإن أمّة هذا حالها لاتستحق أن تعيش في عزّة وإباء وسيادة

وريادة ، بل إنّ سنّة ا لله في الحياة لتحتّم تلاشي مثل هذه الأمة واندثارها ، ولئن أمهلها الحق ـ سبحانه ـ فلن يهملها ولن تفلت من عقابه .

ومن هنا تأتي أهمية مثل هذا الموضوع الذي تطرّق له الأخ المؤلّف ، ولئن خشنَت عبارته في بعض المقامات واشتدّ قلمه في بعض الكلمات فإنما وراء ذلك ـ إن شاء ا لله ـ الحرص على أمّته والخشية على شبابها والحب لهم والرغبة الشديدة في تحذيرهم من كل مايضرهم .

رزقَنا ا لله جميعاً البصيرة في الدين ، والإخلاص في القصد ، والسداد في العمل ، ولا حول ولا قوّة إلاّ با لله .

وكتبَه

د. عوض بن محمد القرني

أبها ـ السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونسترشده ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا ، مَن يهدِه الله فلا مضلّ له ، ومَن يُضلِل فَلا هاديَ له ، وأشهدُ ألاَّ إله إلاّ الله وحده لاشريكَ له ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عَلَيكُمْ رَقيباً ﴾[2] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصلِحْ لَكُم أعمَالَكُم وَيغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظيماً ﴾[3] .

أما بعـــد : ـ

(١) آل عمران : (١٠٢) .

(٢) النســاء : (١) .

(٣) الأحزاب : (٧٠ ، ٧١) .

فإن أحسنَ الكلامِ كلامُ الله سبحانه وتعالى ، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها ، وكلَّ مُحدثةٍ بِدعَة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[1] .

وبعد . .

" لقد طغَت شهوة الفرج اليوم على كثير من الناس طُغياناً ليس فوقه طغيان ، وأصبح سلطانها على أفراده شيباً وشباباً لا يُدانيه سُلطان ، حتى إنه لَيُخيّل إلى بعضهم أن فاحشة الزنا سهلة والعياذ بالله ، وأن مغازلة النساء والخلوة بهنّ مُباحة ! نسأل الله العافية .

يدلّك على ذلك ما تشاهده من الرجال والنساء ، فترى الرجال قد حلقوا لحاهم وألهبُوا الأصباغ في وجناتهم وتعرّضوا للنساء في الطرق قد خلعوا سربال الحياء ! . .

وترى المرأة تستعد استعداداً تاماً إذا أرادت الخروج من بيتها ، فتتزيّن بأنواع الزينة من لباس برّاق وشفّاف ، ومن حُليّ يلمع لمعاناً يأخذ بالأبصار ومن تعطُّر بما تهزأ رائحته برائحة المسك ، ومن أدهان تدهن به وجهَها وأطرافها وحاجبيها وشفتيها ، ومن آله تفرق بها رأسها ليصير لامعاً كثيراً وبذلك تنقلب فتنة للناظرين بعد أن كانت قبل ذلك تشق على العيون

(١) مسلم : كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٨٦٨) ، نووي (١٥٧/٦) .

رؤيتها وعلى الآذان سماع صوتها ، ويُفرّ من شهابتها وقُبح هيئتها التي كانت تتقدّم بها لزوجها في البيت "[1] .

وكل هذه المهازل وغيرها المستوردة من دول الكُفر والإلحاد جاءَت إلينا واردة ، فاستقبلَها أُناسٌ سلخ ا لله من قلوبهم الإيمان والحياء ، فزيّنوها بزينة أملاَها عليهم إبليس اللعين ، وحبّبَها إلى نفوسهم .

شهوات مسعورة لاتعرف رباً ولا ديناً ، مفلوتة الزّمام لاتعرف معنى للشرف والكرامة والفضيلة ! . .

فهؤلاء المنافقون الذين هُم من جِلدتنا ، سيتحمّلون كل هذه الأوزار والآثام التي انتشرَت بسبب تأجيجهم لهذه الشهوات التي كانت آمنة مطمئنّة ، فلما أن تطلّعَت إلى هذه الفِتَن فارَت وثارَت شهوتها ، وانزلق كثيرٌ وكثير وراء هذه الشهوات .

فهؤلاء الذّين أصَّلُوا هذه الفتن في بلاد الإسلام عليهم وِزرهم وَوِزر مَن تَبِعَهُم إلى يوم القيامة من دون أن يُنقَصَ من أوزارهم شيء .

فياترى متى ينتبه هؤلاء ويصحون من سَكرتِهم ؟! متى يقفون أمام طُغيان هذه الشهوة ـ شهوة الفرج ـ التي جاء على إثر ترك زمامها كل هذه البلايا .

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان : (٢٦٦/٤ ، ٢٦٧) .

لو أمعَنَ كلٌّ منَا النظرَ في معظم ما أصاب الأمّة في أبنائها لَكانت هـذه الشهوة الشاردة عن الصواب هي السبب المباشر لضياع كثير من الشــباب الذين يُفترض لهم أن يحملوا ألْوية هذا الدين وينصبونها في بلادهم أولاً ثـم في بلاد هؤلاء الكفّـار الذيـن زرعـوا في كـل ميـدان مـن ميـادين المسـلمين رايات ورايات !! . . ويـا لَلعـار أن تجـد لِرَايـات هـؤلاء الملاحـدة في بـلاد المسلمين أنصاراً لها يدعون إليها ويذبُّون عنهـا .

رحم ا لله أقواماً كانت شهواتهم مصونـة بقال ا لله وقـال الرّسـول ﷺ أمّا اليوم فإلى ا لله المُشتكى من غُربــة هـذا الديـن ، فـوا للهِ لـو خرجْـتَ إلى الشارع وتجوّلْتَ ببصرِكَ هنـا وهنـاك ، لوجـدْتَ مـا يـذرف الدَّمـع ويفـتّ الكبد من حال شباب وفتيات الإسلام هذا في الشــارع ! ، أمّـا إن دخلْـتَ إلى الأسواق ، وعاينتَ ببصرك الفاسقات والفُسّاق لَســالَ الدمـعُ وارتجـف القلب وأشفق الإنســان أن يُـنزل ا لله نِقمتَـه ويعـمّ عذابـه وهلاكـه للنـاس كافّـة !! .

نظرات جريئـة بـلا قيـود ولا حـدود ولا حيـاء ، نظـرات فاتنـة تحـرّك شهوةَ مَن لا شهوة له ، هذه تُبالغ في إظهـار مفاتنهـا بحيـل إبليسيــة قـذرة منحطّة ، وذاك يترصّدهـا بتخنُّـث بـالغ الميوعـة ، هــذا يعــاكس وهــذه تستجيب !! . .

لذلك . . ما أكثر مَن يذهب إلى أماكن الازدحام المشبوه لكـي يـروي مايظنّ أنه ريّ ، ولكن سرعان مايصبح أسيراً لشهوة عارمة مُخزية ، تـترك وراءها العار والفضيحة في الدنيا ، والنّدم والخُذلان في الآخرة ! .

ما أكثر الأفلام المدمّرة ، منها ما هو علانية ، ومنهـا مـا يُوزَّع خلسـةً من وراء أبصار البشر ، ونَسُوا وتغافلوا بصر ربٍّ البشر .

مجلاّت خليعة ، خُلع منها كل شرف وفضيلة ، واندسّ فيها كل هـوىً ورذيلة ، ومع ذلك مـاأكثر انتشـارها ورواجهـا بصـورة تدعـو إلى الخـوف والذُّعر من ثمارهـا .

البثّ المباشر وغير المباشر ، والنظر بتفحُّص لمـا يحتويـه هـذا البـثّ مـن برامج مركّزة لأهداف معيّنة واضحة ، ويا لَلخجل ! كل ذلـك علـى المـلأ ومرأى الأبصار .

شـهوة قـد شـابها الـذلّ والعـار مـن شـبقها الطليـق في وحـل الدّنَـس والفجور ، شهوة قد وجدَت تنفيساً لها ومخرجاً في وقت تكميم الأفواه التي تدعو إلى نبذ كل هذا الانحلال ، والتنكيـل بكـل مَـن يدعـو إلى نبـذ هـذا الانحطاط البهيمي بكل ألوانه .

شـهوة قـد أقلقَـت مضـاجع البيـوت الآمنـة خوفـاً مـن تسـلُّق هـؤلاء المخمورين الضائعين جُدر بيوتها .

شهوة مسعورة تُرك حبلها على الغارب حتى صارت تركل أصحابها في كل وادٍ سحيق ، وتلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة .

شهوة تأجّجَت واشتد سعيرها من جرّاء هذه الدعوة السافرة على شواطئ البحار الذهبية ، وتحت الشّماسي المشبوهة ، وفوق الأمواج المتلألئة الساحرة تشقُّ عُباب الرمال الهادئة تحت وهج الشمس والنسمات الدافئة على مرأى العيون الجامدة والقلوب السوداء المتنكّسة .

إن كانت هذه الشهوات قد تناثرَت والْتحمَت على شواطئ الكفّار فلا ذنب أعظم من الكفر ، أمّا أن نستوردها ونروّج لها سوقها في بلاد المسلمين وعلى شواطئ المسلمين . فهذا شيء لايقرّه شرع ولا عقل لمسلمٍ ولا فِطرة ناصعة غير ملوّثة .

" وقد ساقَت كثرة الانحرافات الجنسية وشيوعها بعض البلاد المنتسبة إلى الإسلام إلى إباحة الزنا في قوانينها ، وتنظيم عملية البغاء والسماح بفتح دور للدّعارة المنظمة ، إلى جانب الترخيص بفتح الملاهي والمراقص ، بل إن الفوضى الجنسية العارمة أدّت إلى ظهور الشّذوذ الجنسي بصورة جديدة ومنظّمة وقوية ، مما جعل قضية الضلال الجنسي باكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء مشكلة خطيرة تُنذر بالانقراض وانتشار أمراض جديدة فتّاكة لا علاج لها "[1] .

---

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة : ص (٤٥٢) .

ومن أجل هذا وذاك ، كان هذا المجهود المتواضع ، محاولةً منّي في سدّ هذه الثّغرة التي اتّسعَت شيئاً فَشيئاً ، حتى صارت من أخطر الفجوات على الإسلام وأهله .

وقد حاولتُ جهدي ألاَّ أضع في هذا العمل حديثاً عن رسول الله ﷺ إلاّ وقد ثبتَت صحّته أو حسنه عند علماء هذا الشأن ممّن تلقّتهُم الأمّة بالقبول ، سواء أكان ذلك من الحُفّاظ المتقدّمين ، أو رجال الحديث في عصرنا كالشيخ العلاّمة الألباني ـ حفظه الله ـ وأكثرتُ في نقل تخريجه بارك الله فيه ، وأفسحَ اللهُ في عُمرِه .

واقتصرتُ على الصحيح والحسن ، حتّى أثبتُ لإخواننا أن في الصحيح غُنيةً عن الحديث الضعيف مهما كان .

" فالكتاب والسنّة الصحيحة منهج حياة للأفراد والمجتمعات يتكفّلان بالسعادة الدنيوية والأُخروية ، والإعراض عنهما سبب للشقاء في الدنيا والآخرة "[1] .

ولقد ميّزتُ بين قولي والمنقول أن جعلتُ المنقول داخل تنصيص ". ." هكذا ، كما هو معلوم .

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق : ص (٧) .

فيا أيّها الناظر في جمعي هذا ، لك غُنمه ، وعليَّ غُرمه ، لك صفوُه وعليَّ كدرُه ، ولا تنسَ أخاك من دعوةٍ صادقة في جوف ليلٍ أو وقت إجابة .

وأسأل الله العون والسداد ، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه تعالى ، هذا وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده ،وما كان فيه من زلَل فمن نفسي والشيطان ، وأسأله ـ جلَّ وعلا ـ أن يغفر لي ، ويتجاوز عن ذنبي ، إنّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله ربّ العالمين .

خميس بن السعيد محمد عبد الله

الباب الأول

جذور البلاء

تمهيد :

كانت الحياة قبل مبعث الرسول ﷺ يسودها الجهل والبغي والظلم ، كانت مستنقعاً من الخرافات والأباطيل ، لايعرفون الله حق المعرفة ، وهذا بالنسبة للعرب ، الذين كانت فيهم بقايا خير ممزوجة بالكفر والفسوق والعصيان ، فالخير الذي كان عندهم لايعدو أن يكون عادات متوارَثة من أجل الفخر والخُيَلاء والسُّمعة .

أما باقي أهل الأرض دون العرب كانوا أشرّ مَن يمشي على الأرض ، فناهيك عن الفساد الذي يحيون فيه من إلحاد وكفر وفسوق ، والحديث هنا ليس مختصاً بهؤلاء ، إنما الحديث عن أرض الإسلام ومهبط الوحي .

فـ " كان الشِّرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة ، كانوا يعتقدون في الله أنه إلهٌ أعظم ، خالق الأكوان ، ومدبّر السموات والأرض ، ولكن ما كانت حوصلة فكرهم الجاهلي تسَع توحيد الأنبياء في خلوصه وصفائه .

وكان للعرب ـ شأن كل أمّة مشركة في كل زمان ومكان ـ آلهة شتّى من الملائكة والجنّ والكواكب ، وكان جمهورهم يُنكر ذلك " الميعاد " لايصدّق بالمعاد ولا يقول بالجزاء .

فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصّلة ، وأسبابها فاشية ، فكان شرب الخمر واسع الشيوع ، شديد الرّسوخ فيهم ، وكان أهل الحجاز ــ العرب واليهود ـ يتعاطون الرّبا ، وكان فاشياً فيهم .

ولم يكن الزنا نادراً ، وكان غير مُستنكَر استنكاراً شديداً ، فكان من العادات أن يتّخذ الرجل خَليلات ويتّخذ النساء أخلاّء بدون عقد "[1] اهـ .

وبالجملة فقد كان الفساد قائماً على قدَمٍ وساق ، وكان الشرّ أصل الحياة في بلاد العرب نتيجة الجهل والخرافات والأساطير .

فلم يكن في هذه الجاهلية الزّخماء[2] شيءٌ مُستقبَح ، كانت عبادة الأهواء لهم طبيعة غير مُستنكَرة ولا منبوذة .

وكما مُلئَت الأرض ظلماً وجَوراً وفساداً ، مُلئَت نوراً ورحمةً وعدلاً وإيماناً ، وذلك بمبعَث النبيّ المُنتظَر محمد ﷺ .

فلاقَى رسول الله ﷺ في سبيل الدعوة ما لاقى ، إلى أن نشرَ رسالة التوحيد ، وأعاد الناس من عبادة العِباد إلى عِبادة ربّ العباد .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص (٧٧ ـ ٨٥) بتصرّف شديد .

(٢) الزخماء : المُنتِنة (القاموس المحيط / ١٤٤٣) .

وانتشرَت الرسالة المحمّدية في ربوع الأرض ، ودخل الناس في دين ا لله أفواجاً ، وخالَط الإيمان قلوب هؤلاء القوم ، فعاشوا بدين ا لله أطهر قلوباً وأزكى أرواحاً من ذي قبل ، وصارت قافلة الدعوة بعده ﷺ تنشر النور والهداية في أصقاع الدنيا ، وعاش الناس في ظل الإسلام بِطُهرِهِ وأمنِهِ وعدله ورحمته ردحاً من الزمن أقوى وأصلب مايكونوا ، رُهباناً بالليل ، أُسُوداً وفرساناً بالنهار ، فلم تجرُؤ أي قوة آنذاك أن تُناهض الإسلام وفرسانه ، وصار الإسلام منارة العالم ، لم تَنَل منه أيدي الأعداء ، وظل متماسك الأركان ، ينشر الفضيلة ويدحر الرّذيلة كلّها بشموخٍ وعزٍّ وأنفة .

ومضَت الدّهور الطويلة ، وبدأ المسلمون يتفلّتون ويحيدون عن النهج والصراط الذي رسمه لهم رسول ا لله ﷺ ، وظهرت الأخبار التي أخبر بها رسول ا لله ﷺ مثل فلَق الصبح كائنة كما قال ، فظهرَت الفتن والقلاقل والأحزاب تنبثق من صفوف المسلمين يوم أن حادوا عن الطريق القويم ، وتحقّقَت سنّة ا لله ـ عز وجل ـ في خلقه أظهر ما تكون ، وتكالَب الناس على الدنيا التي كان يخافها رسول ا لله ﷺ علينا ، وغيّروا وبدّلوا ، وعضّوا على الدنيا بالنواجذِ ، وجعلوا دين ا لله وراء ظهورهم غير عابئين ولا نادمين .

عنـدئذٍ نال منهم أعداء الإسلام ما عجـزوا عنـه بـالأمس ، وتحـالفت الأحقاد السـوداء علـى ديـن ا لله ـ عـز وجـل ـ وأضحـوا يبذلـون الغـالي والرخيـص في سـبيل إطفـاء نـور ا لله وإزاحـة كـل مـا يقـف في طريقهـم ، وتفنّنوا في أساليب المواجهة الحاقدة المستعرة .

وفي خِضَمّ هذه الموجة العنيفـة والفتن الثقيلة ، انـبرَت الطائفـة الناجيـة والفِرقة المنصورة تُنافح عن دين ا لله مكائدَ أعداء ا لله ، تحذّر منهم وتفضح خططهم وخداعهم ومكرهم .

واشتعلت الغيرة علـى الديـن في قلـوب هـذه الطائفـة المؤمنـة الصـابرة المحتسبة ، وظهـرَت حركـات شـابّة تحمـل أرواحهـا علـى أكفّهـا في سـبيل إرجاع المسلمين من هذا التّيه المُخيـف إلى ديـن ا لله الحنيـف ، وتحمّلَـت في سبيل ذلك جميـع أسـاليب القمـع ، فلـم تنفـع مـع هـذه الحركـات المؤمنـة إرجاف المُرجفين ، ولا كيد الكائدين ، فكـثرَت الدمـاء وتنـاثرَت الأشـلاء وسقط الشهداء ، وتكالَب عليهم الأعداء ، وطال منهم السـفهاء ، وقـابل المؤمنون العاملون هذا البلاء وهم صابرون مُحتسِبون .

وما زالت الحرب بيننا وبين أعداء ا لله حتى ننال إحدى الحُسـنيين إمّـا إرجاع المسلمين إلى دينهـم ، وإمّـا الصـبر والجلَـد لفضـح أسـرار الأعـداء وكشف عوارهم ما كادوا الإسلام وأهله ، حتى يرجع الناس إلى دين ربّهم أو نذهب إلى ا لله كما ذهب مَن قبلَنا في سبيل ذلك .

وإلى أن يعود المسلمون إلى دينهم وتعاليمه السامية ، ستظلّ تُنصَب لهم الفِخاخ ، وتُهيّأ لهم الشِّباك ما داموا شاردين عن الحق ، وستظلّ هذه الفئة الناجية المنصورة تنازِل أعداء الله الذين يريدون إبعاد المسلمين عن دينهم .

فلا ريبَ بعد ذلك أن تظهر المكائد التي تريد أن تنال من الإسلام ، منها ما هو علني صريح ، ومنها مايقدَّم في قوالب النصح ودواعي التقدّم والرقيّ والحضارة ! .

فلا ريب أن تتمخّض من هذه الاستلابية التي يعيشها المسلمون هذه الجذور الأفّاكة الخدّاعة التي تستهدف شباب المسلمين ، يوم أن علمت أن مصدر القوة فيه إن عادَ إلى دينه .

وكان من مظاهر هذا الإعداد الدّؤوب والسعي المستمر لتدمير شباب المسلمين أن ظهرَت هذه الطائفة الكبيرة من الشباب الذي يعيش حالة من الخواء الروحي والبُعد عن دين الله تعالى ، والانغماس في وحل الرّذيلة وبحور الشهوات ، فمنهم مَن استمرأ اللّذة ومات فيه الألم ، ومنهم مَن يبكي وينوح مُشفقاً على نفسه من عذاب الله ، ويتمنّى الرجوع إلى الله ولكن لايدري أين الطريق ، فإلى هذا الصنف الثاني كان هذا الكتاب ، وكان هذا الاستنفار على جذور البلاء خذلهم الله ! .

الفصل الأول

مذاهب هدَّامة

تمهيد :

وهذه المذاهب الهدّامة تعتبر هي أُولى جذور البلاء بعد بُعد المسلمين عن دين ربّهم ، عندما علمَ أعداء الدين أن المسلمين تميَّعُوا في الْتزامهم بدينهم ، أيقنوا أن دورهم في النِّزال الحقيقي قد جاء ، وأن الفرصة التي كانوا يتحيّنونها قد أصبحَت في أيديهم ، مع أنهم يعلمون يقيناً أنه في صفوف المسلمين أُناساً لن يتركوهم ودورهم الخبيث في تدمير شباب المسلمين الذين هم ـ بعون ا لله ـ القوة الطاحنة لكل مَن أراد بديننا سوءاً ، علمَ هؤلاء الأعداء أن في دين الإسلام أُناساً يَفدونه بأرواحهم ، ولكنهم مع ذلك لم يحزنوا كثيراً لأنهم اليوم قلّة قليلة عمّا كان في الأمس ، ففي الأمس لو أعلنوها حرباً لَوجدوا النساء والأطفال يعلنونها حرباً مع الرجال ، أما اليوم فقد صار المسلمون كالغنَم الشاردة في الليلة الباردة ، وأصبح افتراس كل منهم على حده من الأمر الميسور جداً ، وإلى أن يجتمعوا مثل ما كانوا على قلب رجلٍ واحد ، فعندئذٍ ستتولّى هذه المذاهب التي تتربّص بأبناء المسلمين إلى غير رجعة .

مذاهب متباينة ومتغايرة في أساليب كيدها ، إلاّ أنهم يجتمعون في أنهم ضُلاّل يريدون إضلال المسلمين وإخراجهم من دينهم إلى غياهِب الظلمات وإلى تِيه الفجور والخلاعة .

مذاهب كثيرة ، وأسماء غريبة ، وفِرَق دخيلة ، ونِحَل متلوّنة ، كلها اجتمعَت على شيءٍ واحد ألاَ وهو الكيد لهذا الدين ، واجتماعهم لتدمير أخلاق الشباب ، هو سلسلة من هذه الحلقات المتصلة لإطفاء نور الله ، وهم يعلمون أن الله متمٌّ نورهِ ولو كرهوا ، نعم ، فإن الله متمّ نوره ولو كره هؤلاء الكافرون الملحدون ، ولو كره أيضاً مُنافقُونا ومُرجِفُونا الّذين هُم من جِلدَتِنا ويتكلّمون بألسنتنا .

وسوف أقتصر ـ إن شاء الله ـ في هذا الفصل على أشهر هذه المذاهب الهدّامة وأكثرها ذيوعاً ، وأشدّها سمّاً ، وأكثرها خطراً ، وذلك باختصار شديد وإيجازٍ هادف لموضوعنا لا غير .

العلمانيـَّة

تعريف العلمانية الجوهري الحقيقي هو :

" الّلا دينيـة أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين "[1] .

يقول محمد قطب حفظه ا لله :

" وهكذا يتضح أنه لاعلاقة للكلمة بالعلم ، إنما علاقتها قائمة بالدين علـى أساس سلبي ، أي على أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة "[2] .

وقال حفظه ا لله عن تأثير هذا المذهب الهدّام في الأخلاق :

" ربّما لم يكن هناك مجال تأثّر بالعلمانية بقدر ما تأثّرَت الأخلاق ، ذلك أن الدين هو المنبع الطبيعي للأخلاق ، فإذا جُفّف هـذا المنبـع أو جـفّ بسـبب من الأسباب فلابد أن يتبعه حتماً انهيار تدريجي في الأخلاق ينتهي إلى الّـلا أخلاق "[3] .

ثم بيّن ـ حفظه ا لله ـ معاول هدمهم للأخلاق مـن الناحيـة الجنسـية أن أصبح الجنس عند هؤلاء : " مسألة [بيولوجية] لا علاقة لها بـالأخلاق ، أي مسألة ذكر وأُنثى يجري بينهما مايجري بين الذكر والأنثى . . بلا قيـود ولا أخلاق ولا ضبط ولا تصعيد . . وكـانت الحمـأة الدّنسـة الـتي تـردَّت

(١) الموسوعة الميسّرة : (٣٦٧ ـ ٣٧٠) بتصرّف .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة : (٤٤٥) .

(٣) مذاهب فكرية معاصرة : (٤٨٣) .

فيها البشرية ، وكان السّعار الجنسي المجنون الذي لايشبع ولا يرتوي ولا يضيق "[1] .

ومن هذه الأفكار العدوانية الحيوانية التي تتبنّاها العلمانية وتريد من الجميع أن يعتنقوها وينافحوا عنها ، والتي من خلالها يجعلون أتباعهم عبيد الأهواء والشهوات أنهم :" يُنكرون وجود ا لله أصلاً ، ويدعون إلى :

ـ إقامة حاجز سميك بين عالَمي الروح والمادة ، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية .

ـ فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادّي .

ـ نشر الإباحيّة والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة "[2] .

وقد انتشرَت هذه الجُرثومة الفتّاكة في مصر والهند والجزائر وتونس والمغرب وتركيا والعراق والشام ومعظم إفريقيا وإندونيسيا ، وكذا معظم بلاد جنوب شرقي آسيا علمانية ، وكذلك انتشرَت الأحزاب العلمانية في معظم البلاد كما في الموسوعة .

---

(١) المرجع السابق : (٤٨٧) .

(٢) الموسوعة الميسّرة : (٣٦٧ ـ ٣٧٠) بتصرّف .

الشيوعيـَّة

الشيوعية هي :

" مذهب فكري يقوم علـى الإلحـاد ، وأنّ المـادة هـي أسـاس كـل شـيء ، ويفسِّر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي "[1] .

يقول المفكّر الإسلامي محمد قطب حفظه الله :

" وأما أخلاق الشيوعية فلندعهم يصفونها بأقلامهم ، يقول إنجلز : وهكذا فإننا نرفض كل محاولة لإلزامنـا بأيـة عقيـدة أخلاقيـة مهمـا كـانت ، علـى اعتبارها شريعة أخلاقية أبدية نهائية وثابتة أبداً .

ويقول : إن الأخلاق التي نؤمنُ بها هي كــل عمـل يـؤدي إلى انتصـار مبادئنا ، مهما كان هذا العمل مُنافياً للأخلاق المعمول بها .

ويقول لينين : إذا لم يكن المناضل الشيوعي قـادراً علـى علـى أن يغـيّر أخلاقه وسـلوكه وفقـاً للظـروف مهمـا تطلّـب ذلـك مـن كـذب وتضليـل وخداع فإنه لن يكون مناضلاً ثورياً حقيقياً . . "[2] .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله :

---

(١) الموسوعة الميسّرة : (٣٠٩) .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة : (٢٩٧ ، ٣٠١) .

" ويكفي أن نقول في إيجاز : أن دعوتهم ـ أي الشيوعية ـ تنزل بالنوع البشري إلى الحيوانية ، لأنها تهمل الجانب الروحي في الإنسان الذي هو به إنسان ، وتخاطب الجانب المادي منه الذي يستوي فيه مع الحيوان "[١] .

ويقول المستشار الدكتور علي جريشة :

" ما تُشيِعُه الشيوعية من فوضى اجتماعية تتم تحت ستار إزالة الفوارق بين الطبقات ، ويتم معها إزالة القيم الاجتماعية لتحل صور الانحلال والحيوانية التي تغذّيها الشيوعية وتحرص عليها لتلهي الناس وتغرقهم في مستنقع الغريزة الآسِن ، فلقد وصلَت في مجال علاقات الرجال بالنساء حداً حيوانياً فاق ما وصلَت إليه بعض دول الغرب تحت اسم التحرّر "[٢] اهـ .

ومن أفكار ومعتقدات الشيوعية :

" إنكار وجود الله ، وكل الغيبيّات ، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء ، وشعارهم : نؤمن بثلاثة : ماركس ، وستالين ، ولينين ، ونكفر بثلاثة : الله ، الدين ، الملكية الخاصة . عليهم من الله مايستحقّون .

ـ يقولون بأن الأخلاق نسبية ، وهي انعكاس لآلة الإنتاج .

ـ تنكر الروابط الأسرية ، وبالتالي لابد أن تحل محلها الفوضى الجنسية .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية : (٢٠٩) .

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة : (١٦٧) .

ـ يهدمون المساجد ويحوّلونها إلى دور ترفيه "[1] .

وما مِن بلد فيها حزب أو تيّار لهذا الفكر ، إلاّ وتجد الفوضى الجنسية شائعة في كثير من مظاهر الحياة في هذا البلد ، والسبب في ذلك هو هذا التيار الجارف ، الذي وجد أرضاً خصبة يترعرع فيها وينمو كلّما اتسعَت الهوّة بين الإسلام والمسلمين .

(١) الموسوعة الميسّرة في المذاهب والأديان المعاصرة : (٣١٠ ـ ٣١٣) بتصرّف .

الماسُونيـّة

" الماسونية لغةً معناها : البنّاؤون الأحرار ، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرّية إرهابية غامضة مُحكمة التنظيم ، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم ، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد "(١) .

وهذه الطائفة من أخطر المنظمات التي عَرفت كيف تسخّر المرأة في صالح أهدافها الخبيثة .

يقول الدكتور عبد الرحمن عميرة :

" الحقيقة أن الماسونية تعرف قيمة المرأة لا كزوجة وأم وأُخت وربّة بيت ، لأن هذا لم يخطر لها على البال ، وإنما تعرف قيمتها في تحقيق الكثير من أهدافها ، أهدافها الهدّامة للأخلاق وللمُثل ولكل ما تعارفت البشرية عليه أنه خير وحق .

إن المرأة عند الماسونية سلاح قويّ يقرّب الأغراض ، ويقنع الرجال ويلوي أعناقهم ، ويلغي عقولهم ، ويجعلهم جنوداً مخلصين لخدمة أغراض الماسونية العالمية وتحقيق بنودها .

من هنا كان اهتمام الماسونية بالمرأة ، أو بالجنس على وجه التحديد ، فهيّأت لطلابه أسبابه ، وأقامت له المعابد والمحافل ليجد فيه الشباب والفتيات متعتهم وتحقيق شهواتهم .

---

(١) الموسوعة الميسرة : (٤٤٩ ، ٤٥٣) .

والمتصفّح " لتوراتهم " المحرَّفة يجد الجنس هو الطـابع المسـيطر عليهـا ، والذي يشغل الكثير من صفحاتهـا "[1] .

ومن أهداف الماسونية الحقودة الدّنيئـة :

" ـ دعوة الشباب والفتيات إلى الانغماس في حمأة الرذيلة .

ـ مطالبتهم بتعجيل قضاء رغباتهم الجنسية بمجـرد الإحسـاس بهـا ، لا عـن طريق الزواج المشروع ، ولكن بالمشايعة الوقِحَة .

ـ تهوين الأخلاق والمُثل والعفّة والفضيلة ، ومطالبة الجنسين بـالتخلص مـن قيودها "[2] .

وقد انتشرَت في معظم أنحـاء العـالم حتـى أصبـح لهـا " نفـوذ واسـع في العالم من خلال الزعماء الذين اصطادتهم فأصبحوا كالدُّمى في يدهـا ، ولها محافل في معظم أنحاء العـالم تقريبـاً ، وتسـيطر علـى معظـم وسـائل الإعـلام ودور النشر والصحافة في العالم . . "[3] .

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها : (٦٩ ، ٧٢) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الموسوعـة الميسـرة : (٤٤٩ ، ٤٥٣) .

الرأسماليــَّة

" الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية ، يقــوم علـى أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظــة عليهـا ، متوسّعاً في مفهـوم الحريـة ، ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة "[1] .

ويندّد سيد قطب ـ رحمه الله ـ بالآثار التي خلّفتهــا الرأسماليـة في الحيـاة الاجتماعية ، فيقول رحمه الله :

" إنـي أتّهـم . . أتّهـم الأوضـاع الاجتماعيـة القائمـة بأنهـا تفسـد الخُلُـق والضمير ، وتشيع الفساد في المجتمع والدولة ، وتؤدي إلى الانحلال الفردي والقومي .

إن تضخّم الثراء في جانب ، وبـروز الحرمـان في جـانب مـن شأنــه أن يخلق طبقة من الأثرياء الفارغين المتبطّلين ، الذين يجـدون لديهـم وفـرة مـن المال ، ووفرة من الوقت ، ووفرة مــن الطاقـة الجسـدية الـتي لابـد لهـا مـن متصرَّف . والطاقة التي لاتُصرف في العمل ، والـتي لاتشـغلها فكـرة أعلـى من الذّات ، لابد أن تجد لها طريقاً آخر : طريق المتـاع الجسـدي الغليـظ ، والرفاهية المترفة الناعمة ، والموائـد الخُضـر ، والسـباق والسُّـكر والعربـدة والاستهتار .

(1) الموسوعـة الميسـرة : (٢٣١) .

وماذا يصنع أولئك الفتيـان المُرد ، وأولئك الشيوخ المترهّلون ، الذيـن تُجبى إليهم ثمرات الكدّ والعرَق والدماء من جهود الألـوف الجيـاع الحُفـاة العُراة . . ماذا يصنـع أولئـك إلاّ أن يفكّـروا في لذائـذ الحِسّ ، وشـهوات الجسد ، والتّرَف الناعم الرخيص .

وهكذا تتكون حلقة مُفرغة من الشباب الفارغ ، والشيخوخة الآسِنَة ، ومن الرِّق الأبيض والنخاسـة القذرة ، ومن الملَـق الحقـير وفنـاء الشـخصية والانحلال "[1] اهـ .

ويقول المستشار علي جريشة عن آثار الرأسمالية أيضاً :

" أمّا آثارها النفسية والاجتماعية ، فقد أدّت إلى ضعـف الـوازع الدّيـني ، وطُغيان الوازع المادي ، واستغراق حياة الأفـراد في السـعي علـى الـرزق ، وفي المزيد من المادة . . وأخيراً أمـراض الـتّرَف وقمّتهـا الفجـور ، ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أن نُّهلِكَ قَريةً أَمَرْنَا مُترَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَليْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَـا تَدمِيراً ﴾[2][3] .

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية : (١٢ ، ١٣) .

(٢) الإسـراء : (١٦) .

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة : (١٤٢)

الديمقراطيـــة

" الديمقراطية معناها الحرفي (حُكم الشعب) أو حُكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه ، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب ، وتحكم باسم الشعب ، والشعب باختياره الحُرّ يقوم بتنصيب حُكّامه ، وهي تستلزم وتتضمن إعطاء الحريات للناس مثل حرية العقيدة ، حرّية الرأي ، حرية التملُّك ، الحرية الشخصية "[1] .

يقول الشيخ الدكتور سعيد عبد العظيم حفظه الله :

" ففي ظل النظام الديمقراطي أصبح البعض يطعن في الرسالة ويكفر ويرتدّ وينشر المناهج الكفريّة الحزبية في وسط المسلمين تحت شعار حرية الرأي والتعبير . . بل ويزني ويُزنَى به عملاً بالحرية الشخصية ، ولا عُقوبة إذا وقعت الفاحشة بالتراضي بين الرجل والمرأة ، وقد قرأتُ خبراً في جريدة الوفد مُؤدَّاهُ أن فتاة ذهبَت إلى القضاء تشتكي شاباً زنَى بها ، فذهب هو والمحامي وأقرّ بالزنا بها ولكنه قال إنه تم برضاها ، وكأنه كان يجيد الإفلات من القوانين الوضعية ! .

وأصبح الدين أمراً شخصياً ، فالحب والإخاء يكون في سبيل الوطن أو القومية ، وأصبح لافرقَ بين مسلم وكافر ، وكانت الحريات على قدم

(١) الديمقراطيـة في الميزان : (٣١ ، ٧٩ ، ٨٠ بتصرّف) .

المساواة بين الناس جميعاً ، ليس فقط لِمن أراد أن يرقص ويثير الفواحش وينشرها على الملأ ، بل لمن وصَف دين الله بأنه رجعيّ ومتخلّف .

وكأن الإنسان إذا رقَص أو زنَى في النظم الديمقراطية ، فهذه حرية شخصية ، أمّا أن يُطلق لحيته ، أو تتَجلْبَب المرأة فهذه هي الرجعية والتخلّف ولابد من منع اللّحية والنقاب ـ أي الحجاب الكامل ـ .

يقول أحد القادة العرب : " لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحرّرية وتخلّصها من قيود الدين " ، واستجابَت بعض النسوة وخرجَت تهتف وتغنّي [أعطِني حُرّيتي أطلِق يديَّ] ، وأصبح من الكلمات الدارجة على الألسنة قول البعض (كل إنسان حُرّ) وغيرها من الكلمات التي زخرفوا بها الباطل والضلال "[١] اهـ .

---

(١) المرجع السابق .

التغريب

يقول أستاذنا الدكتور سليمان الخطيب حفظه الله :

" والتغريب بالمعنى الخاص الضيق لهذه الكلمة يعني : نبذ الشرق والعرب والإسلام ، واللِّحاق مباشرةً بالمدنية الغربية بكل حسناتها وسيئاتها ، فمنطلقات التغريب تكمن في دعوة التغريبيّين إلى الخروج من الدائرة العربية الإسلامية خروجاً كاملاً أو شبه كامل ، وهذا الخروج يتبلور بصورة خاصة في التبنّي الكامل للقِيَم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمدنية الغربية "(١) .

ويقول أيضاً :

" وقد حمل لواء الدعوة إلى تكريس الثقافة الغربية على المناطق ـ الإسلامية ـ مجموعة من المثقّفين والكُتّاب في العالم العربي ، وهنا تبرُز البراعة الأوربية التي استطاعَت أن تخلق من بين أبناء العالم الإسلامي مَن يدعو إلى التخلّي عن تراثنا وحضارتنا .

وبذلك أصبح أعداء الفكر الإسلامي ، والخصوصية الإسلامية من داخل المجتمع ـ الإسلامي ـ حقيقةً ، لم يعُد ممكناً لأي مُحلّل أن يشكّك في صحتها ، والهدف من تشويه الإسلام إبراز المنطق العكسي بخلق القناعة بالبديل الغربي " (٢) .

---

(١) التغريب والمأزق الحضاري : (١٧ ، ٢٣) .

(٢) المصدر السابق .

وإن مايؤكّد خطورة هذا التيار الهدّام الذي يهدّد الإسلام وليس أبناؤه فقط ، بجرفِهم في ظلمات الغريزة الجنسية ، أنّك تجد أن أعداء الإسلام جميعاً قد تكاتفوا وتعاهدوا على حمل هذه الراية راية التغريب الشامل في كل بقاع الإسلام ، ليس هذا فقط ، بل :

و " نشر المذاهب الهدّامة كالفرويدية ، والداروِنية ، والماركسية ، والقول بتطوّر الأخلاق وبتطور المجتمع ، والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني والتحرّري . . وحملة الانتقاص من الدين ، ومهاجمة القرآن والنبوّة والوحي والتاريخ الإسلامي ، والشكّ في القيم الإسلامية "[1] إلى غير ذلك كثير .

ولقد سار هذا التيار الجارف سيراً عنيفاً في جميع مظاهر الحياة الإسلامية ، حتى قَلّ أن سَلِمَت منه أسرة ، ولم تذُق ويلاته .

---

(١) الموسوعة الميسرة : (١٥٢) .

الحداثــة

قال شيخنا الدكتور عوض القرني حفظه ا لله :

" إن الحداثة في أصلها ونشأتها مذهب فكري وغربي ، وُلد ونشأ في الغرب ، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين .

ولا شك أن الحداثيّين العرب حاولوا بشتّى الطرق والوسائل أن يجدوا لحداثتهم جذوراً في التاريخ الإسلامي ، فما أسعفَهم إلاّ مَن كان على شاكلتهم من كل مُلحِد أو فاسق أو ماجِن "[1] .

ومن دعواهم المارقة من كل شرف وفضيلة وتربُّص بالدين تلك الدعوى التي أبطلها شيخنا الفاضل من أن " الأدب يجب أن يُنظر إليه من الناحية الشكلية والفنية فقط ، بغضّ النظر عمّا يدعو إليه ذلك الأدب من أفكار ، وينادي به من مبادئ وعقائد وأخلاق ، فما دام النص الأدبي عندهم جميلاً من الناحية الفنية ، فلا يضير أن يدعو للإلحاد أو الزنا أو اللواط أو الخمريات أو غير ذلك .

وسنرى ـ بعون ا لله ـ أن هذه المقولة مرفوضة شرعاً وعقلاً ، وأنها وسيلة لحرب الدين والأخلاق ، يتستّر وراءها مَن لاخَلاق له ، وسنرى أن أذواقهم الأدبية فاسدة مُفسدة ، حتى لو سلّمنا بمقولتهم تلك "[2] .

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام : (١٧ ، ٤٧ ، ١٣٣ ، ١٣٥) .

(٢) المصدر السابق .

ثم فنّد الشيخ هذه الشُّبهة ودحَضَها .

وشهد شاهد من أهلها ـ أي الحداثة ـ بعد ما تابَ ورجع إلى ا لله من هذا الطريق المعوجّ فقال :

" إن الحداثة مولود غير طبيعي وإنه وُلد مشوّهاً ، وإنها موجة فاسدة امتطاها البعض لسهولة ركوب هذه الموجة ، بلا ضوابط ولا روابط ، وتحلُّل من القيم والمبادئ ، واتجاه خطير ، وأيدلوجيّات يرفضها كل غيور على دينه وأمّته "[1] .

وتحذّر منها أيضاً بعض الكاتبات الفاضلات فتقول :

" الحداثة من أخطر قضايا الشعر العربي المعاصر ، لأنها أعلنَت الثورة والتمرّد على كل ما هو ديني وإسلامي وأخلاقي "[2] .

ولقد انتشر هذا التيار في معظم بلاد المسلمين اليوم .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المصدر السابق .

الصهيونيّة أو الأفعَى اليهوديّة

" الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله ، واشتُقّت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القُدس ، حيث تطمع الصهيونية أن تشيد فيها ـ مكان المسجد الأقصى ـ هيكل سليمان ، وتقيم مملكة لها تكون القُدس عاصمتها "[1] .

يقول المستشار الدكتور علي جريشة :

" فنرجو ألاّ يكون تكراراً ، أن نقول إن معظم أنواع الانحلال الاجتماعي في العالم عامّةً ، وفي الشرق خاصةً ، وراءها اليهود ، فهُم يحاولون في بلادنا الإسلامية غزوها اجتماعياً ، لنشر الانحلال في مجتمعاتها ، وتعمُّد اليهود التجوّل في شوارع بعض البلاد الإسلامية بأزياء أقرب إلى العُري ، وما يحملون معهم أو قبلهم عند قدومهم من أفلام مثيرة ، كل ذلك وغيره مما ظهرت أصابع اليهود وراءه ، أو ظهرَت علانيةً معه . . يؤكّد الدور الاجتماعي الذي يحاولونه حتى ينزعوا من شعوبنا نخوة الجهاد ويصيبونهم بطراوة الانحلال ! "[2] .

---

(١) الموسوعة الميسرة : (٣٣١) .

(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة : (٢٢٢) .

ومكائد هؤلاء الصّهاينة لإفساد العالم ، وإجلاء الإسلام ومحوه من الوجود ، وإشاعة الانحلال والفوضى الشهوانية بين البشر ، وإفساد المرأة ، وجعلها من أقوى الأسلحة في أيديهم ، وزرع البلبلات والقلاقل ثم سحب فتيلها لإشعال الحروب وتدمير العالم لتحُل لهم السيطرة التي يسعون وراءها ، وغير ذلك من مكائد ، أصبحَت مشهورة ومذخورة في المؤلّفات التي أضحى أصحابها متيقّظين لخطط هؤلاء الكفَرة الفجرة .

ومن هذه الأقوال السافرة عن قلوب سوداء ، تقطُر غيظاً وحقداً على الإسلام وأهله ، وعلى كل مَن ليس بيهوديّ مايلي :

" ـ نحن اليهود لسنا إلاّ سادة العالم ومفسديه ، ومُحرِّكي الفتن فيه وجلاّديه .

ـ تكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بأفكار الحرية التي تسمى التحرّرية ، ومن أجل هذه الفكرة يتخلّى عن بعض سلطته [بروتوكول ١] .

ـ إن السياسة لاتتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع ، وهو لذلك غير راسخ على عرشه [بروتوكول ١] .

ـ إن الغاية تبرّر الوسيلة ، وعلينا ونحن نضع خططنا ألاّ نلتفت إلى ماهو خير وأخلاقي ، بقدر ما نلتفت إلى ماهو ضروري ومفيد [بروتوكول ١] .

- ومن المسيحيين أُناسٌ قد اضلّتهم الخمر وانقلب شُبّانهم مجانين - وكذلك كثير من المسلمين أيضاً وا لله - والمجون المبكّر الذي أغراهم به وكلاؤنا ومعلّمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوت الغنية وكتبتنا ومَن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهوهم . [بروتوكول ١] .

- دعوهم يتمتّعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يُلاقوا يومهم ، ودعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذّات وملاهٍ جديدة ، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية ، دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم . [بروتوكول ٢] .

- لا تتصوّروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشة قد رتّبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد [بروتوكول ٢] .

- لقد خدعْنا الجيل الناشئ من الأمميين - غير اليهود - وجعلناه فاسداً متعفّناً بما علّمناه من مبادئ ونظريات معروفٌ لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقّنون لها ، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة [بروتوكول ٩] "[1] .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون : (٥ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٣٣) .

إلى غير ذلك من بروتوكولاتهم كثير جداً وقفت عليه في هذا الكتـاب ، ومن هنا نعلم " أن اليهود والشيطان وجهان للشرّ والفتنـة ، فالشيطان هـو الوجه الخفيّ ، وهؤلاء اليهود هم الوجه الظاهر ! .

ومَن درَس حياة اليهود لايشكّ لحظة في أنه يرى الشيطان راي العـين ، مُمثّلاً في صورة آدمية ، هي هؤلاء اليهود واحداً واحداً .

هكذا اليهود . . هم حربٌ على الأديان وخصوصاً الإسلام ، ليتحـوّل الناس على أيديهم إلى قطيع من الحيوانات تُساق بالعصا ، وقد تحـوّل كثير من الناس فعلاً إلى ما هو أحطّ من الحيوانات "[1] .

نكتفي بهذا القدر ، ومَن أراد التوسّع فليرجع إلى مظـانّ هـذا الثعلب والذئب المفترس .

---

(١) حقيقـة اليهـود : (١١ ، ١٤) .

الفصل الثاني

ثمرة الانحراف والمذاهب الهدّامة

تمهيد :

وهذا الفصل هو الفروع المولودة من جذور البلاء الهدامة في الفصل السابق ، وهذه المذاهب الهدامة ما استفحلَت وتأصّلَت بين المسلمين إلاّ بانحرافهم عن شرع الله تعالى علماً وعملاً .

فهذا الفصل سنوضح فيه ـ بعون الله تعالى ـ بعض تلك الوسائل التغريبية التي راج سوقها ، بل واعتنقَها أبناء الإسلام الجُهلاء والدُّخَلاء ، حتى صارت تلك الوسائل تُقاد دفّتها بأيدِي مسلمين بارعينَ فاقوا أساتذتهم .

لقد استطاعت هذه المذاهب القذرة وغيرها أن تجنّد كتائب من أبناء المسلمين تحمل رسالتها ، وتوطّد رايتها ، بل وتنافح وتُستشهَد في سبيل إرضاء هذه الآلهة المعبودة من دون الله تعالى .

فتنٌ كقطع الليل المظلم المدلهمّ يركب بعضها بعضاً ، لايدري الإنسان كيف يفر منها ، وهي تلاحقه في كل مكان رغماً عنه ، وأقول رغماً عنه ! أين يذهب الإنسان من تلك القوانين الوضعية التي تُيسِّر له كل أمر يُستحيا منه ، لقد أرغمَت الضرائب الباهظة كثيراً من الناس أن تغلق

محلاّت تجاراتهم ، ويلجأ الكثير منهم إلى التكسُّب بطرق يُندى لها الجبين ، والفضل في ذلك لهذه القوانين ! أين يذهب الإنسان من هذه الأغاني الخليعة التي تقرع سمعك رغماً عنك في المحلاّت والشوارع والسيارات في كثير من البلاد الإسلامية ، وأين يذهب الإنسان من هذه الصور الخليعة بل والعارية التي لم تترك سلعة من السلع ولا دواء من الأدوية ولا شيء من الملبوسات ـ اللّهم إلاّ النّذر القليل ـ إلاّ وقد الْتصقَت عليه صور فاضحات ومُخزيات .

بل حتى الكُتب التي تدعو إلى الإسلام لقد رأيتُ وا للهِ كثيراً منها على غلاف الكتاب صورة فاتنة ، هذه تقرأ القرآن ، وتلك رافعة يديها إلى السماء تدعو بخضوع وخشوع ، وغير ذلك كثير !! . .

حتى إذاعات القرآن الكريم ، لقد وُجد في بعض البلاد أن هذه الإذاعة يشوَّش عليها بالأغاني والموسيقى ، وغير ذلك كثير من تلك الحلقات التي لاتنتهي ، والتي لاينجو منها إلاّ مَن اعتصم با لله تعالى وآمَن برسوله ﷺ وسار على نهج ذلك الدين ، ورضيَ به حاكماً وقاضياً وهادياً ، وانتظم في سلك الصالحين ، وهم في ذلك الزمان وفي سواد الناس قليل ، فرُحماك اللّهم رُحماك ! .

فيا أيّها الشباب الذي تخطّفته هذه الحِيَل والشِّباك اللعينة الخبيثة ، إن الأمر خطير جدّ خطير ، لابد من الاعتصام با لله ، والتسوُّر بدين ا لله لكي تنجو من سهام هؤلاء الغازين .

ويا أهل الإسلام ، لانجاة إلاّ با لله ، حَكِّموا شرع ا لله تعالى في حياتكم واجعلوه لكم دستوراً ومنهاجاً ، وكونوا خير خلَف لخيرِ سلَف ، واعلموا أنه لن يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها .

فهذا الفصل هو الأسباب الطبيعية التي نقطف ثمارها المُرّة جرّاء انحراف المسلمين عن دين ربّهم ، ومسايرتهم لهذه المذاهب الهدامة .

ونستطيع أن نرى بوضوح أن من ثمرة الانحراف عن نهج ا لله والسير وراء أبواق الغرب ، هذه الفوضى الجنسية التي كان من الأسباب الرئيسية لانتشارها هذا التقليد والاتّباع المُخزي لكل ناعِق ينادي بالسير وراء الحضارة الغربية بكل حسناتها وسيّئاتها .

غزو الجريمة والجنس للمجتمع الإسلامي

يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله تعالى :

" تقوم الغارة الجنسية المُثارة الآن في أُفُق الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي على عاملين أساسيّين :

العامل الأول : هو مطمح الصهيونية العالمية في وضع نظام يتمثّل في البروتوكولات ، والذي يركّز تركيزاً شديداً على شباب العالم الإسلامي في محاولة لهدمه وتدميره .

العامل الثاني : هو ماحقّقه لهذا الهدف " فرويد " في مذهبه عن الجنس ومحاولة هدم الحصانة النفسية والجنسية في الدعوة الباطلة باسم الكبت إلى تحطيم قاعدة الاستعلاء عن الفاحشة تحت دعوى تأثيرها ، والدعوة إلى الكشف عن المستور واعتبار العُري عملاً عادياً ، ومحاولة تعليم الشباب ألاَّ يخجل من أعضائه التناسلية ، ولقد أعلن الكُتّاب المتخصّصون في علوم النفس فساد دعاوى الجنس جميعاً ، وسلامة مقرّرات الدين الحق في استعلاء ما لايملك ، ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذينَ لاَ يَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ ﴾[1] .

كما أعلنوا فساد دعوى فرويد في أن الكبت سيصيب صاحبه بأي أثر نفسي أو اجتماعي .

---

(١) النور : (٣٣) .

وقد تبيّن أن كل ما دعا إليه " فرويد " وما اعتبره علماً هو مجموعة من تجاربه مع أكثر من مائة مريض لم يتعدّاها إلى المجتمع الواسع ، وحصَر فيها دراسة جاءت عاجزة عن أن تقدّم الحقائق العلمية .

وهي تجربة لم تكن ذات قيمة علمية حقيقية ، وإنما كان عامل انتشارها وإذاعتها وفرضها على كثير من مناهج التعليم والتربية المطمع الذي وراءها من الأهواء التي تصاحب الدُّعاة إليها الراغبين في تدمير الحصانة النفسية ودفع الشباب إلى الغواية والأهواء والجنس .

ولم يكن الغرض الأساسي الخفيّ واضحاً في هذه الفترة حين كان يدعو سلامه موسى وغيره إلى مذهب فرويد في الثلاثينات ، هذا الغرض الذي ظهر واضحاً اليوم من وراء محاولات صرف الشباب المسلم عن الزواج وإقامة الأسرة الاجتماعية الصحيحة ، ودفع الشباب والفتيات إلى تصريف الطاقة الجنسية خارج الأسرة ، بين عملية الإجهاض وعملية الزواج غير الشرعي ، وزواج الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، على النحو الذي يدعو إليه اليوم فلاسفة السكّان ، وتدمير المجتمع في محاولة لتحديد النسل الذي يُطلق عليه الانفجار السكاني . . "[١] .

---

(١) مجلة المجتمع ـ العدد (١٢٧٨) ـ ٢ شعبان ١٤١٨هـ ، ص (٥٤) .

الفنّ وَدَوْرُه الظّاهر

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى :

" ولقد كان (الفن) بكل مايتصل به من مسرح ومسلسلات ورقص وغناء على النحو الذي نراه اليوم ، مدخلاً لتحقيق الغاية التي يقصد إليها النفوذ الأجنبي المقتحِم .

فقد كان الفنّ أساساً يمثل مدخلاً من مداخل الخير حسبما ذكر النبي ﷺ ، ولكنه سرعان ما تحوّل على أيدي جماعات موجّهة لخدمة أهداف مدمّرة ، إلى عمل معقّد يرمي إلى تدمير الكيان النفسي والوجود الأخلاقي في الإنسان والجماعة ، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك بتزييف التاريخ وإفساد الحقائق .

ومن ثَمّ تطور الفن إلى عمل خطير الأثر ، لخدمة الغايات الاستعمارية والقوى المسيطرة ذات النفوذ ، وأصبحَت المسلسلات والمسرحية عملية صراع ، لاتقدّم الخير إلاّ قليلاً ، ولاتحمل للناس إلاّ الشرّ غالباً والحقد والإباحة ، ومن هنا بدأت غزوة الجريمة والجنس للمجتمع الإسلامي .

هذا فضلاً عمّا تذيعه المسلسلات من حوار هابِط ، يشيع جواً من الصراع ، وينشر أساليب منفردة من الأوصاف ، مما يبعد بُعداً شديداً عن مهمة الفنّ الأصيلة وهي إعلاء الذات الإنسانية عن الأحقاد والإباحيات .

ولا شكّ أن هذا العمل يرمي إلى تدمير القيم الإسلامية والضوابط التي قرّرها الإسلام في نفس الشباب مما يجعله منهاراً ، ليتحقق هدف القوى الزاحفة للسيطرة ، بالإضافة إلى هدف تقليل نسل المسلمين وتدميره ، عن طريق الإجهاض والحرية الجنسية للمراهقين ، ومقولة " فرويد " الخاطئة عن [الكبت] .

كل هذا يجري في مخطط بعيد المدى للسيطرة على العالم ، وعلى الأمّة الإسلامية أساساً "[1] .

---

(١) المرجع السابق ص (٥٤ ، ٥٥) .

ظهر الفسادُ في البَرِّ والبَحر

يقول الأستاذ محمد محمد حسين رحمه الله تعالى :

" رأينا في الفصل السابق صوراً مما طرأ على المجتمع من فساد واضطراب نتيجة لغزو المدنيّة الغربية ، ولم يكن هذا التطور في الواقع مقصوراً على مصر ، فقد شمل كل العالم الإسلامي ، بل لقد شمل الشرق كله .

ومع كل هذه الأدواء التي تفتك بأجسام الناس ، كانت هناك أدواء أخرى تفتك بعقولهم ، وتلوّث كل الغذاء الثقافي الذي تتناوله الأجيال الناشئة ، فانتشرَت الصور العارية في المجلات لعرض الأوضاع المغرية باسم الفن فتارةً هي من معرض رسّام أو مثّال ، وتارةً هي لممثّلة أو راقصة مما يسمّى " نجوم " المسرح أو السينما في هذا البلد أو ذاك ، وتارةً هي أُنموذج ابتدَعه مصمّموا الأزياء الغربيّون ، وتارةً هي صورة لمسابقة في جمال السيقان أو الصدور أو تناسق الأجسام أو ما يسمّونه (ملكات) الجمال .

ثم اقتحَمَ المعاهد الحكومية فدخل مدرسة الفنون الجميلة ـ ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى صوراً مما يحدث هناك في مجال الرسم للنساء العرايا أضربتُ صفحاً عنها لاشتهارها ـ ثم قال : هل يمكن أن يكون ذلك كله إلا صوراً متعددة لمكيدة واحدة ، تأتمر بالقيَم الأخلاقية ، وتستهدف تدمير كيان الشُّبان الذي يتكون منه الجيل القادم .

وصرف الناس مع ذلك كله عن عظائم الأمور إلى الصغائر ، فكثر حديث الصحف والمجلات عن الممثلين والممثلات والمغنّين والمغنّيات والرّاقصين والراقصات ، واحتلّت أخبارهم وأخبارهنّ في أتفه مايخطر على البال أبرز الأماكن في الصحف والمجلاّت ، حتى كأن ا لله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق في الناس طبقة أشرف ولا أحقّ بالرعاية والتقدير من هؤلاء "[1] .

فتوى الشيخ ابن باز عن حكم التلفاز :

قال فضيلة الشيخ العلاّمة ابن باز حفظه ا لله تعالى :

" وأما عن التلفزيون فهو آلة خطيرة وأضرارها كالسينما أو أشدّ ، وقد علمنا عنه من الرسائل المؤلّفة في شأنه ، ومن كلام العارفين به في البلاد العربية وغيرها ، ما يدل على خطورته وكثرة أضراره بالعقيدة والأخلاق وأحوال المجتمع ، وما ذلك إلاّ لِما يُبثّ فيه من تمثيل الأخلاق السافلة ، والمرائي الفاتنة والصور الخليعة وشبه العاريات ، والخُطَب الهدّامة والمقالات الكُفريّة ، والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم ، وتعظيم كُبرائهم وزُعمائهم ، والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم ، والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام ، وتمثيلهم بالصور المنفرة منهم . . . ولا شكّ أن ماكان بهذه المثابة وترتّبَت عليه هذه المفاسد ، يجب منعه والحذر منه ، وسدّ الأبواب المفضية إليه .

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : (٢/٣٣٣ ، ٣٣٤) .

ومَن ظنّ أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ولا يُبثّ فيها إلاّ الصالح العام إذا رُوقبَت فقد أبعدَ النجعة وغلط غلطاً كبيراً ، لأن الرقيب يغفل ، ولأن الغالب على الناس اليوم تقليد الخارج والتأسّي بما يُفعل فيه .

ولأنه قَلَّ أن توجد رقابة تؤدي ما أُسند إليها ، ولا سيّما في هذا العصر الذي مالَ فيه أكثر الناس إلى الباطل ، وإلى مايصده عن الهدى ، والواقع شاهدٌ بذلك كما في الإذاعة والتلفزيون في بعض الجهات ، فكلاهما لم يُراقَب الرقابة الكافية المانعة من أضرارها .

ونسأل الله أن يوفق حكومتنا لِما فيه صلاح الأمّة ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة ، وأن يصلح لها البطانة ، وأن يعينها على إحكام الرقابة على هذه الوسائل حتى لايُبثّ منها إلاّ ماينفع الناس في دينهم ودُنياهم . . إنه جوادٌ كريم "[1] .

---

(١) مجموعة فتاوى ابن باز (٢/٢٢٧) .

نصيحة الحاخام لليهود : بيعوا التلفزيون للعرب !

في مجلة المجتمع وتحت هذا العنوان ذُكر مايلي :

" نصح ثلاثة حاخامات نافذين اليهود ببيع أجهزتهم التلفزيونية إلى العرب لكي يتلقّى هؤلاء تأثيراتها المفسدة .

وكتبت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية الأحد ١٩٨٨/١/٤م أن رسالة توجيهية وُزّعَت في دور العبادة اليهودية ، أن اليهود الذين يتخلّصون من هذا الجهاز الجهنّمي يستحقون الجنّة في آخرتهم و [بركة كبار حُكماء جيلنا] .

وأشارت الرسالة إلى أن هؤلاء الحُكماء هم الحاخامات أوفاديال يوسف ، وإسحاق كادوري ، ويورام إبيرجيل ، وهم من رجال الدين اليهود السفارديم (الشرقيين) المقرّبين من حزب (شاس) الديني .

وأضافت (معاريف) أن الرسالة تتضمّن إعلاناً عن إسرائيلي أبدى استعداده لمساعدة اليهود على بيع أجهزتهم التلفزيونية وجاء في الإعلان :

" نحن مستعدّون للمساعدة في بيع أجهزة التلفزيون إلى العرب لترتد النتانة عليهم . . "[1] .

---

(١) مجلة المجتمع ـ عدد (١٢٨٤) ـ ١٥ رمضان ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨/١/١٣م ـ ص (١٨) .

دور الصحافة في حركة تدمير المرأة
لإشاعة الفوضى الجنسية

قال فضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه ا لله تعالى :

" ويمكن تلخيص عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة في ميادين مختلفة :

أولاً : في مجال الدعوة إلى حرّيتها الزائفة ، وغرس الشعور بـ " القومية النسائية " عن طريق التهليل والتصفيق لكل امرأة وَلِيَت عملاً من الأعمال .

ثانياً : إشاعة جوّ من التبرّج الصارخ ، والتمرّد على الفطرة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئيّة والسينما والمسرح والقصة ، وغيرها .

ثالثاً : تعمل الصحافة جاهدةً لتحقيق هدف خطير ألاَ وهو : دمج الرجولة في الأُنوثة ، وتحويل الأُنوثة إلى رجولة وبالعكس .

رابعاً : دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل ، تحمل في طيّاتها خطراً شديداً ، فإن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة ، والترويج للحرام ، وهدم الأُسَر .

خامساً : تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات الحوادث المخلّة والإغراء بها ، وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية ، تستهدف بذلك أن

تبدو العلاقة المحرّمة في نظر الناس سهلة يسيرة ، بل ومقبولة ، ويحاول بعض الصحافيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعِرض كلها مسائل تافهة لايتمسّك بها إلاّ السُّذّج والبُسَطاء والرجعيّون .

سادساً : ومن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العُرف الإسلامي للمرأة هي رفع قدر الممثّلات والراقصات والمغنيات ، وجعلهنّ مثلاً أعلى للفتاة في أمور الملبس والمأكل والعادات والتقاليد .

سابعاً : ومن ذلك الدعوة إلى إلغاء قوامة الزوج على زوجته . . "[١] .

ثامناً : فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا .

تاسعاً : حملت الصحافة حملات شعواء على العلماء الذين قدّموا حُكم الإسلام في المرأة ، في مواجهة سمومهم وضلالاتهم .

عاشراً : حاولَت الصحافة تصوير الدُّعاة إلى تحرير المرأة بأنهم أنصارها الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل ، والواقع غير ذلك فإن هؤلاء هم أعداؤها الحقيقيّون الذَين يدعونها إلى النار ، ويقودونها إلى الهاوية "[٢] .

---

(١) عودة الحجاب (١/١٣٨ ـ ١٤٢) بتصرّف ، عن الصحافة وأقلام مسمومة .

(٢) المصدر السابق (١/١٤٢) .

الأدب ، الشعر ، القصة ، المسرحية

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله تعالى :

" وانحرَف الشعر والأدب ، فأصبح اسم (الرّومانسية) أو (الرمزية) مظهراً من مظاهر الأنانية والانطواء على النفس ، الذي يورث الهمّ القاتل لكل همّة حيناً ، أو العكوف على الشهوات الصارفة عن كل خير حيناً آخر ، وأصبح في معظمه تعبيراً عن أمراض النفوس وانعكاس المعايير والتنفيس عن الشهوات ، وكأنه قد أصبح من شروط الأدب أن تخرج موضوعاته عن حدود الأدب ، وأن يلتزم التعبير عن جوعه إلى الشهوات . . "[1] .

و " أمّا القصص والمسرحيات فقد كان الهدف من نشرها على نطاق واسع هو تحطيم التقاليد الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلّل الخُلقي . . فقد كانت هذه التقاليد مع كونها خاوية من الروح عقبة ضخمة في سبيل الإفساد الخُلقي الهائل الذي تهدف الصليبية إلى إحداثه في المجتمع الإسلامي .

فالذي تعرضه تلك القصص والمسرحيات لا يزيد على أن يكون علاقات غير مشروعة بين رجل وامرأة أو بين شاب وفتاة ، ويتم هذا في جو " الفنّ " الذي يسبغ على كل شيء جمالاً وجاذبية مهما يكن فيه من

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٣٣٦) .

الشر ، فحين يقرأ الشاب قصة غرامية ـ أو عاطفية كما كانوا يسمّونها ـ يلتقي فيها الفتى والفتاة بعيداً عن أعين الناس ، ويجري بينهما من الكلام والمواقف ما يجري ، مصوَّراً بجاذبية الفن وإغرائه ، فيتمنّى في دخيلة نفسه أن لو كان هو صاحب الموقف أو أن يقع له مثل مايقرأ في القصة أو المسرحية .

ويعلم الشاب جيداً أن مجتمعه المحافظ لايسمح بمثل هذه المواقف التي يقرأ عنها ، ولكنه عندئذٍ يتمنّى أن يجيء يومٌ تتحطّم فيه تقاليد مجتمعه التي تحول بينه وبين " الاستمتاع " على النحو الذي يتم في المجتمعات الأخرى ، التي تحرّرَت من مثل تلك التقاليد .

فإذا جاء اليوم الذي تُحطّم فيه هذه التقاليد بالفعل ـ وقد جاء ـ فلن يكون مثل هذا الفتى من المعارضين ! بل سيكون أول المرحبين . . "[1] .

(١) واقعنا المعاصر : (٢٣٥ ـ ٢٣٧) بتصرّف .

الباب الثاني

الترغيب والترهيب

تمهيد :

إن العبد المسلم لَيشعر بالسعادة الكبرى إذا ما التزمَ بشرع الله – عز وجل - وإن هذا الالتزام يدور بين أمر ونهي ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنهُ فَانتهُوا ﴾[1] ، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط .

إن العبد المسلم المستقيم على شرع الله ، إذا ما ذُكِرَت أمامه الجنّة ورُغّب فيها ألقى الدنيا وتبعاتها من فوق ظهره ، وهرع إلى رب العالمين ليلحق بركب السائرين إلى الله ، ولو أردنا أن نذكر أمثلة على ذلك لطال الحديث ، وكذلك المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، إذا ما ذُكرَت أمامه جهنّم بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقّومها انهمرَت دموعه وارتجف قلبه وطال حُزنه ، وأشفق على نفسه ، فلا تجده بعد ذلك إلاّ صائماً قائماً .

---

(١) الحشر : (٧) .

وهذه هي الثمرة الحقيقية للترغيب والترهيب ، أن يُساق الإنسان إلى رب العالمين ـ جل وعلا ـ بمواعظ الخوف والرجاء .

واعلم أيها المسلم أن القلب الذي يتأثر بذكر الجنة والنار ، والترغيب والترهيب عموماً ، وينقاد بذلك إلى طريق الاستقامة ، هو القلب الذي سكن الإيمان شغاف[1] قلبه ، فسرعان ماينقاد هذا القلب إلى ا لله تعالى إذا ما ذُكّر ، ومن هنا نعرف السر الحقيقي في عزوف كثير من البشر عن سُبل الاستقامة الكاملة حسب الطاقة الحقيقية للإنسان ، ذلك لأن القلوب قد امتُلِئَت بحب الدنيا وشهواتها ، وركَن الإنسان إلى هذه الحياة الزائلة ، فإذا ما خُوِّف أو رُغِّب ليلحق بقوافل السائرين إلى ا لله تعالى ، وجَد مئات المثبّطات التي ارتضاها لنفسه وعاش في دائرتها ، ولا يكفي لنجاة هذا الصنف دمعات عابرة ، أو زفرات طائرة ، أو تأوُّه أجوف ، لأنه سرعان ما يمر هذا الشعور الإيماني مرور الطيف في وهج الظهيرة ، بل لابد من عودة كاملة إلى ا لله تعالى ، ليتحقق للإنسان السمع والطاعة بكل حب وامتثال .

---

(١) الشغاف : غلاف القلب ، أو حجابه ، أو سويداؤه ، (القاموس : ١٠١٦) .

الفصل الأول

فضل مَن حفظ فرجه خوفاً من الله عز وجل

تمهيد :

كم يرتاح الإنسان نفسياً ، ويطمئنّ قلبه إذا ما وقع بصره فجأة على ما يثير كوامن الغريزة فيصرف الإنسان بصره ابتغاء مرضاة الله ، إن الذي يصرف بصره عن كل منظر محرّم من صورة فاتنة أو امرأة متبرّجة ، أو منظر لايليق أن يُنظر إليه ، يجد حلاوة الإيمان حقيقةً ويشعر بها في قلبه ، ويعتزّ بدينه الذي رفعه هذه الرِّفعة ونزّهه هذه النّزاهة ، وجعله طاهراً باطناً وظاهراً .

إن العبد المسلم النظيف الحييّ العفيف ، تجده في منعَةٍ مِن ربّه ، يصرف الله ـ عز وجل ـ عنه البلاء صغيره وكبيره ، ويقيه مَواطن الهلاك أيّاً كانت ، ويحفظه من الشائعات والشُّبَه التي يتلوّث بها الفُسّاق .

وتجده في منعة من الناس ، فلايقذفه إنسان ، ولايتّهمه آخر ، ويستأمنه القاصي والداني على أي شيء ، فهو في الدنيا من أشرف الناس ، وفي الآخرة ـ إن شاء الله ـ في أعلى الدرجات .

فضل مَن حفظ فرجه
من كتاب الله تعالى

قال تعالى :

﴿ قُل للمؤمنِينَ يَغُضُّوا مِن أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذلكَ أزْكَى لَهُمْ إنَّ الله خَبيرٌ بِمَا يَصنَعُونَ . وَقُلْ لِلمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أبصَارِهِنَّ وَيَحفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إلى الله جَميعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ ﴾[١] .

قال السعدي رحمه الله :

" فإن مَن حفظ فرجه وبصره ، طَهُرَ من الخبث الذي يتدنّس به أهل الفواحش ، وزكَت أعماله ، بسبب ترك المحرّم الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه ، فمن ترَك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه ، ومن غضّ بصره أنار الله بصيرته .

ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدّماته ، مع دواعي الشهوة ، كان حفظه لغيره أبلغ ، ولهذا سمّاه الله حفظاً ، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه ، وعمل الأسباب الموجبة لِحفظه لم ينحَفِظ ، كذلك البصر والفرج ، إن لم يجتهد العبد في حفظهما أوقعاهُ في بلايا ومِحَن "[٢] .

---

(١) النور : (٣٠ - ٣١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٥١٥) .

وقال تعالى :﴿ وَالّذينَ هُم لِفُرُوجِهمْ حَافِظُونَ . إلاّ عَلَى أزْوَاجِهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ أولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾[1] ، وقال تعالى :

﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائرَ مَاتُنهَونَ عَنهُ نُكفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلْكُم مُدخَلاً كَرِيماً ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ قد أفلحَ المؤمنونَ . الّذينَ هُم في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالّذينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعرِضُونَ . وَالّذينَ هُم للزّكَاةِ فَاعِلُونَ . والّذينَ هُم لِفُروجِهِمْ حَافِظُونَ . إلاَّ عَلى أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا ملَكَتْ أيمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتغَى وَرَاءَ ذَلك فَأولئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الّذينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى :

﴿ وَالحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ ا للهَ كَثيراً وَالذَّاكِرات أعَدَّ ا للهُ لَهُم مَغفِرَةً وَأجْراً عَظيماً ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَأمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النّفسَ عَنِ الهَوَى . فَإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾[5] .

---

(١) المعارج (٢٩ ـ ٣٥) .

(٢) النساء (٣١) .

(٣) المؤمنون (٥ ـ ١١) .

(٤) الأحزاب (٣٥) .

(٥) النازعات (٤٠ ـ ٤١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنا وَصَدَّقَت بِكلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ ﴾[2] .

---

(١) الرحمن (٤٦) .

(٢) التحريم (١٢) .

فضل مَن حفظَ فرجه
من حديث رسول الله ﷺ

عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال : " مَن يضمن لي ما بينَ لحييه وما بين رِجلَيْه أضمنُ له الجنّة "[1] . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " قال ابن بطال : دلّ الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه ، فمن وُقيَ شرّهما وُقيَ أعظم الشر "[2] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " سبعةٌ يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلاّ ظلُّه : الإمام العادل . . . " الحديث ، وفيه : " ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله . . "[3] .

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر ، فدخلوا في جبل فانحطّت عليهم صخرة ، قال : فقال بعضهم لبعض : ادعُوا الله بأفضل عمل عملتموه ، فقال أحدهم . . الحديث ، وفيه : " وقال الآخر : اللهمّ إن كنتَ تعلم إني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء ، فقالت : لاتنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيتُ فيها حتى جمعتها ، فلما قعدْتُ بين

(١) البخاري : كتاب الرقاق : باب حفظ اللسان ، رقم (٦٤٧٤) - الفتح (٣٧٢/١١) .

(٢) فتح الباري (٣٧٥/١١) .

(٣) البخاري : كتاب الأذان ، باب مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، رقم (٦٦٠) ، الفتح (١٨٢/٢) .

رجليها قالت : اتَّقِ الله ولا تفضّ الخاتم إلاّ بحقه ، فقمتُ وتركتها ، فإن كنت تعلم أنّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا فُرجة ، قال : ففُرج عنهم الثلثين . . " الحديث[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

" وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربّه ، وقد شهد الله لِمن كان ذلك بأن له الجنة حيث قال : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوَى . فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾[2] ، وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذّهب الذي أعطاه للمرأة ، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدّى ، ولا سيّما وقد قال إنها كانت ابنة عمّه فتكون فيه صلة رحم أيضاً ، وقد تقدّم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى "[3] اهـ .

(١) البخاري : كتاب البيوع ، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضيَ ، رقم (٢٢١٥) ، الفتح (٤/٥١٤) .
(٢) النازعات (٤٠ ـ ٤١) .
(٣) فتح الباري (٦/٦٣٤) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا صلّت المرأة خمسَها ، وصامَت شهرها ، وحصَّنَت فرجها ، وأطاعت بَعلها ، دخلَت من أي أبواب الجنّة شاءَت "(١) .

وعن عُبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " اضمَنُوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدُقوا إذا حدّثتُم ، وأوفوا إذا وعدتُم ، وأدّوا إذا اؤْتُمِنتُم ، واحفظوا فرُوجَكُم ، وغضّوا أبصاركم ، وكُفّوا أيديَكُم "(٢) .

---

(١) حسن : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (١٦٦١) ، وحسّنهُ الألباني في آداب الزفاف (٢٨٦) ، وحسّنه كذلك الشيخ علي بن محمد المغربي في الصحيح المسند من فضائل الأعمال (٣٩٠/٢) .

(٢) حسن : رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الوديعة ، باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات رقم (١٢٦٩١) ، ورواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٢٦٥٦) ، وقال الشيخ حمزة أحمد الزين : إسناده صحيح ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠١٨) ، والصحيحة رقم (١٤٧٠) .

عفّة يوسف ـ عليه السلام ـ قُدوة تُحتَذَى

قال تعالى :

﴿ وَرَاوِدَتْهُ الّتي هُوَ في بيتِهَا عَن نفسِهِ وَغلّقَتِ الأبْوَابَ وَقالَت هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ الله إِنَّهُ رَبِّي أحسَنَ مَثْوايَ إنَّهُ لايُفلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ . . إلى قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجنُ أحَبُّ إليَّ مِمّا يَدعُونَني إليهِ . . ﴾[1] .

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى :

" وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن يوسف الصدّيق ﷺ من العَفاف أعظم مايكون ، فإن الدّاعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره ، فإنه ﷺ كان شاباً ، والشباب مركب الشهوة ، وكان عزَباً ليس عنده ما يعوّضه ، وكان غريباً عن أهله ووطنه ، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحيي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرّبَ زال هذا المانع ، وكان في صورة المملوك والعبد لايأنف مما يأنف منه الحر ، وكانت المرأة ذات منصب وجمال ، والداعي مع ذلك أقوى من داعي مَن ليس كذلك ، وكانت هي المطالِبة فيزول بذلك كلفة تعرّض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة ، وزادَت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي تزول معها ظنّ الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره ، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لاتناله العيون ، وزادَت

(١) يوسف (٢٣ ـ ٣٣) .

مع ذلك تغليق الأبواب لتـأمن هجـوم الداخـل علـى بغتـة ، وأتتـه بالرغبـة والرهبة ، ومع هذا كله فعفَّ لله ولم يُطِعها ، وقدّم حق ا لله وحـق سيدهـا على ذلك كله ، وهذا أمر لو ابتُليَ به سـواه لم يُعلَـم كيـف كـانت تكـون حاله "[1] .

وقال العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي رحمه ا لله تعالى :

" قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ همَّت بِـهِ وَهَـمَّ بهَـا لَـولاَ أن رَّأَى بُرهَـانَ رَبِّـه ﴾[2] ظاهر هذه الآية الكريمة قد يُفهم منه أن يوسف ـ عليه وعلـى نبيّنـا الصـلاة والسلام ـ همَّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همّـت هـي بـه منـه ، ولكـن القرآن العظيم بيّـنَ براءتـه ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ مـن الوقـوع فيمـا لاينبغي ، حيث بيّن شهادة كلّ مَن له تعلُّق بالمسألة ببراءتـه ، وشـهادة ا لله له بذلك واعتراف إبليس بـه ، أمـا الذيـن هـم تعلُّـق بتلـك الواقعـة فهـم : يوسف والمرأة وزوجها ، والنسوة ، والشهود .

أما حزم يوسف ـ عليه السلام ـ بأنه بـريء مـن تلـك المعصيـة فذكـره تعالى في قوله : ﴿ هِـيَ راوَدَتْنِـي عَـن نَفسِـي ﴾[3] ، وقولـه : ﴿ قَـالَ رَبِّ السِّجنُ أحبُّ إليَّ مّما يَدعُونَني إِلَيْهِ ﴾[4] ، وأما اعـتراف المـرأة بذلـك ففـي

---

(١) روضـة المحبّين : ص (٢٧٣) .

(٢) يوسـف (٢٤) .

(٣ ـ ٤) يوسف (٢٦ ، ٣٣) .

قولها للنسوة : ﴿ وَلَقَدْ رَاودتُهُ عَن نفسِهِ فَاسْتَعصَم ﴾[1] ، وقولها : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أنَا رَاودتُهُ عَن نَفْسِهِ وَإنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] ، وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله : ﴿ قَالَ إنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أعْرِضْ عَن هَذا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إنَّكِ كُنتِ مِنَ الخَاطِئِينَ ﴾[3] ، وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن أهلِهَا إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهُوَ مِن الكَاذِبِينَ ﴾[4] ، وأما شهادة الله ـ جلّ وعلا ـ ببراءته ففي قوله : ﴿ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنهُ السُّوءَ وَالفَحْشَاءَ إنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ ﴾[5] .

(١) يوسف (٣٢) .
(٢) يوسف (٥١) .
(٣) يوسف (٢٨) .
(٤) يوسف (٢٦) .
(٥) يوسف (٢٤) .

الأمْـرُ بالعِفّـة

قال تعالى :

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذينَ لاَيَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّى يُغنيَهُمُ ا للهُ مِنْ فَضلِهِ ﴾[1] .

قال السعدي رحمه ا لله :

" هذا حُكم العاجز عن النكاح أمره ا لله أن يستعفف ، أي : أن يكُفّ عن المحرّم ، ويفعل الأسباب التي تكفّه عنه ، ومَن صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه ، ويفعل أيضاً كما قال النبي ﷺ : " يا معشَرَ الشبابِ مَن استطاعَ مِنكُم البَاءةَ فَليتزوَّج ، ومَن لم يستطِع فعليهِ بالصّوم فإنّه له وجاء "[2] .

﴿ حتّى يُغنيَهُمُ ا للهُ مِن فَضلِه ﴾ وعدٌ للمستعفِف أن ا لله سيُغنيه ويُيَسِّر له أمره ، وأمرٌ له بانتظار الفرَج لئلاّ يشقّ عليه ما هو فيه "[3] .

وقال الزمخشري رحمه ا لله :

" ﴿ وَلْيَستعفِف ﴾ وليجتهد في العِفّة وظلف النفس ، كأن المُستعِفّ طالبٌ من نفسه العفَاف وحاملها عليه ، ﴿ لاَيَجِدُونَ نِكاحاً ﴾ أي استطاعة تزوُّج ، ويجوز أن يُراد بالنكاح ما يُنكح به من المال ، ﴿ حَتّى

---

(١) النـور (٣٣) .

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء ا لله صـ٢٦١

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٥١٦) .

يُغنِيَهُم الله مِن فضلِه ﴾ ترجيـةٌ للمستعفّين وتقدمةٌ ، ووعدٌ بالتفضّل عليهم بالغنى ليكـون انتظـار ذلـك وتأميلـه لُطفـاً لهـم في اسـتعفافهم وربطـاً علـى قلوبهم ، وما أحسن مارتّب هذه الأوامر حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويُبعِد من مواقعة المعصية ، وهو غضّ البصر ، ثم بالنكاح الذي يحصـن بـه الدين ويقع بـه الاسـتغناء بـالحلال عـن الحـرام ، ثـم بـالحمل علـى النفـس الأمّارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يُرزَق القدرة عليه "[1] .

---

(١) الكشـــاف (٦٥/٣) .

الفصل الثاني
وَعيدُ مَن لم يَحفظ فَرجَهُ

تمهيد :

ألاَ يكفي وعيداً أن نعلم أن الزنا مـن أعظـم الكبـائر ؟! ثـم ألاَ يكفـي أيضاً أن نعلم أن أمّة لوط ـ عليه السـلام ـ كـانت مـن أشـدّ الأمـم عذابـاً لفَعلتها الشنعاء ، التي ما اقترفهـا قبل ذلك أحدٌ من البشر ؟! .

ألاَ يكفي وعيداً هذه الأمراض المستعصية والمستجدّة ؟! ألاَ يكفي هـذا التهديد والتحذير الذي نقرؤُه صباح مساء في كتاب الله ـ جل وعلا ـ وفي سنّة رسوله ﷺ لِمَن أَتبعَ نفسَـه هواهـا ؟! ألاَ يكفـي أن نعلـم أنـه مـا مِـن بيتٍ كُسِيَ سواداً وفاحَت رائحة هتك عِرضه إلاّ وكـان ربّ هـذه الأسـرة قد ألَمّ بأعراض الناس ، فَأُلِمَّ بعِرض أهل بيتِه وذلك على الغالب ، وهـذا في حقّ مِن لم يتُب من فُحشِه وأصرّ علـى ذنبـه وأطـاع هـواه ، ألاَ يعلـم هـذا العاصي ماله عند الله إذا ما أصـرّ علـى ذنبـه ؟! ألَـم يسـمع بنـارٍ وَقُودهـا الناسُ والحجـارة ؟! ألاَ يعـرف هـذا المخمـور السـكران أنـه بفُجـوره هـذا سيكون حطباً لنار الجحيم ؟! ألاَ يعلم هذا المُسـرِف علـى نفسـه أن المـوت آتيـهِ لا محالـة ، فمـا الـذي سيُجيبُ بـه إن سـأله الله ـ عـز وجـل ـ عـن ذنوبـه ؟! ، ولله دَرُّ مَن قال يخاطب نفسَـه :

ألم يـأن لي يـانفس أن أتنبّهـا	وأن أترك اللّهوَ المضرَّ لِمن لهـا
أرى عملـي للشـرّ مني بشهـوةٍ	ولسـتُ أرومُ الخيرَ إلاّ تكرُّهـا
كفَى بامرئٍ جهلاً إذا كان تابعاً	هواه من الدنيا إلى كل مـا اشتهَى
وفي كـل يومٍ عـبرةٌ بعـد عـبرةٍ	وفي الموتِ ناهٍ للفتى لو هو انتهَى[1]

ـ وصف مَن لم يحفظ فرجه ووعيدُه من كتاب الله عز وجل :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" وأما أهل الفواحش الذين لايحفظون فروجهم فقد وصَفَهـم الله بالسكرة والعمَه والجهالة وعدم العقل وعدم الرُّشد ، والبُغض ، وطمس الأبصار .

هذا مع ما وصفهم به من الخُبث والفُسوق ، والعدوان ، والإسراف ، والسوء ، والفُحش ، والفساد ، والإجرام ، فقال عن قوم لوط :

﴿ بَلْ أنتُم قَومٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ لَعَمْرُكَ إنَّهُم لَفي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3] وقال : ﴿ أَلَيسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾[4] وقال : ﴿ فَطَمَسْنَا أعْيُنَهُمْ ﴾[5] ، وقال : ﴿ بَلْ أنتُمْ قَومٌ مُسْرِفُونَ ﴾[6] ، وقال : ﴿ فَانظُرْ

---

(١) ديوان أبي العتاهية ص (٢٥٠) .

(٢) النمل (٥٩) .

(٣) الحِجر (٧٢) .

(٤) هود (٧٨) .

(٥) القمر (٣٧) .

(٦) الأعراف (٨١) .

كَيفَ كَانَ عاقِبةُ المُجرمِينَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ إنَّهُم كَانُوا قَومَ سَوْءٍ فَاسِقينَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ إنَّكُم لَتَأتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبيلَ وتأتُونَ في نَادِيكُمُ المُنكرَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلى القَومِ المُفسِدِينَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفسُقُونَ ﴾[5] ، وقال : ﴿ مُسوَّمةً عِندَ رَبِّكَ للمُسرِفينَ ﴾[6] . . اهـ . من كلام شيخ الإسلام .

وقال عز وجل : ﴿ وَالّذينَ هُم لِفُرُوجِهم حَافِظُونَ . إلاَّ على أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومينَ . فَمَن ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلك فَأولَئكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[7] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه مِن زنا ولُواط ، لايقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم ، أو ما ملكَت أيمانُهم من السَّراري ، ومَن تعاطَى ما أحلّه الله له فلا لَومَ عليه ولا

---

(1) الأعراف (٨٣) .
(2) الأنبياء (٧٤) .
(3) العنكبوت (٢٩) .
(4) العنكبوت (٣٠) .
(5) العنكبوت (٣٤) .
(6) الذاريات (٣٤) .
(7) المؤمنون (٥ ـ ٧) .

حرج ، ولهذا قال : ﴿ فإنهُم غيرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَراءَ ذلكَ ﴾ أي غير الأزواج والإماء ﴿ فَأُولئكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ أي المُعتَدُون "[١] اهـ .

وقال عز وجل :﴿ قَدْ أفلحَ مَن زَكّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[٢] .

قال السعدي رحمه الله :

" ﴿ وَقَد خَابَ مَن دسَّاهَا ﴾ أي : أخفى نفسه الكريمة ، التي ليست حقيقة بقمعها وإخفائها ، بالتدنُّس بالرّذائل ، والدُّنوّ من العيوب والذنوب ، وترك ما يكملها وينميها ، واستعمال ما يشينها ويدسيها "[٣] إلى غير ذلك من الآيات كثير جداً .

ـ وعيدُ مَن لم يحفظ فرجَه من حديث رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

" ثلاثةٌ لايكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ـ قال أبو معاوية : ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم ، شيخٌ زانٍ وملِكٌ كذّاب وعائلٌ مستكبر "[٤] .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

" إنّ أخوَف ماأخافُ على أُمّتي عَمَلَ قومِ لُوط "[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٨٣) .

(٢) الشمس (٩ ، ١٠) .

(٣) تفسير السعدي (٨٥٦) .

(٤) سيأتي تخريجه إن شاء الله ، صـ٩٧ .

(٥) سيأتي تخريجه إن شاء الله ، صـ١٠٥ .

وعن أبي برزة ـ رضي ا لله عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

" إنّما أخشى عليكم شهوات الغَيّ في بطونكم ، وفُرُوجِكم ، ومُضلاّت الهوى "[1] .

وعن أنسٍ ـ رضي ا لله عنه ـ عن رسول ا لله ﷺ قال :

" وأمّا المُهلِكات : فَشحٌّ مُطاع ، وهوىً مُتّبع ، وإعجاب المرء بنفسِه "[2]

إلى غير ذلك من الأحاديث مما هو مذخور في كُتب السنّة كثير جداً ، فما أكثر الأخبار التي تحذّر من الزنا واللّواط وإتيان البهائم والسِّحاق ، والعادة السرّية ، وإتيان النساء في أدبارهنّ ووقت الحيض والنّفاس ، منها ما هو صريح في التحريم ، ومنها مايندرج تحته هذا التحريم .

ونجد في هذه الأحاديث الترهيب الشديد ، والوعيد الأكيد لِمَن تجرّأَ على مقارفة هذه الفواحش ، تارةً باللّعن ، وتارةَ بالجلد ، وتارةً بالرّجم ، وتارةً بالتعزير ، إلى غير ذلك من الأحكام القاسية والرّادعة ، التي يستحقّها كلُّ مَن بارزَ ا لله تعالى بهذه العظائم من الذنوب .

---

(١) صحيح : رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (١٩٦٦١) وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٤٩) .

(٢) حسن : حسّنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٥٠) .

المتعـة الزّائفـة

يقول ابن الجوزي رحمه الله :

" تذكّرتُ في سبب دخول جهنّم فإذا هو المعاصي ، فنظرتُ في المعاصي فإذا هي حاصلة من طلب اللذات ، فنظرتُ في اللّذات فرأيتها خدعاً ليست بشيء وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصاً فتخرج عن كونها لذّات .

فكيف يتبع العاقل نفسه ويرضى بجهنّم لأجل هذه الأكدار ؟! فمِنَ اللّذات الزِّنَا ، فإن كان المراد إراقة الماء فقد يُراق في حلال ، وإن كان في المعشوق فمُراد النفس دوام البقاء مع المعشوق ، فإذا هي ملكتهُ فالمملوك مملول ، وإن هو قاربَه ساعة ثم فارقَه فحسرة الفراق تربُو على لذّة القرب وإن كان له ولد من الزنا، فالفضيحة الدائمة ، والعقوبة التامة ، وتنكيس الرأس عند الخالق والمخلوق .

وأما الجاهل فيرى لذّته في بلوغ ذلك الغرض ، وينسى ما يُجنَى ممّا يُكدّر عيش الدنيا والآخرة .

فالعجَب ممّن يُؤْثِر لذّة ساعة تجني عقاباً وذهاب جاه ، وعلى هذا فقِس جميع المذوقات ، فإن لذّاتها إذا وُزِنَت بميزان العقل لا تفي بمعشار عشير عواقبها القِباح في الدنيا والآخرة ، ثم هي ليسَت بكثير شيء ، فكيف تُباع الآخرة بمثل هذا ؟! . .

سبحان من أنعَمَ على أقوامٍ كلّما لاحَت لهم لذّة نصبُوا ميزان العقل ونظروا فيما يجني ، وتلمحوا مايؤثر تركها ، فرجّحُوا الأصلح ، وطمَسَ على قلوب فهي ترى الشيء وتنسى جناياته "[1] .

(١) صيد الخاطر : ص (٣٧٥ ـ ٣٧٦) .

الباب الثالث

مِمَّ يُحفَظ الفَرْج ؟!

تمهيد :

يقول فضيلة الدكتور القرضاوي حفظه الله تعالى :

" خلَق الله الإنسانَ لِيستخلفَه في الأرض ويستعمره فيها ، ولن يتم هذا إلاّ إذا بقي هذا النوع ، واستمرّت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبني ويعمّر ، ويؤدي حق الله عليه ، ولكي يتم ذلك ركّب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية ، تسوقه بسلطانها إلى مايضمن بقاءه فرداً ، وبقاءه نوعاً .

والغريزة الجنسية التي بالاستجابة لها يبقى نوعه ، وهي غريزة قوية عاتية في الإنسان ، ومن شأنها أن تطلب متنفَّساً تؤدي فيه دورها ، وتُشبِع نهمها ، وكان لابد للإنسان أن يقف أمامها أحد مواقف ثلاثة :

١ ـ فإمّا أن يطلِقَ لها العنان تسبح أين شاءت وكيف شاءت ، بلا حدود توقفها ، ولا روادع تردعها من دينٍ أو خلُق أو عُرف ، كما هو الشأن في المذاهب الإباحية التي لاتؤمن بالدين ولا بالفضيلة ، وفي هذا الموقف انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان ، وإفساد للفرد والأسرة ، وللجماعة كلها .

٢ ـ وإمّا أن يصادمها ويكبتها ، كما هو الشأن في مذاهب التقشُّف والحرمان والتشاؤم كالمانوية والرهبانية ونحوهما ، وفي هذا الموقف وأدٌ للغريزة ، وتعطيل لعملها ، ومُنافاة لحكمة مَن ركّبها في الإنسان وفطَرَهُ عليها ، ومُصادَمة لسنّة الحياة التي تستخدم هذه الغرائز لتستمر في سيرها .

٣ ـ وإمّا أن يضع لها حدوداً تنطلق في داخلها ، وضِمن إطارها ، دون كبت مرذول ، ولا انطلاق مجنون ، وهذا الموقف هو العدل والوسط ، فلولا شُرِع الزواج ما أدّت الغريزة دورها في استمرار بقاء الإنسان . . ولولا تحريم السِّفاح وإيجاب اختصاص المرأة برجلٍ واحد ما نشأَت الأسرة التي تتكون في ظلالها العواطف الاجتماعية الراقية من مودّة ورحمة وحنان وحُب وإيثار ، ولولا الأسرة مانشأَ المجتمع ، ولا أخَذ طريقه إلى الرُّقيّ والكمال "[1] اهـ .

(١) الحلال والحرام في الإسلام (١٤١ ـ ١٤٢) .

الفصل الأول

حِفظ الفَرج عن الزّنا

تمهيد :

إن الزنا لايعدُو أن يكون لذّة من لذائذ الحياة الآثمة عند هؤلاء النّفر ضِعاف الإيمان ، وساقطي الرُّجولة والشّهامة .

فإن الزاني عندما ينزع عن لقيطته ، ويهجر على خجل فراش عشيقته ، يعاني ويلات هذه الفَعلة القبيحة ، فتصبح معشوقته أبغض الناس إلى قلبه ، وينظر إلى نفسه نظرةَ ازدراء واحتقار ، بل سفَه وجنون ! ويرى أنه أحقر خلق ا لله ، وودَّ لو قُرض ماأوداه إلى هذا المصير بالمقاريض ، ويصبح أسير الخوف والهلع من نظرات الناس أن يكونوا كشفوا أمره ، وتفارقهُ فكرة الزواج خوفاً أن يكون أُلِمّ بعِرضه ما أَلَمَّ بعِرض غيره ، فيصبح أسير الوساوس والقلاقل الحياتية والنفسية فتفارقه الراحة ، ويخلُد في مُستنقعِه الآسِن مرة أخرى .

مع أنه كان المفروض أن يكون هذا الشعور المخيف ، والتأنيب الذريع بداية أو بصيص من الأمل يجلب له الوقوف عند هذا الحد من الانحلال ، والتفكير في التّوبة ، ولكن جزاء السيّئة أُخرى مثلها ، وهذه إحدى العواقب التي يتكردَس بسببها صاحبها في بحار الجحيم .

إن الزّاني فاقد الرجولة والشهامة ، والعزيمة والإرادة ، مُنحطّ الأخلاق ، عديم الحياء ، جبانٌ غالباً كان أو مغلوباً ، حقيرٌ رئيساً كان أو مرؤوساً ، محروم من الهَيبة والوقار ، وضِيع الجانب عظيم العار ، استحقَّ المقت والسّخط والعذاب ، نُزع من قلبه كل شفقة ورحمة ، فهو ذئب متلفّع برداء الشرف وحبّ الناس ، فإذا ما اختلى بفريسته ، داسَ الشرف والعِرض والفضيلة بقدمه ، وتَجَلْبَبَ بالذلّ والمهانة والخِسّة ، حتى صارَ كالكلب الضّاري المسعور ، فإذا ما شبع وثمل وانهدّ ، ذهب مُطأطئ الرأس يجر قدميه كالخنزير المهين الدّنيء الحقير .

والفرق بينه وبين الشريف الحييّ العفيف ، جهادُ ساعة ! فاللّهمَّ احفظنا بحِفظك ، وثبّتنا على طريقك حتى نلقاكَ وأنت راضٍ عنّا .

اللّهمّ آمين .

تَحرِيمُ الزّنَــا

يعرّف الراغب الأصفهاني الزّنا فيقول : " هو وطء المرأة من غير عقد شرعيّ "[1] .

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدعُونَ مَعَ ا للهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلونَ النَّفسَ الّتِي حَرَّمَ ا للهُ إلاَّ بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلك يَلْقَ أثَاماً ﴾[3] .

وقال رسول ا لله ﷺ فيما رواه عنه سلَمة بن قيس :

" ألاَ إنما هي أربع : لاتُشركوا با لله شيئاً ، ولا تقتلوا النّفس التي حرّم ا لله إلاّ بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا "[4] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول ا لله ﷺ : " ثلاثة لايكلّمهم ا لله يوم القيامة ولا يزكّيهم ، قال أبو معاوية : ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم ، شيخٌ زانٍ ، ومَلِك كذّاب ، وعائل مُستكبِر "[5] .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن : ص (٣٨٤) .

(٢) الإسـراء : (٣٢) .

(٣) الفرقـان : (٦٨) .

(٤) صحيح : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (١٨٨٩٠) ، وقال المحقـق : إسناده صحيح ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٠) والصحيحة (١٧٥٩) .

(٥) مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطيّة رقم (١٠٧) ، نووي (١١٥/٢) .

وعن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : قلتُ يارسول الله أيّ الذّنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله نِدّاً وهو خلَقَك " قلتُ : ثم أيّ ؟ قال : " أن تقتل ولَدَك من أجل أن يطعَم معك " قلتُ : ثم أيّ ؟ قال : " أن تُزاني حَليلةَ[1] جارِك "[2].

إذاً فلْيخسَأ دُعاة العُهر والدّعارة إلى غير رجعة ، فهذا هو ديننا الحنيف ، وهذه هي القوانين الإلهيّة تجيء لدَحْض هذه الشُّبَه والافتراءات التي تنبَجِس من قلوب تقطُر حِقداً وحسَداً وغيظاً على الإسلام وأهله ، وهذه هي وصايا مَن لاينطقُ عن الهوى ، ينزّهُنا عن هذه البراثِن المقيتة ، فيا أدعياء الضلالة ، إن الواقع خير شاهدٍ على بُطلان دعاويكُم التحرّرية مِن كل شرف وفضيلة ، فضلاً عن كتاب ربّنا ـ جل وعلا ـ وعن سنّة نبيّنا ﷺ ، فمُوتوا كمَداً وحسرةً مثلما ماتَت مُهاتراتكم كلّما بزَغ الحقُّ ولاحَ .

ـ عُقوبة الزّنا :

سنفرد فيما بعد باباً كاملاً لهذه العقوبات والأضرار التي يحصدها هذا المسكين جرّاء هذه الفواحش الأوابِد[3] القذرة .

(١) ليس معنى هذا أن الزّنا بغير حليلة الجار مشروع ، ولكن الحديث يبيّن أن هذه الصورة من أشنع صور الزّنا .
(٢) البخاري : كتاب الحدود ، باب إثم الزُّناة رقم (٦٨١١) ، الفتح (١٢/١٣٦) .
(٣) الأوابد : الوحشيات ـ مفردات ألفاظ القرآن (٥٩) .

ولكن ممّا يُضاف إلى هذه العقوبات ، الحدود المتعلّقة بهذه الفواحش كلٌّ على حده ، وعقوبة الزنا قرّرها الله ـ سبحانه ـ وشدّدَ في تطبيقها بصورة تدعو إلى الولَه[1] والرعب ، مما يدل على شناعة هذه الكبيرة ، قال تعالى : ﴿ الزَّانيةُ والزَّانِي فَاجلِدُوا كُلَّ وَاحدٍ مِنهُما مائةَ جَلْدةٍ وَلاَ تَأخُذْكُم بِهِمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إن كُنتُمْ تُؤمِنُونَ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُمَا طَائفةٌ مِنَ المُؤمِنينَ ﴾[2] .

يقول سيد قُطب رحمه الله :

" فهي الصّرامة في إقامة الحدود ، وعدم الرأفة في أخذ الفاعلين بجرمهما ، وعدم تعطيل الحدّ أو الترفُّق في إقامته تراخياً في دين الله وحقه ، وإقامته في مشهد عام تحضره طائفة من المؤمنين ، فيكون أوجع وأوقع في نفوس الفاعلين ونفوس المشاهدين .

والإسلام وهو يضع هذه العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفَعلة المستنكَرة الشائنة لم يكن يغفل الدوافع الفِطرية أو يحاربها ، إنما أراد الإسلام محاربة الحيوانية التي لاتفرق بين جسد وجسد ، أو لاتهدف إلى إقامة بيت وإنشاء حياة مشتركة "[3] اهـ .

(١) الولَه : الحزن أو ذهاب العقل حزناً ، والحيرة والخوف ـ القاموس المحيط (١٦٢١) .

(٢) النــور : (٢) .

(٣) في ظلال القرآن (٢٤٨٨ ـ ٢٤٨٩) بتصرّف .

فحدّ الزنا على درجات كما بيّن العلماء ، وليس المقام سرد الأقوال والاختلافات ، ولكنه التنويه بحجم هذه العقوبة الشرعية ، ولعذاب الآخرة لِمن نجا من عقوبة الدنيا ولم يتُب أشدّ وأخزى .

فيالَه من منظر مروّع فظيع ، إذا ما شُدَّت الثياب ، وعلَت السّياط كل مكان في الجسم ؟! تُستلّ الروح مع كل سوط ، ومع كل نظرة شامتة وضحكة ساخرة من صراخك وشكلك المُضحك المُبكي ، أما عند الرّجم فحدِّث ولا حرج عن الموت قبل الموت !! .

ـ حدّ البِكر :

قال تعالى : ﴿ الزّانيةُ وَالزَّاني فَاجلِدُوا كُلَّ وَاحدٍ منهُمَا مائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأخُذْكُم بِهمَا رَأفَةٌ في دِينِ ا للهِ . . ﴾[1] الآية .

والآية صريحة في أن البِكر إذا زنَى فإنه يُجلَد مائة جلدة سواء كان ذلك في الرجال أو النساء .

ـ الجمع بين الجلد والتغريب :

يقول الحافظ ابن كثير رحمه ا لله تعالى :

" فأما إذا كان بِكراً لم يتزوّج فإن حدّه مائة جلدة ـ كما في الآية ـ ويزاد على ذلك أن يُغرّب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء ، وحجّة الجمهور في ذلك حديث أبي هريرة وزيد بن خالد أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي

---

(١) النور (٢) .

ﷺ وهو جالس فقال : يارسول ا الله اقضِ بكتاب ا الله ، فقام خصمه فقال : صدق ، اقضِ له يارسول ا الله بكتاب ا الله ، إنّ ابني كان عسيفاً [(١)] على هذا فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرّجم ، فافتديتُ بمائة من الغنم ووليدة ، ثم سألتُ أهل العلم فزعموا أن ما على ابني جلد مائة وتغريب عام ، فقال ﷺ : " والّذي نفسي بيده لأقضيَنّ بينكما بكتاب ا الله ، أما الغنم والوليدة فردٌّ عليك وعلى ابنِكَ جلد مائة وتغريب عام ، وأما أنت ياأُنيس فاغدُ على امرأة هذا فارجمها ، فغدا أُنيس فرجَمَها " [(٢)].

وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج "[(٣)] .

ـ الرّجم للمُحصَن :

وأما الرّجم فهو مُجمع عليه كما ذكره الشوكاني في " نيل الأوطار " والأحاديث في هذا مشهورة ، وذهب كثير من العلماء إلى أنه يجب الجمع بين الجلد والرّجم ، ذكَر ذلك الشوكاني في نيل الأوطار ، وذكَر الخلاف في ذلك ورجّح الجمع بين الجلد والرجم[(٤)] .

---

(١) عسيفاً : الأجير ـ القاموس (١٠٨٢) .

(٢) البخاري : كتاب الحدود ، باب مَن أمر غير الإمام بإقامة الحد عنه رقم (٦٨٣٥) ، الفتح (١٩٥/١٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٥٢/٣) .

(٤) نيل الوطار (٢٥٤/٧) .

الفصل الثاني

حفظ الفرّج عن اللّواط

تمهيد :

نعوذ با لله العليّ العظيم من الشيطان اللعين الرجيم ، مِن همزهِ ونفخِه ونفثِه ومن كل كيدٍ كادَ به العالَمين .

هذا الشيطان الرجيم مارضِيَ لبني آدم ما أوقعهم فيه من الزنا وسائر ما يجنوه من وراء هذه الكبيرة من فساد الأخلاق وكساد المجتمع من كل شرف وكرامة ، حتى راح يلعب بفريسته كما يلعب الصبيان بالكرة يركله هنا وهناك ، حتى جرَّ هذا المسكين غائب العقل والدين ، منكوس الفِطرة ، مسلوب الإرادة ، أسود الجبين ، إلى هذا الفعل المشين ، حتى يصبح لسائر أسماء الخسّة والوقاحة قمين[1] ، وسوف يعاين يوم الدين صنوف الخزي والعذاب والنكال المهين .

فهو في الدنيا خنزير في صورة آدمي ، ومُخنّث في مسلاخ رجل ، ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تحمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾[2] ، وفي

---

(١) القمين : الخليق الجدير ، القاموس المحيط (١٥٨١) .

(٢) الأعراف (١٧٦) .

الآخرة يُلقَى مع خِدنِـهِ في نار جهنّم ثم يُقال لهم : ﴿ اصْلَوْهَـا فَـاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إنـمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

أهذا الحد وصل الأمر بشـباب المسـلمين ؟! ونحـن خـيرُ أمّـةٍ أُخرجَـت للناس ؟! فياعينُ فَلْتبكي ، ولتذرف الدمع على شباب الإسلام .

فوا للهِ الذي لاإله إلاّ هو لو علِمَ شباب الإسلام قدر المهام التي ضاعَت بضياعهم ، وصدارة الدنيا التي اندثرَت باندثارهم لَرجعوا إلى ربّهم ولأنابوا إلى رشدهم وخالقهم ، ولكن . . وما لجرحٍ بميِّتٍ إيـلام !! .

لقد صدق وا للهِ الوليد بن عبد الملك حين قـال : لـولا أنّ ا لله ـ عـز وجل ـ قصّ علينا خبر قوم لوط ما ظننتُ أن ذكَراً يعلو ذكَراً .

إي وا لله ! فالعقل نفسه لايقبل أن يتخيّل هذه الفاحشة ، فكيف بِمـن يواقعها ؟! أسأل ا لله أن ينزّه عقولنـا وأفعالنا عن كل سوء .

ـ شناعة هذه الجريمة وقُبحها :

قال تعالى : ﴿ وَلُوطاً إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَـأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِـن أحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ . أَئِنَّكُم لَتأتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أنتُمْ قَوْمٌ مُسرِفُونَ ﴾[2] .

---

(١) الطـور (١٦) .

(٢) الأعراف (٨١) .

ولكنهم تمادَوْا في فُحشِهم وغيِّهم فسيمُوا مُـرَّ العذاب الرّهيب ، يقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله : " قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَـا سَافِلَهَا ﴾ أي أمر الله تعالى جـبريل بـأن يقلـع قراهـم مـن أصلهـا فاقتلعها وصعد بها على خافقـة مـن جناحـه إلى أن سمِـعَ أهـل سمـاء الدنيـا أصـوات حيواناتهم ثم قلَبَها بهم .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِـم حِجَـارةً مِـن سِـجِّيلٍ ﴾ أي مـن طـين محـرّق بالنـار ﴿ مَنْضُودٍ ﴾ أي متتابع يتلو بعضه بعضاً ، ﴿ مُسَـوَّمةً ﴾ أي مكتوبـاً علـى كل منها اسم مَـن يصيبـه ، أو مُعلَّمـة بعلامـة يُعلـم بهـا أنهـا ليسـت مـن حجارة الدنيا ، ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي في خزائنه التي لايُتصرّف فيها إلاّ بإذنـه ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّـالِمِينَ بِبَعِيـدٍ ﴾[1] أي ومـا أصحـاب تلـك القـرى مـن الكافرين الظالمين ببعيد ، وقيل : ما هي ببعيد من ظالمي هذه الأمّة إذا فعلوا فعلهم أن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك من العذاب "[2] .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " إنّ أخوَف ماأخاف على أمّتي عمل قوم لوط "[3] .

---

(١) هـود (٨٢ ، ٨٣) .

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبـائر (٢/٧٨٧) .

(٣) حسـن : رواه الترمذي في أبواب الحدود ، باب ماجـاء في حـدّ اللوطـيّ رقـم (١٤٨٢) وقال : حسـنٌ غريب ـ تحفة الأحوذي (١٩/٥) ، والحديث في المسند رقم (١٥٠٣١) ، وقال المحقق : إسناده حسـن ، وحسّنـه الألباني في صحيح ابن ماجـة رقـم (٢٠٩٣) وصحّحـه في صحيح الجامع (١٥٥٢) .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " ملعونٌ مَن سبّ أباه ، ملعونٌ مَن سبّ أمَّه ، ملعونٌ مَن ذبَح لغير الله ، ملعونٌ مَن غيّر تخوم الأرض ، ملعونٌ مَن عمل بعمل قوم لوط "(1) .

ـ مِن أضرار اللُّواط :

قال السيد سابق حفظه الله :

" وهذه الأضرار نذكرها ملخصة من كتاب (الإسلام والطب) للدكتور : محمد وصفي فيما يلي :

ـ الرَّغبة عن المرأة :

من شأن اللواطة أن تصرف الرجل عن المرأة ، وقد يبلغ به الأمر إلى حد العجز عن مباشرتها ، وبذلك تتعطّل أهم وظيفة من وظائف الزواج وهي إيجاد النّسل .

ولو قُدّر لمثل هذا الرجل أن يتزوّج ، فإن زوجته تكون ضحية من الضحايا ، فلا تظفر بالسكن ولا بالمودّة ، ولا بالرحمة التي هي دستور الحياة الزوجية ، فتقضي حياتها معذّبة معلّقة ، لا هي متزوّجة ولا مُطلّقة .

---

(1) صحيح : رواه أحمد في المسند رقم (2916) ، وقال العلاّمة أحمد شاكر : إسناده صحيح ، والحديث في مشكاة المصابيح : كتاب الحدود ـ الفصل الثالث رقم (3583) وهو في صحيح الجامع (5891) .

- التأثير في الأعصاب :

وإن هذه العادة تغزو النفس ، وتؤثر في الأعصاب تأثيراً خاصاً ، أحد نتائجه الإصابة بالانعكاس النفسي في خلُق الفرد ، فيشعر في صميم فؤاده بأنه ما خُلق ليكون رجلاً ، وينقلب الشعور إلى شذوذ ، وبه ينعكس شعور اللاّئط انعكاساً غريباً ، فيشعر بميل إلى بني جنسه ، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية .

ومن هذا تستطيع أن تتبيّن العلّة الحقيقية في إسراف بعض الشُّبّان الساقطين في التزيُّن ، وتقليدهم النساء في وضع المساحيق المختلفة على وجوههم ، ومحاولتهم الظهور بمظهر الجمال بتحمير أصداغهم ، وتزجيج حواجبهم وتثنيهم في مِشيَتِهِم . . إلى غير ذلك مما نشاهده جميعاً في كل مكان ، وتقع عليه أبصارنا في كثير من الأحيان .

ولايقتصر الأمر على إصابة اللائط بالانعكاس النفسي ، بل هناك ما تسببه هذه الفاحشة من إضعاف القوى النفسية الطبيعية في الشخص كذلك ، وما تجعله عُرضة للإصابة بأمراض عصبية شاذّة وعِلل نفسية شائنة ، تُفقِدُه لذّة الحياة ، وتسلبه صفة الإنسانية والرجولة ، فتُحيي فيه لوثات وراثية ، وتظهر عليه آفات عصبية كامنة تُبديها هذه الفاحشة وتدعو إلى تسلّطها عليه .

ـ التأثير على المُخّ :

واللّواط بجانب ذلك يسبب اختلالاً كبيراً في توازن عقل المرء ، وارتباكاً عاماً في تفكيره ، وركوداً غريباً في تصوراته ، وبلاهة واضحة في عقله ، وضعفاً شديداً في إرادته .

وإن ذلك لَيرجع إلى قلّة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغُدّة الدرقية والغُدد فوق الكلى وغيرها ، مما يتأثّر باللواط تأثيراً مباشراً ، فيضطرب عملها ، وتختل وظائفها .

ـ عدم كفاية اللّواط :

اللواط علّة شاذّة وطريقة غير كافية لإشباع العاطفة الجنسية ، وذلك لأنها بعيدة الأصل عن الملامسة الطبيعية ، لاتقوم بإرضاء المجموع العصبي ، شديدة الوطء على الجهاز العضلي ، سيئة التأثير على سائر أجزاء البدَن .

ـ ارتخاء عضلات المستقيم وتمزّقه :

وإنّك إذا نظرتَ إلى اللّواط من ناحية أخرى وجدتَهُ سبباً في تمزّق المستقيم وهتك أنسجته ، وارتخاء عضلاته ، وسقوط بعض أجزائه ، وفقد السيطرة على المواد البرازية ، وعدم استطاعة القبض عليها ، ولذلك تجد الفاسقين دائمي التلوّث بهذه المواد المتعفّنة بحيث تخرج منهم بغير إرادة أو شعور .

ـ علاقة اللواط بالأخلاق :

واللواط لوثة أخلاقية ، ومرض نفسي خطير ، فتجد جميع مَن يتّصفون به سيّئي الخُلق فاسِدي الطِّباع ، لايكادون يميّزون بين الفضائل والرّذائل ، ضعيفي الإرادة ليس لهم وُجدان يؤنّبهم ، ولا ضمير يردعهم ، لايتحرّج أحدهم ولا يردعه رادع نفسي عن السطو على الأطفال والصغار ، واستعمال العُنف والشدّة لإشباع عاطفته الفاسدة ، والتجرُّء على ارتكاب الجرائم التي نسمع عنها كثيراً ونطالع عنها كثيراً ، ونطالع أخبارها في الجرائد السيارة وفي غيرها ، ونجد تفاصيل حوادثها في المحاكم وفي كُتب الطبّ .

ـ اللّواط وعلاقته بالصحة العامّة :

واللواط فوق ماذكَرتُ يُصيب مُقترفيه بضيق الصدر ويرزؤهم بخفقان القلب ، ويتركهم بحال من الضعف العام يعرّضهم للإصابة بشتّى الأمراض ويجعلهم نهبة لمختلف العِلل والأوصاب .

ـ التأثير على أعضاء التناسل :

ويُضعف اللواط كذلك مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم ، ويعمل على القضاء على الحيوية المنوية فيه ، ويؤثر على تركيب مواد المنيّ ، ثم ينتهي الأمر بعد قليل من الزمن بعدم القدرة على إيجاد النسل ، والإصابة بالعُقم ، مما يحكم على اللائطين بالانقراض والزوال .

- التّيفود والدّوسنتاريا :

ونستطيع أن نقول : إن اللواط يسبب بجانب ذلك العَدْوَى بالحُمّى التيفودية والدوسنتاريا وغيرهما من الأمراض الخبيثة التي تُنقَل بطريق التلوّث بالمواد البُرازية بمختلف الجراثيم ، المملوءة بشتّى أسباب العِلل والأمراض .

- أمراض الزِّنَى :

ولا يخفى أن الأمراض التي تنتشر بالزنى يمكن أن تنتشر كذلك بطريق اللواط ، وتصيب أصحابه فتفتك بهم فتكاً ذريعاً ، فتُبلَى أجسامهم ، وتُحصَد أرواحهم .

مّما تقدّم نتبيّن حكمة التشريع الإسلامي في تحريم اللواط ، وتظهر دقّة أحكامه في التنكيل بمُقترفيه ، والأمر بالقضاء عليهم ، وتخليص العالم من شرورهم "[1] .

ومن هنا نعرف خطورة هذه الفاحشة ، وقد أوضح قُبحَ هذه الفَعلة الحافظ ابن حجر فقال :

" لاخلاف بين الأمّة أن اللواط أعظم إثماً من الزنا "[2] .

(١) فقه السنّة (٤١٨/٢ - ٤٢٠) .

(٢) فتح الباري (١٣٩/١٢) .

ـ عقوبـة اللـواط :

عن ابن عباس ـ رضي ا لله عنهما ـ قال : قـال رسـول ا لله ﷺ : " مَـن وَجدتُموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلُوا الفاعل والمفعول به "[1] .

قال الشوكاني :

" وما أحقّ مرتكب هذه الجريمة ومُقارِف هذه الرّذيلة الذّميمـة بـأن يُعـاقَب عقوبة يصير بها عـبرة للمعتـبرين ، ويُعـذَّب تعذيبـاً يكسـر شـهوة الفسَـقة المتمرّدين ، فحقيق بِمَن أتى بفاحشة قومٍ ما سبقهم بها من أحدٍ مِنَ العـالمين أن يَصلَى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابهاً لعقوبتهم ، وقـد خسَف ا لله تعالى بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيّبهم " [2] .

وقال أيضاً رحمه ا لله :

" وقد اختلف أهل العلم في عقوبة الفاعل للواط والمفعول بـه بعـد اتفـاقهم على تحريمه وأنه من الكبائر للأحاديث المتواتـرة في تحريمـه ، ولعْـن فاعلـه ، فذهب مَن تقدّم ذكره من الصحابة إلى أن حدّه القتل ولو كان بِكراً سـواء

---

(١) صحيح : رواه أبو داود في كتاب الحدود باب فيمن عمِلَ عمَل قوم لوط رقـم (٤٤٥٠) ـ عون المعبود (٩٩/١٢) ، ورواه الترمذي : أبواب الحدود ، باب ماجاء في حدّ اللوطي رقـم (١٤٨١) ـ تحفة الأحوذي (١٧/٥) ، والحديث في سنن الدارقطني : كتاب الحـدود والديـات رقم (٣٢٠٧) ، وصحّحـه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٣٥٠) .

(٢) نيل الأوطار (٢٨٧/٧ ـ ٢٨٨) .

كان فاعلاً أو مفعولاً به ، وإليه ذهب الشافعي والناصر والقاسم بن إبراهيم ، واستدلّوا بما ذكره المصنّف وذكرناه في هذا الباب ، وهو بمجموعه ينتهض للاحتجاج به . . وقد حكى صاحب الشفاء إجماع الصحابة على القتل "[1] .

وردّ على مذهب مَن يقول أن حدّ اللواط مثله مثل الزنا يُرجم المُحصن ويُجلد البِكر فقال :

" ويُجاب عن ذلك بأن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصّصة لعموم أدلّة الزنا الفارقة بين البِكر والثيّب على فرض شمولها للّوطيّ ، ومُبطلة للقياس المذكور على فرض عدم الشمول ، لأنه يصير فاسد الاعتبار كما تقرّرَ في الأصول "[2] .

وهذا القول هو مارجّحه العلاّمة بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ فقال :

" عقوبة اللوطيّ القتل بكل حال لدلالة السنّة والإجماع وقاعدة الشريعة المطردة ، وهذا القول هو الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ لقوة أدلّته وسلامة دلالتها على ما سِيقَت من أجله ، ولأن أدلّة المخالفين لاتنهض على مقاومتها .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

وأما صفة القتل ، فإن الذي يظهر لي أيضاً ـ وا لله أعلم ـ هو أن هذا عائدٌ إلى رأي الإمام من القتل بالسيف أو رجماً بالحجارة ونحو ذلك ، حسب مصلحة الرّدع والزّجر ، وا لله أعلم "[1] .

(١) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم (١٨٩) .

الفصل الثالث

حفظ الفرج عن إتيان البَهيمة

تمهيد :

يا سبحان الله ! حتى البهائم لم تسلم من هذا الطوفان الجنسي المحموم ، ما الذي بقي ، وإلى أين سيذهب الشيطان بالإنسان بعد ذلك ، فسُبحانك ربي ! إن هذا لَشرٌّ عظيم !! .

المرأة وضع الله ـ عز وجل ـ بيننا وبينها حواجز شرعية ، مَن تمسّك بها نجا ـ إن شاء الله ـ من الاصطدام بالمرأة في أي محذورٍ شرعيّ .

وكذلك بين الرجال نهانا رسول الله ﷺ أن نصاحب إلاّ مؤمناً ، وألاّ يسافر أحدٌ وحدَه ، وأخبر ﷺ أن الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة رَكبٌ ، وجعل الله ـ عز وجل ـ الاستئذان وفصّلَ أوقاته ، ونهى رسول الله ﷺ عن التشبُّه بالنساء ، إلى غير ذلك من الضوابط المرعية التي تكفل لمن تمسّك بها ـ إن شاء الله ـ أن لايقع في مثل ما وقع فيه قوم لوط .

ولكن ! ما هو الحلّ مع البهائم ، ويا تُرى كيف نلزمها أن تتحفّظ لكي لا تُنتهَك حُرمتها ؟!! .

فيا أيّها الفاحش ، تا للهِ إنه لَهناك يوماً تشيب منه نواصي الأطفال ، لَتنتقِلَنَّ إلى ربِّك رغماً عنك ، ولَتمُرَّنَّ من طريق القبر إلى أرض المحشر إلى

الميزان إلى الصراط لتُحاسَب على فعلك ، ولَتعاينَنَّ عملك يزدريك أمام المظالم ، أَبَى ا لله إلاّ أن يذلّ مَن عصاهُ .

ـ مَن وقعَ على بهيمة فاقتُلوه واقتلُوا البَهيمة :

قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ هُم لِفُروجِهمْ حَافِظُونَ . إلاَّ علَى أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُم فَإنّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلكَ فَأُولَئكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[1] .

وهذه الآية نصٌّ صريح في تحريم هذه الكبيرة ، لأن إتيان البهيمة بلا شكّ من وراء ذلك .

وعن ابن عباس ـ رضي ا لله عنهما ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ :

" مَن أتى بهيمةً فاقتُلوه واقتلوها معه "[2] .

وإن هذا الحد الذي يجب على مَن فعل هذا الفعل الشنيع قد اختُلف فيه كثيراً ، وقد تعدّدَت فيه الأقوال جداً ، ذكَر منها ابن حزم في المحلّى :

---

(١) المؤمنون (٥ ـ ٧) .

(٢) صحيح : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٤٢٠) ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح وتكلّم عليه هناك فليُنظَر ، ورواه البيهقي في السُّنن الكبرى كتاب الحدود باب ماجاء في حدّ اللوطي رقم (١٧٠٢٢) ، ورواه أبو داود في كتاب الحدود باب فيمن أتى بهيمة رقم (٤٤٥٢) ، ورواه الترمذي أبواب الحدود باب ماجاء فيمن يقع على البهيمة رقم (١٤٧٩) تحفة الأحوذي (١٦/٥) ، وصحّحه الألباني وذلك في بحث مفيد جداً في الإرواء (٢٣٤٨) ، وصحّحه أيضاً في صحيح الجامع (٥٩٣٨) .

" قالت طائفة : حدّه حدّ الزاني يُرجم إن أُحصن ، ويُجلد إن لم يُحصن ، وقالت طائفة : يُقتل ولابدّ ، وقالت طائفة : عليه أدنى الحدّين أُحصن أو لم يُحصَن ، وقالت طائفة : عليه الحدّ إلاّ أن تكون البهيمة له ، وقالت طائفة : يُعزّر إن كانت البهيمة له ، وذُبحَت ولم تُؤكل ، وإن كانت لغيره لم تُذبح ، وقالت طائفة : فيها اجتهاد الإمام في العقوبة بالغة ما بلَغَت ، وقالت طائفة : ليس فيه إلاّ التعزير دون الحدّ "[1] اهـ .

إلى غير ذلك من الأقوال . .

ثم أخذ ابن حزم يردّ على هذه الأقوال قولاً قولاً ، وذهب إلى أن الذي يجب على مَن فعل هذا الفعل من حدّ أنه يُعزّر فقال :

" ثم نظرنا في القول الذي لم يبقَ غيره ـ وهو أن عليه التعزير فقط ـ فوجدناه صحيحاً ، لأنه قد أتى منكَراً ، ولا خلاف بين أحد من الأمّة أنه لايحل أن تُؤتَى البهيمة أصلاً ، ففاعل ذلك فاعِل مُنكَر فعليه التعزير "[2] .

ولكنه عندما ناقشَ أصحاب القول الثاني وهم مَن قالوا بالقتل قال :

" لا حُجّة لهم غير ماذكرنا ، وقد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا ضعف هذه الآثار ، ولو صحّت لقُلنا بها ولَجارينا عليها ، ولما حلّ خلافها "[3] .

---

(١) المحلّى بالآثار (١٢/٣٩٧) .

(٢) المصدر السابق (١٢/٣٩٩ ، ٤٠٠) .

(٣) المرجع السابق .

إذن الذي جعل الإمام ابن حزم وغيره يرفض هذا القول هو ضعف الأخبار الواردة فيه ، ولو صحّ فيه حديث لأخذ به كما قال .

وقد صحّ في الباب هذا الحديث المذكور ، مال إلى تصحيحه البيهقيّ ، وصحّحه الألباني والعلاّمة أحمد شاكر كما ذكرتُ ، وناقشوا العِلل التي ضُعّف الحديث بسببها .

وذكر الشوكاني في " نيل الأوطار " :

" والحديث دليل على أنها تُقتل البهيمة ، والعلّة في ذلك ماروى أبو داود والنسائي أنه قيل لابن عباس : ما شأن البهيمة ؟ قال : ما أراه قال ذلك إلاّ أنه يُكره أن يُؤكل لحمها ، وقد عُمل بها ذلك العمل[1] ، وقد تقدّم أن العلّة أن يُقال : هذه التي فُعل بها كذا وكذا ! "[2] .

أليس في ذلك أكبر رادع وزاجر لِمن سوّلَت له نفسه الدنيئة أن ينحطّ إلى هذا المستوى ؟! بلى واللهِ !! .

وقال الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في ترجيحه لهذه المسألة :

" الترجيح : تبيّنَ من هذا المبحث أن ابن القيّم ـ رحمه الله ـ حكى ثلاثة أقوال في حكم مَن أتى بهيمة ، وأن ظاهر كلامه اختياره قتل الفاعل بكل حال ، وهذا رواية عن أحمد ، وقد علّق الشافعي الأخذ به على صحة

---

(١) سبق تخريج الحديث .

(٢) نيل الأوطار (٧/٢٩٠) .

الحديث ، وأنّ ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ قد ساق الحديث في ذلك ، وقد ظهر أن هذا الحديث صحيح كما قاله الشوكاني وغيره فيلزم المصير إليه .

وبناءً على هذا :

فإن قول أرباب القول الأول (لم يصح فيه حديث) غير صحيح .

وقول أرباب القول الثاني أن حدّه كحد الزنى استدلالاً بالقياس قول ضعيف ، وقياسهم قياس في مقابلة النص ، والعصمة في النص ، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال : " مَن أتى بهيمة فاقتُلوه واقتلُوا البهيمة "[1] والله أعلم[2] .

---

(١) سبق تخريجه صـ١١٦ .

(٢) الحدود والتعزيرات عند ابن القيّم (١٩٣ ، ١٩٤) .

الفصل الرابع

حفظ الفرج عن جِماع الحائض والنُّفَساء

تمهيد :

إن الذي ينحطّ إلى هذا المستوى البهيمي جديرٌ بكل مَنقصةٍ ، فلاشكّ بعد ذلك الفعل القبيح أن توجد جميع السفاسف الخُلُقية ملتصقة بصاحب هذه الكبيرة القذرة .

ما أعظم هذا الدين ، وما أجلّ هذه الشريعة الغرّاء السمحة ، نظيفة من كل زيغ ، مُطهّرة من كل هوى ، يعجز عن وصف كمالها الواصفون ، وينبهر من دقّتها العارفون ، أوامر ونواهي وقيود وضوابط ودقّة متناهية حيّرَت ذوي الألباب ، وصرفَت القلوب والأفهام الناصعة إلى شهادة حق ومقولة صدق ، أنَّ ذلك الدستور لا طاقة لعقول البشر أن تضع مثله ، بل هو من عند خالق الأكوان الحكيم الخبير العليم ، ولا يملك الإنسان حيال هذا الدستور الإلهي إلاّ أن يقول : سمعنا وأطعنا ، فالحلال ما أحلّ الله ، والحرام ماحرَّم سبحانه .

علم الله أن هذا الذنب الفاحش فيه من الوباء مافيه ، وعَلِمَ ـ جل وعلا ـ أنه ربما إذا ما لابَس الإنسان هذا القَذَر ورآه بعينه زهد في أهله ، ونفر منهم ربما إلى الأبد .

لذلك على المرأة العاقلة أن تمنع زوجها أن يقربهـــا إذا مـا حـاضَت أو نفسَت مهما كلّفَها ذلك ، وإلاّ فلا تندم إذا مـا عـاينَت قُبـح جُرمِهـا عنـد ربّها ، ولا تلطم الخدّ وتنوح على الغد ، إذا ماغدَرَ بها زوجهـا .

- ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ وَيسألونَكَ عَنِ المَحيضِ قُل هُوَ أذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَـاءَ في المَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتّى يَطْهُرْنَ فَإذَا تَطَهَّـرْنَ فَـأْتُوهُنَّ مِـن حَيـثُ أمَرَكُـمُ الله . . ﴾[1] .

قال السعدي رحمه الله :

" يدل على ترك المباشرة فيما قرب مـن الفـرج ، وذلـك فيمـا بـين السُّـرَة والرّكبة ، فينبغي تركه ، كما كان النبي ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأته وهـي حائض أمَرَها أن تتّزِر فيباشرهـا .

وحدّ هذا الاعتزال وعـدم القربـان للحيـض ﴿ حَتّى يَطْهُـرْنَ ﴾ أي : ينقطع دمهنّ ، فإذا انقطع الدم زال المنع الموجود وقت جريانه الـذي كـان لحلّه شرطان : انقطاع الدم ، والاغتسال منه "[2] اهـ .

وعن عائشة قالت : " كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرَها أن تتّزِر في فور حيضتها ثم يباشرهـا "[3] .

---

(١) البقـرة (٢٢٢) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٨٢) .

(٣) البخـاري : كتاب الحيض باب مباشرة الحائض رقم (٣٠٢) ـ الفتح (٥٣١/١) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" المراد بالمباشرة هُنا الْتقاء البشرتين لا الجِماع "[1] .

وفصّل النووي ـ رحمه الله ـ المباشرة فقال :

" اعلم أن مباشرة الحائض أقسام أحدها : أن يباشرها بالجِماع في الفرج فهذا حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنّة الصحيحة ، القسم الثاني : يباشرها فيما فوق السرّة وتحت الركبة بالذّكَر أو بالقبلة أو المعانقة أو اللمس أو غير ذلك وهو حلال باتفاق العلماء ، القسم الثالث : المباشرة فيما بين السرّة والركبة في غير القُبل والدُّبر ، وفيها ثلاثة أوجه لأصحابنا : أصحّها عند جماهيرهم وأشهرها في المذهب أنها حرام ، والثاني : أنها ليست بحرام ولكنها مكروهة كراهة تنزيه ، وهذا الوجه أقوى من حيث الدليل وهو المختار ، الوجه الثالث : إن كان المباشِر يضبط نفسه عن الفرج ويثق من نفسه باجتنابه إمّا لضعف شهوته ، وإمّا لشدّة ورعه جازَ وإلاّ فَلا ، وهذا الوجه حسَن "[2] اهـ .

واختار هذا الوجه الأخير الشيخ ابن عثيمين ـ حفظه الله ـ فقال في الشرح الممتع على زاد المستقنع : " يجوز أن يستمتع بما فوق الإزار ، وبما دون الإزار ، إلاّ أنه ينبغي أن تكون متّزرة لأنه ﷺ كان يأمر عائشة ـ

---

(١) فتح الباري (٥٣٢/٥) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٢٠٤/٣ ـ ٢٠٥) .

رضي ا لله عنها ـ أن تتّزر فيباشرها وهي حائض ، وأمْرُه ﷺ لها بأن تتّزِر لئلاّ يرى منها مايكره من أثر الدم ، فإن قيل : كيف تجيب عن قوله ﷺ لما سُئل : ماذا يحلّ للرجل من امرأته وهي حائض ؟ قال : " ما فوق الإزار "[1] وهذا يدل على أن الاستمتاع يكون بما فوق الإزار .

والجواب عن هذا بما يلي :

ـ أنه على سبيل التنزيه والبُعد .

ـ أنه محمول على مَن لايملك نفسه ، لأنه لم مُكّن من الاستمتاع بين الفخذين مثلاً ربما لايملك نفسه فيجامع في الفرج إمّا لقلّة دينه ، أو قوة شهوته .

ـ أنه يُحمل على اختلاف الحال ، فقوله ﷺ : " اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح "[2] هذا فيمن يملك نفسه ، وقوله ﷺ : " فَما فوق الإزار " هذا فيمن يخشى على نفسه المحذور "[3] اهـ .

قال الإمام ابن قدامة رحمه ا لله :

---

(١) ضعيف : رواه أبو داود كتاب الطهارة باب في المذي رقم (٢١٠) قال أبو داود : وليس بالقوي ، والحديث في ضعيف أبي داود للألباني رقم (٣٦) .

(٢) مسلم : كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها (٣٠٢) ، نووي (٢١١/٣).

(٣) الشرح الممتع (٤١٦/١ ـ ٤١٧) .

" وحُكم النُّفَساء حُكـم الحـائض في جميع مـايُحرّم عليهـا ويسـقط عنهـا ، لانعلم في هذا خلافاً ، وكذلك تحريم وطئها ، وحلّ مباشرتها والاستمتاع بما دون الفرج منهـا "[1] .

(١) المغني (٤٣٢/١) .

الفصل الخامس

حفظ الفرج عن إتيان المرأة في الدُّبُر

تمهيد :

ولا يظنّنَّ أحدٌ من الرجال أن زوجته يُباح له أن يأتيها في كل موضع بلا استثناء لأنها زوجته ، فهذا ـ بلا شكّ ـ جهلٌ واضح ، فالمرأة لايجوز إتيانها في دبُرها بأي حال ، ولكن يُباح له أن يأتيها من طريقِه ، أمّا أن يجامع أهله في محل النّجو[1] والنّتن فهذا لم يحلّله شرعٌ ولا عقل .

إنّ هذا الفعل هو لُواط كذلك ، ولايجوز في شرع الله ، وإن الفطرة السليمة تنفر عنه ، وتتقيّأ منه ، فهو فعل مُنتِن مُستَقذَر خلُقاً وطبعاً وشرعاً ، ملعونٌ فاعلُه ، ضعيف الشخصية ، مهدور ماء الوجه ، قبيح المخبَر والمظهر ، مُدنّس الخلُق ، ملوَّث الفطرة .

ولايحسبنّ هذا اللائط أن زوجته وإن طاوعته أنه سيظل في نظرها مثال للرجل الكُفء ، بل بعد قليل القليل لَتُبغِضَنَّهُ بُغضاً يملأ جوانحها ويبدو في محاجرها ، حتى ينزل من نظرها تحت الأقدام ، وتتمنّى أن تستبدل به سقط الرجال ، وتزدريه على الدوام وإن أظهرَت البِشر في وجهها .

(١) النجو : مايخرج من البطن من ريح أو غائط ، القاموس المحيط (١٧٢٣) .

وكما قلت إن كثيراً من الجُهّال واقعون في هذا الفُحش ، وإن منهم لَمن يلابس هذه الكبيرة على جهلٍ منه ، والسبب في ذلك عدم العلم ، والقناعة بالجهل والرضا بالدون ، فالواجب على كل مسلم أن يعرف الحلال والحرام في دين الله ـ عز وجل ـ الذي ارتضاه لنفسه ، وآمَن به واعتنقه ، وإلاّ فما هو إلاّ سراباً بقِيعةٍ يحسَبُه الظمآنُ ماءً ، حتى إذا ماعاينَ الحساب وجَد ما رضيَهُ لنفسه من الانتساب لهذا الدين فقط ليس إلاّ .

ـ التحريم القاطع لهذا الفعل :

قال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[1] .

يقول السعدي رحمه الله :

" مُقبلة ومُدبرة غير أنه لايكون إلاّ في القُبُل ، لكونه موضع الحرث ، وهو الموضع الذي يكون منه الولد .

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدُّبر ، لأن الله تعالى لم يُبح إتيان المرأة إلاّ في الموضع الذي منه الحرث ، وقد تكاثرَت الأحاديث عن النبي ﷺ في تحريم ذلك ولَعْن فاعله "[2] .

ومن هذه الأحاديث الكثيرة ماروواه عُقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : " ملعون مَن يأتي النساء في محاشهنّ . يعني أدبارهنّ "[3] .

---

(١) البقرة (٢٢٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٨٣) .

(٣) إسناده حسن : أخرجه ابن عديّ في الكامل في ترجمة عبد الله بن لهيعة (٥/٢٤٣) وحسّن إسناده المحقّقان شعيب الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط في زاد المعاد (٤/٢٦٠).

وكذلك مارواه خزيمة بن ثابت أن رسول ا لله ﷺ قال : " إتيان النساء في أدبارهنّ حرام "[١] .

وعن أبي هريرة ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " إنّ الذي يأتي امرأته في دبُرها لاينظر ا لله إليه يوم القيامة "[٢] .

وعن خزيمة بن ثابت ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " إنَّ ا لله تعالى لايستحيي من الحق ، لاتأتوا النساءَ في أدبارهنّ "[٣] .

وكذلك عنه قال رسول ا لله ﷺ : " إنّ ا لله ينهاكُم أن تأتوا النساء في أدبارهنّ "[٤] .

ـ الجزاء من جنس العمل :

قال الإمام ابن القيم في " زاد المعاد " :

" وإذا كان ا لله حرّم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض ، فما الظنّ بالحشِّ الذي هو محلّ الأذى اللازم ، مع زيادة المفسدة بالتعرّض لانقطاع النسل ، والذريعة القريبة جداً من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان .

---

(١) صحيح : صحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٦) والصحيحة رقم (٨٧٣) .

(٢) صحيح : مشكاة المصابيح كتاب النكاح ، باب المباشرة رقم (٣١٩٤) . قال الألباني : حديث صحيح ، وصحّحه كذلك في صحيح الجامع رقم (١٦٩١) .

(٣) صحيح : صحّحه الألباني في آداب الزفاف رقم (١٠٤) ، والإرواء رقم (٢٠٠٥) ، وصحيح الجامع رقم (١٨٥٢) .

(٤) صحيح : صحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٢١) .

وأيضاً : فللمرأة حق على الزوج في الوطء ، ووطؤها في دبرها يفوّت حقها ، ولا يقضي وطرها ، ولا يحصل مقصودها .

وأيضاً : فإن الدُّبر لم يتهيّأ لهذا العمل ولم يُخلق له ، وإنما الذي هُيّئَ له الفرجُ ، فالعادلون عنه إلى الدُّبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً .

وأيضاً : فإن ذلك مضرٌّ بالرجل ، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقَن وراحة الرجل منه ، والوطء في الدبر لايعين على اجتذاب جميع الماء ، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي .

وأيضاً : يضرّ من وجهٍ آخر وهو إحواجه إلى حركات متعبة جداً لمخالفته للطبيعة .

وأيضاً : فإنه محل القذَر والنجو ، فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه .

وأيضاً : فإنه يضر بالمرأة جداً ، لأنه واردٌ غريب بعيد عن الطباع ، منافرٌ لها غاية المنافرة .

وأيضاً : فإنه يُحدث الهمّ والغمّ والنّفرة عن الفاعل والمفعول .

وأيضاً : فإنه يسوّد الوجه ، ويُظلم الصدر ، ويطمس نور القلب ، ويكسو الوجه وحشةً تصير عليه كالسيماء يعرفها مَن له أدنى فِراسة .

وأيضاً : فإنه يوجِب النُّفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولابد .

وأيضاً : فإنه يُفسد حال الفاعل والمفعول فساداً لايكاد يُرجى بعده صلاح ، إلاّ أن يشاء الله بالتّوبة النصوح .

وأيضاً : فإنه يُذهِبُ بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدهما ، كما يُذهب بالمودة بينهما ، ويبدلهما بها تباغضاً وتلاعناً .

فصلاة الله وسلامه على مَن سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به "[1] اهـ .

---

(١) زاد المعاد (٤/٢٦٢ ـ ٢٦٤) بتصرّف .

الفصل السادس

حفظ الفرج عن العادة السرّية

تمهيد :

إن هذه العادة البذيئة لها علاقة وطيدة بالمرأة ، بل إن المرأة هي السبب المباشر الباعث على فعل هذه العادة القبيحة .

فالمرأة حماها ا لله لنا بقيود تشرّفها ، ونظام يرفع من شأنها وكرامتها ، ويصون حياءها وشرفها وعفّتها ، ما أُهدرَت حريتها ، ولا هُضم حقها ، ولا استُعبدَت ، ولا سُجنَت كما زعم محرّروها ، فـ ﴿ إنَّ ا للهَ لاَيَظلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[1] ، ولكن . . ياللوعة الحشا ! سِرنا وراءهم حذو القُذّة بالقُذّة حتى صارت المرأة هذا حالها سِلعة ماأرخصها ، ودُمية ماأحقرها ، وفتنة ماأشدّ سعيرها ، ونارٌ تأكل الأخضر واليابس ، فعمّت العنوسة ، وأسِنَت العزوبة ، فنار الشهوة التي تتأجّج العروق منها ، وتشتكي منها المفاصل سهُل عليها ريّها حتى الثُّمالة ، فعمّت الفوضى ، وشاعت البلوى وفاحَت روائح الفجور في كل مكان ، ولا حول ولا قوة إلاّ با لله ! .

وجاء على إثر ترك الزّمام لأبواق الغرب والسير وراءهم أن صارت المرأة من أعتَى الأسلحة ضد الإسلام وأهله ، فحدِّث ولا حرج عن

---

(١) النساء (٤٠) .

مستنقع العُهر والسّفور في كل زقاق من الأزقّة المظلمة التي تجعل الحليم حيران ، والشاب بلا شراب سكران ، فإن هُيِّئت له الفاحشة المغلّظة ارتكبها ، وإن حيل بينه وبينها إمّا لبقايا إيمان ووازع ديني عنده ، وإمّا لعدم توفر سلعة ، وإما لخوفه أن يكون دَيناً عليه لا خوفاً من الله ، وإمّا . . . وإمّا . . وإمّا ! .

فعند ذلك يجد نفسه في خضمّ حرب نفسية شهوانية جائعة من جرّاء صور عارية ، ونساء كاسيات عاريات ، ومسلسلات ومسرحيات ، أصلٌ من أصولها نساء فاجرات مائلات مميلات ، مائعات يتصدّرن الجرائد والمجلاّت في مناظر فاضحات ! .

فيلجأ هذا المسكين إلى مايظنّه دواء إلى هذه العادة حتى يُدمنها ويراها ذُباباً يقع على أنفه ، فيفعل به هكذا ، وإن كان في قراراة نفسه لايريدها ويريد العفّة ، ولكن أكثر عذاب أهل النار من كلمة (سوف) ! .

ـ تحريم هذه العادة السيئة :

قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ هُم لِفُروجِهِم حَافِظونَ . إلاّ عَلى أزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمَانُهُمْ فَإنَّهُم غَيرُ مَلُومينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلكَ فَأُولئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[1] .

قال الشيخ أبو الفضل عبد الله بن الصدّيق الإدريسي :

(١) المؤمنون (٥ ـ ٧) .

" وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة ظاهر ، فإن الله تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم مما حرّم عليهم ، وأخبر برفع الحرَج واللوم عنهم في قُربانهم لأزواجهم وإمائهم المملوكات لهم ، مستثنياً ذلك من عموم حفظ الفروج الذي مدحهم به ، ثم عقّب بقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى ﴾ أي : طلب ﴿ وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ أي : سوى ذلك المذكور من الأزواج والإماء ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ أي : الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام ، لأن العادي هو الذي يتجاوز الحدّ ، ومتجاوز ما حدّه الله ظالمٌ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يتعَدَّ حُدودَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ ﴾[1] ، فكانت هذه الآية عامة في تحريم ما عدا صنفي الأزواج والإماء ، ولا شكّ أن الاستمناء وغيرهما فهو حرام ، ومُبتغيه ظالم بنص القرآن "[2] اهـ .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الّذينَ لاَ يجِدّونَ نِكاحاً حَتّى يُغنيَهُمُ اللهُ مِن فَضلِه ﴾[3] .

قال الشيخ أبو الفضل أيضاً :

" تدل هذه الآية على حُرمة الاستمناء من وجهين :

---

(١) البقرة (٢٢٩) .

(٢) الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء (١٦ ، ١٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٥٨) .

(٣) النور (٣٣) .

ـ الأول : أن الله تعالى أمر فيهما بالاستعفاف ، والأمر يدل على الوجوب كما تقرّر في علم الأصول ، فيكون الاستعفاف واجباً ، وحيث وجَب اجتناب ما ينافيه كالزنى واللواط والاستمناء ونحوها .

ـ الثاني : أن الله تعالى أوجب في الآية الاستعفاف على مَن لم يستطِع القيام بتكاليف النكاح ، ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة ، فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء ، ولو كان مُباحاً لبيّنه في هذا الموطن ، لأن هذا مقام بيانه ، إذ أحوج ما يكون الرجل إلى جواز الاستمناء إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح لاسيّما عند توقان نفسه إلى الوطء "[1] اهـ .

إلى غير ذلك من الأدلّة كثير .

ـ الأضرار الناتجة من هذه العادة السيئة :

مما لاشك فيه أن الاستمناء يورث بعض الأمراض الطبية ، والتي يشعر بها صاحب هذه العادة ويُخبر بها ، ومن هذه الأمراض :

ـ أنه يُضعف عضو التناسل ، ويُحدث فيه ارتخاء جزئياً .

ـ " ويورث ضعفاً في الأعصاب عامة نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية .

ـ ويؤثر في نمو الأعضاء خصوصاً الإحليل والخصيتين ، فلا تصل إلى حدّ نموها الطبيعي .

---

(١) المصدر السابق .

- ويورث التهاباً منوياً في الخصيتين فيصير صاحبه سريع الإنزال .
- ويورث الاستمناء ألماً في فِقار الظهر ، وهو الصلب الذي يخرج منه المني وينشأ عن هذا الألم تقويس في الظهر وانحناء .
- ويورث رعشة في بعض الأعضاء كالرّجلين .
- ويورث ضعفاً في الغدد المخيّة ، فيُضعِف القوة المدركة ويقلّ فهم فاعله .
- ويؤدي كذلك إلى ضعف في الذاكرة ، ويُضعف البصر ، ويقلّل من حدّته المعتادة .
- وهو مُميت للذكاء ، مُضعف للعقلية ، مُرهق للتفكير ، لأن شدة التخيّل التي ترافق الاستمناء تؤثر إضعافاً في التعقّل .
- وتورث اضطراباً فكرياً مُشاهَداً في المدمنين لهذا العمل المشين .
- ويسلّط على الفكر التهوّر والغضب والقلاقل بسببها ، ولقد قيل : بأن المرّة الواحدة من الاستمناء باليد تساوي اثنتي عشرة مرة من الجماع .
- وأيضاً جعل الله الحشَفة وهي مقدّم عضو التناسل في الذّكَر في منتهى الدقّة والحساسية ، يتلذّذ الرجل والمرأة عندما يتصلان ببعضهما البعض حسبما أحلّ الله لهما ، فإذا كان الإنسان يدلّكهما صباح مساء ، ويجلدهما في كل وقت تُصبح الحشفة كأنها خشبة ، فيتعب زوجته بعد

ذلك حتى تقذف الماء ، فيحصل ما يحصل من النّفرة والكره من أحد الزوجين للآخر بسبب هذا المخفي الذي لايعلم بأثره إلاّ بعد حين "[1] .

إلى غير ذلك من الأضرار النفسية والشرعية والاجتماعية كثير كثير .

ـ أكثِرْ من الاستغفَار فإنّه يمحو الذّنوب وتُب إلى ربّكَ :

وينصح الشيخ أبو الفضل مَن وَقَع في مثل هذه العادة نصيحة صدق فيقول : " أكثِرْ من الاستغفار ، فإنه يمحو الذنوب ويُذهِب الحزن ، ويسهِّل الرّزق كما جاء في الحديث ، وإن استطَعْتَ الزواج ولم يكُن عندك عائق فتزوَّج ، فإنه لاشيء أصلح لدين المؤمن من الزواج ، فإن لم تستطعه فعليك بالصوم ، فقد ثبت في الحديث : " . . . ومَن لَم يستطِع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء " . الوجاء بكسر الواو : رضٌّ الأنثيين ودقُّهُما ، كما يُفعل بالفحل من الضأن والماعز إذا أريدَ منعه من طروق الأنثى ليسمن ويكثر لحمه ، وهو هنا تشبيه بليغ ، شبّه الصوم لإضعافه الشهوة بالوجاء الذي يذهب بها بتاتاً ، ليفيد أن للصوم في منع النفس وتقليل شهواتها ، تأثيراً كبيراً .

هذا دواء الشارع لِمَن هو على حالتك ـ أيّها الشاب ـ فروِّض نفسَك على الصوم ـ وتعاهَدْها به الفينة بعد الفينة ، فإن لم تستطع فجاهِد

(١) قضايا وأحكام (٢/٣٢٦ ـ ٣٢٨) مُستفاد من شريط : (معاملة الإنسان لنفسه) للطحّان رقم (٣) .

نفسَك ، واكْبَح جِماح شهواتهـا ، وكُن قويّ العزيمة ، شـديد الشـكيمة ، لاتتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليسـت لـك الثانيـة ، ولا تسترسـل مع الخيال فإنك ترجع منه إلى عـالم الحقـائق كمثـل هـائم علـى وجهـه ، أو حالِم في نومِه ، واشغلْ نفسَك في خلوتك بما يدفع عنك التفكّر فيما يُفضي بكَ إلى الاستمناء ، إمّا بتلاوة القرآن ، أو بذكرٍ من الأذكـار ، أو بمطالعـة كُتب علمية أو نحو ذلك ، ممّا يُلهيك عن ذلك الفعـل الخبيـث ، وحـذاري حذاري أن تعود إليه أو تستحلي المداومة عليه .

فتُب إلى ا لله ، واستغفرْهُ ، والْجـأ إليه أن يقطع عنك هذا الدّاء ، فإنـه إذا علم منك صدق اللّجأ كشفَ عنك ما بك ، وقبِلَ توبتَك ، وأنالَكَ مِن طاعته مَنالاً "[1] .

(١) الاستقصـاء لأدلـة تحريم الاستمنـاء (١٥٤ ـ ١٥٧) بتصرّف .

الفصل السابع

حفظ الفرج عن السِّحاق

تمهيد :

إن القلَم لَيتقدّم ويتأخر لطرق هذا الموضوع حياءاً ، وإن اللسان لَينزوي ويُعجَم خجلاً من طرح هذا الأمر ، وإن العقل لَيتحيّر لاختيار كلمات تناسب هذا المقام .

ولأن الحياء من عرض هذا الواقع المرّ الكئيب يُعدّ من الحياء المذموم ، كان حتماً ولابد من طرح هذه القضية الشائكة ، بصورة تناسب المقام بعد التنبيه والتحذير من الوقوع في هذا المزلق الخطير .

والذي نفسي بيده ، لقد وقفتُ على وقائع في هذا المجال ، يَكتئِب منها الصدر ، ويُتصبّب منها العرق ، ويُذرف منها الدمع ، ويُفتّ من هولها الكبد ، ولولا الخجل لسطّرتُ وقائع تُكتب بِمداد الهمّ والأسى والدموع ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسبحان مَن طمَس على قلوب فئة مِن سَقْط المتاع من نساء وفتيات حتى انسلَخَ من قلوبهنّ الحياء ، وغُلّفت قلوبهنّ بأحكم غطاء ، فالعشق

وأراذل الأفعال لهنّ حياء ، والتمرّد لريّ شبقهنّ دواء ، والزنا ومشتقاته لهنّ رداء ، ونَسَيْنَ أن الصيام وتقوى ا لله من هذا وِجاء .

ـ مَن يشكّ في تحريم هذا الوباء ؟! :

لا أحد من أهل القبلة يشك في تحريم هذا الطّفح والدرن المزمن ، فلو لم يرد نص من الكتاب والسنّة ، لَتهافَت جميع العُقَلاء على قلب رجلٍ واحد بقطع دابر هذا السرطان .

قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ هُم لِفُروجِهم حَافِظُونَ . إلاَّ عَلى أزْوَاجِهم أوْ مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ فَإنَّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ . فَمَن ابْتَغَى وَراءَ ذَلك فَأُولئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[1] .

وهذا نص قاطع في التحريم بصيغة العموم •

وبالجملة فان جميع الأدلة . التى تحرم على الانسان الزنا واللواط واتيان البهائم والعادة السريّة وغير ذلك من كبائر الفرج ، تشمل هذه الكبيرة أيضاً بلا أدنى شكّ في ذلك ، اللّهم إلاّ عند أهل الأهواء .

وقد روى أبو سعيد الخُدري عن أبيه أنَّ رسول ا لله ﷺ قال : " لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحد ، ولاتُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد "[2] .

وغير ذلك من الأحاديث العامة في تحريم مثل هذه المصيبة .

---

(١) المؤمنون (٥ ـ ٧) .

(٢) مسلم : كتاب الحيض ، باب تحريم النظر إلى العورات ، رقم (٣٣٨) ، نووي (٤/٣٠).

قال أبو محمد ـ رحمه الله ـ بعد ما ساقَ بعض هذه الأحاديث :

" فهذه نصوص جليّة على تحريم مباشرة الرجل الرجل ، والمرأة المرأة ، على السواء ، فالمباشرة منها لمن نهى عن مباشرته عاصٍ لله تعالى ، مرتكب حرام على السواء ، فإذا استُعملت بالفروج كانت حراماً زائداً ، ومعصية مُضاعفة .

فالمرأة إذا أباحت فرجها لغير زوجها فلم تحفظه ، فقد عصَت الله تعالى بذلك ، وصحّ أن بشرتها محرّمة على غير زوجها الذي أُبيحَت له بالنص ، فإذا أباحت بشرتها لامرأة أو رجل غير زوجها فقد أباحَت الحرام "[1] .

(١) المحلّى (١٢/٤٠٦) .

الباب الرابع

الأضرار

تمهيد :

إن الوقوع في مثل هذه الموبقات الناتجة عن إفلات زمام هذه الشهوة التي أصبحَت قائدة لا مُنقادة ، وسائقة لا مُساقة ، يُلتَمَس رضاها ، ويُروى هواها ، لابد وأن يُجنى من ورائها المُرّ والعلقم ، لابد وأن تكون هناك جروح غائرة في النفس والحياة بسببها ، ورُبّ جرحٍ وقع في مقتل .

فليِثق هذا الشّهواني البهيمي - إن لم يَتُب إلى الله - بكل همٍّ وغمّ في الدنيا والآخرة .

أبشِر أيها العاصي بهذه الفواحش البشعة ، فواحش الفرج ، أبشِر بكل ما يسوؤكَ دنيا وآخرة إن لم تَتُب وترجع عمّا أنت فيه من تهتّك وضياع وانحلال .

ولكي تنوب إلى ربك ، وتنزجِر عمّا أنت فيه من مجون ، تعالَ معي وانظر إلى آثار هذه الفوضى الجنسية الآثمة في الدنيا والآخرة ، عساكَ تصحو من سُكرِك ، وتصحح ماأفسده عليك الشيطان وتقمعه ، وذلك بتصحيح النيّة في التوبة ، ثم التّوبة الصادقة .

إن العلم بهذه الأضرار التي تلتصق بهذا الفوضويّ لَتُنذره من عاقبة هذا الفُحش المستعِر ، وإن العلم بهذه الأضرار الناتجة عن ترك زمام هذه الشهوة ، يمكنها أن تقتلع هذا الداء - إن شاء الله - من جذوره ، وذلك مع المجاهدة الباسلة ، فما هي هذه الأضرار ؟ وما هي العقَبات الكؤود التي تقف حجر عُسرة في وجه هذا الماجن علّهُ أن يرتدِع عمّا هو فيه ؟! .

الفصل الأول

الأضرار الأُخرويّة

تمهيد :

اعلمْ أيها العاصي الشارد عن الصواب ، المنكّس في الوحل والتراب ، أن كل ضرر في الدنيا سوى المصيبة في الدين بجوار الضرر في الآخرة يهون ، فهنيئاً لِمَن خرج من الدنيا وقد كفاه الله بتمحيصه إيّاه الخزي في الآخرة .

والويل كل الويل لِمن تركه الله ووكله إلى أعماله حتى استمرأها بلا بلاء ولا عقاب حتى يلاقيه ويوفّيه حسابه ، وهذا هو الهلاك إن لم يدرك الله برحمته أصحاب الشهوات .

فياأيّها العزوف عن الله ، انظُر لحالِكَ يوم الفضائح والمهالك ، يوم الطامّة الكبرى ، وقد أُخِذ بك إلى الشمال مع أنك من الموحّدين ، ما الذي سيق بك إلى هذا المآل إلاّ ذنبك وعملك السّيء ! انظر إلى قلبِكَ وهَلَعِهِ ، وانظر إلى فؤادك وجزعه ، وانظر إلى جوارحك وهي تضطرب ، وانظر إلى صدرك وهو ينتحِب ، وانظر إلى شُخوص العين ويُبْس الشّفاه ، والغرَق في العرَق وسيول الدمع المرّ الحار !! .

تا لله إنه لَيومٌ تعجز كل كلمات الدنيا عن وصفه ، انظر ــ أخي ــ إلى فقركَ وفاقَتِك مُذ أن خرجتَ من بيتِكَ مروراً على الحياة البرزخية حتى وقوفك في ساحة العرض عُرياناً ، مراحل تنقطع فيها الأعناق ، ومرَرتَ عليها وكلّك فقر وحاجة ، رحلتَ إلى هذه المَواطن بلا زادٍ ينفعُكَ ، وأنت بين أطباق الثرى ، وكذلك وأنت في المحشر ، ما الذي ضيّعَك ؟! .

ضيّعَك هواك حتّى اتّخَذْتَ دينَك لهواً ولعباً ، فنَقَص توحيدك ، وضعف إيمانك ، وخفَّ ميزانك ، وثقلَت سيّئاتك ، حتّى أوْبَقك عملك الرّديّ ، وأصبحتَ أسير شهوة جلَبَت عليك سلسلة من الفجائع التي أصبحتَ رهينها ، مُنتظراً شفاعة الشافعين !! .

- شدّة سكرات المَوْت :

إن مراحل الآخرة تبدأ منذ هذه اللحظات ، وهي حينما يعاين العبد ماله عند ا لله ، فتتقطّع نفس ذلك الشهوانيّ العِربيد عند مُعاينة الموت ، فسُرعان ما تجتذبه السكرات بغِلظَة لا رحمة فيها ولا هوادة ، ومن أوّل سكرة تبدأ الرحلة القاسية المريرة في أوّل دركات هذا الفاجِر نحو سوق الآخرة .

إن السكرات عانىَ منها حبيبُ ا لله ﷺ ما عَانَى ، وكذلك العبد المؤمن ينال من سهام السكرات ما ينال ! فإن كان هذا للأولياء ، فما هو الحال للأشقياء الفاسقين ؟! بلا شكّ أشدّ وأخزَى .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمونَ فِي غَمَراتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أنفُسَكُمُ اليومَ تُجزَوْنَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنتُمْ تَقُولونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحقِّ وَكُنتُمْ عَن آياتِهِ تَستَكبِرُونَ ﴾[1] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله :

" ولما ذمَّ الظالمين ، ذكَر ما أعدّ لهم من العقوبة في حال الاحتضار ويوم القيامة فقال : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الموتِ ﴾ أي : شدائده وأهواله الفظيعة وكُرَبه الشنيعة ، لَرَأيتَ أمراً هائلاً ، وحالة لايقدر الواصف أن يصفها ، ﴿ وَالملائكةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتَضَرين بالضرب والعذاب يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها وتعصِّيها عن الخروج من الأبدان ﴿ أَخرِجُوا أنفُسَكُم اليومَ تُجزَوْنَ عذابَ الهُونِ ﴾ أي العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلّكم ، والجزاء من جنس العمل "[2] اهـ .

يقول أبو العتاهية :

عجبتُ للإنسانِ في فخرِهِ ... وهو غداً في قبرِهِ يُقبرُ
ما بالُ من أوّله نُطفةٌ ... وجيفةٌ آخره يَفجُرُ[3]

---

(1) الأنعام (٩٣) .

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٢٢٧) .

(3) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٣١) .

- هَوْل المطلَع :

وإنّ الميّت لايهوله مطلعه من داره إلى قبره ، إلاّ إذا كان ما قدّم من الأعمال جعله رهين الهلَع والنّصَب والجزع والخوف المفرِط .

لو أن العبد أطاع مولاه لَكان يوم قدومه على الله أسعد أيامه ، كيف لا ؟! وهو قادم إلى الجنّة ، قادمٌ إلى عالم الأفراح ، إلى النعيم السرمديّ الأزلي ، إلى النظر إلى وجه المعبود ـ جل جلاله ـ فلابدّ أن يسعد .

أما العاصي الذي طغَت عليه شهوة دنيئة فغطّت على عقله حتى باتَ رهينَ جميعِ المُوبِقات ، ونزَل بإنسانيّته إلى أسفل الدّركات ، فذاق شهوات الحرام ، وألقى بثقله في دروب الهُيام والعُهر وحجور الغانيات اللّئام ، هذا العاصي هو الذي سيزعجه الموت ، وسيعذّبه هول المطلع إلى القبر ، وسينادي بأعلى صوته وهو محمول على الأعناق ، سينادي بصوتٍ يقطُر منه الندم ، وتزلزله الحسرة والويل ، سينادي وسينادي : أين تذهبون بي ، إلى أين تقودوني ؟! إن لسان حاله يشلّ كل لسان يتعرّض لوصف حاله ، ولكنه وعْدُ الله الذي لايخلفه ، حذّرَك فما نفعَك التحذير حتى كردسكَ عمَلُكَ فبدأت رحلة العذاب قبل أن تبدأ ! فياسبحان الله !! مازِلتَ على الأعناق لم تقابل بعد ماينتظرُكَ هناك ، وأنت بالحال الذي عليه ، فرُحماك اللّهمَّ رُحماك ، لا طاقةَ لنا بعذابِكَ ، فاجعلنا اللّهمَّ مِن أوليائكَ ، فإن

أجسادنا على عذابِك لا تقوى ، نستغيثُ بك ونجأرُ إليك من كل ذنب يُوبِقُنا هذا الموبق ! .

عن أبي سعيد الخُدريّ قال : كان النبيّ ﷺ يقول : " إذا وُضِعَت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدِّموني ، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : ياويلها ! أين يذهبون بها ؟! يسمع صوتها كل شيء إلاّ الإنسان ، ولو سمعها لَصُعِق "[1] .

وعند النسائي عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " . . وإذا وُضع الرجل - يعني السُّوء - على سريره قال : ياويلي أين يذهبون بي "[2] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " أسرِعوا بالجنازة فإن تكُ صالحة فخير تقدّمونها إليه ، وإن يكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم "[3] .

---

(١) البخاري : كتاب الجنائز ، باب : قول الميت وهو على الجنازة قدِّموني ، رقم (١٣١٦) ، الفتح (٢٣٨/٣) .

(٢) صحيح : رواه النسائي (٤٤) ، باب السرعة بالجنازة رقم (١٩٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٨٠٠) .

(٣) البخاري : كتاب الجنائز ، باب السرعة بالجنازة ، رقم (١٣١٥) ، الفتح (٢٣٥/٣) .

إن ذلك العاصي الوالغ في كل فجٍّ حرام ، يتبرّأ الناس منه في الدنيا ، بل ربّما يكرمونه اتقاء فُحشه ، وذلك من علامات الهلاك لهذا الفاجر هذا في الدنيا ! .

أما أن يكون ذلك بعد أن صار جثّة هامدة يُسرعوا به ليحطّوه من فوق أعناقهم ، وليتخلّصوا من قربه وحمله وهو ميّت ، فإن ذلك وا للهِ أهولُ من الهول ، فكيف بمبيتِ أوّل ليلة في قبره ، بل كيف بخلوده فيه إلى يوم حشره ، نعوذ با لله من الضياع .

يقول ابن حجر :

" ويؤخذ من الحديث ـ أي السابق ـ ترك صُحبة أهل البطالة وغير الصالحين "[1] .

ـ ضمّة القبر وضغطته :

عن ابن عمر ـ رضي ا لله عنه ـ عن رسول ا لله ﷺ قال : " هذا والذي تحرّك له العرش وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ ضمّة ثم فُرّج عنه "[2] .

---

(١) فتح الباري (٢٣٨/٣) .

(٢) صحيح : رواه النسائي (١١٣) ، باب ضمّة القبر وضغطته ، رقم (٢٠٥٥) ، وصحّحه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٩٤٢) والصحيحة رقم (١٦٩٥) وصحيح الجامع رقم (٦٩٨٧) .

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " لو أفلَت أحدٌ من ضمّة القبر لأفلَت هذا الصبيّ "[1] .

يقول السِّندي :

" قال النسَفي : يُقال أن ضمّة القبر إنما أصلُها أنها أُمهم ومنها خُلقوا ، فغابوا عنها الغيبة الطويلة ، فلمّا رُدّوا إليها ضمّتهم ضمّة الوالدة غاب عنها ولدُها ثم قدمَ عليها ، فمن كان للهِ مُطيعاً ضمّته برأفة ورِفق ، ومَن كانَ عاصياً ضمّته بعُنف سخطاً منها عليه لربِّها "[2] .

فالويل كل الويل لكَ أيها الفاجِر من هذه الضمّة التي ما تركَت حتى الصبيان ، لَيَنضمَّنَّ عليك القبر حتى تختلف أضلاعُك .

- عذاب القبر :

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - في التذكرة :

" صحّت الأخبار عن النبيّ - ﷺ - في عذاب القبر على الجملة ، فلا مَطعَن فيها ولا مُعارض لها ، وجاء فيما تقدّم من الآثار : أن الكافر يُفتن في قبره ويُسأل ويُهان ويُعذّب ، قال أبو محمد عبد الحق : واعلمْ أن عذاب القبر ليس مُختصاً بالكافرين ، ولا موقوفاً على المنافقين ، بل يشاركهم فيه طائفة

(١) صحيح : صحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٢٣٨) والصحيحة رقم (٢١٦٤) .

(٢) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٤/١٠٠) .

من المؤمنين ، وكلٌّ على حالِه من عمله ، وما استوجبه من خطيئته وزلَلِه "[1] .

عن سَمُرة بن جُندب قال : كان النبي ﷺ إذا صلّى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال : " مَن رأى منكم الليلة رُؤيا . . . قلنا : لا ، قال : لكنّي رأيتُ الليلة رجلين أتيَاني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة . . فانطلقنا إلى ثقب مثل التنّور أعلاه ضيّق وأسفله واسع يتوقّد تحته ناراً ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا ، فإذا خمدَت رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عُراة ، فقلت من هذا ؟ قالا . . . والذي رأيتَه في الثُّقب فهمُ الزُّناة . . "[2] .

قال القرطبيّ : " قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا أبيَن في أحوال المعذّبين في قبورهم من حديث البخاري ، وإن كان مناماً فمنامات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وحيٌ . . "[3] .

وقد ذكرت من هذا الحديث محل الشاهد على أن هذا الزاني يُعذَّب في قبره ، وفي الحديث ذكر طائفة كبيرة من العُصاة الذين يُعذَّبون في قبورهم .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٢٢٩) .

(٢) البخاري : كتاب الجنائز (٩٣) ، باب رقم (١٣٨٦) .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٢١٧) .

- الحجاب عن الله وعن كلامه تعالى قبل التمحيص في النار :

وأعظم من كل عذاب ، وأضرّ من كل ضرر حِجابُهم ـ أي هؤلاء الزُّناة ـ عن النظر إلى وجه ربهم الأعلى وعن كلامه لهم ، قال تعالى : ﴿ كلاَّ إنّهُم عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[1] .

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :

" لقد حَجبَت قلوبَهم المعاصي والآثام ، حجبَتْها عن الإحساس بربّها في الدنيا ، وطمستْها حتى أظلمت وعَمِيَت في الحياة . . فالنهاية الطبيعية والجزاء الوِفاق في الآخرة أن يُحرَموا النظر إلى وجه الله الكريم ، وأن يُحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى التي لاتُتاح إلاّ لِمَن شفّت روحُه ورقّت وصفَت واستحقّت أن تُكشَف الحجُب بينها وبين ربّها ممّن قال فيهم في سورة القيامة : ﴿ وُجُوهٌ يَومَئذٍ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّهَا نَاظِرةٌ ﴾[2] .

وهذا الحجاب عن ربّهم عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ، ونهاية بائسة لإنسان يستمد إنسانيته من مصدر واحد هو اتصاله بربّه الكريم ، فإذا حُجب عن هذا المصدر فقدَ خصائصه كإنسان كريم ، وارتكَس إلى درجة يستحق معها الجحيم "[3] .

---

(١) المطففين (١٥) .

(٢) القيامة (٢٢ ـ ٢٣) .

(٣) في ظلال القرآن (٣٨٥٨/٦) .

وعن أبي هريرة ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " ثلاثة لايكلّمهم ا لله يوم القيامة ولا يزكّيهم ، قال أبو معاوية : ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم : شيخٌ زانٍ ، ومَلِك كذّاب ، وعائلٌ مستكبر "[1] .

وقلَّ أن تجد شرّير قد احترف الزنا واعتاده إلاّ وقد احتوشته هذه الخصال الثلاث التي بموجبها تكون القطيعة بينه وبين النظر إلى وجه ا لله تعالى وبين كلامه لله جلّ شأنه .

ـ الطرد من على الحوض :

عن أنسٍ رضي ا لله عنه ـ عن النبيّ ﷺ قال : " لَيَرِدَنّ عليَّ ناسٌ من أُصيحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : أصحابي ؟ فيقول لا تدري ما أحدَثوا بعدك "[2] .

وفي رواية للبخاري أيضاً : " . . فأقول : إنهم منّي ، فيُقال : إنك لاتدري ما أحدَثوا بعدك ، فأقول : سُحقاً سُحقاً لِمن غيّر بعدي "[3] .

وقال ابن عباس : سُحقاً : بُعداً[4] .

---

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار . . رقم (١٠٧) ، شرح النووي (٢/١١٥) .

(٢) البخاري : كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، رقم (٦٥٨٢ ، ٦٥٨٣) ، الفتح (١١/٥٦٦ ، ٥٦٧) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المرجع السابق .

قال القرطبيّ في تذكرتـه :

" قال علماؤنا رحمة ا لله عليهم أجمعين : فكـل مَـن ارتـدّ عـن ديـن ا لله أو أحدَث فيه مالا يرضاه ا لله ولم يأذن به ا لله فهو من المطرودين عن الحـوض ، المُبْعَدين عنه ، وكذلك الظلَمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحـق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهـل الزيغ والأهواء والبدع "[1] " اهـ .

يخرج العاصي من قبره شديد الظمأ فيذهب إلى حـوض نبيّـه ﷺ لكـي يروي عطشه ، فإذا به يُذاد عن الحوض ويؤخذ به إلى الشّمال لِيُعاين عقابه الذي ينتظره ولِيُجازى على كل صغيرٍ وكبير جنَته يداه .

ـ التمحيص في النّار :

عن أبي موسى قال : قال رسول ا لله ﷺ : " إذا اجتمع أهـل النـار في النـار ومعهـم مَـن شـاء ا لله مـن أهـل القِبلـة يقـول الكفّـار : ألَـم تكونُـوا مُسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صِرتُم معنـا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذُنوب فأُخِذنا بها ، فيُسمَع ما قالوا ، فأُمر بمـن كان من أهل القِبلة فأُخرِجوا ، فلما رأى ذلك أهل النار قالوا : ياليتنـا كُنا مسلمين فنخرج كما خرجُوا . . "[2] .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/٤٦٤) .

(٢) صحيح : صحّحه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنّة رقم (٨٤٣) .

نعم خرجوا ، ولكن متى كان الخروج ؟! كم من الدُّهور تلفح بهم النار وتدور في بواطنهم ، كم من المرّات بُدّلَت جلودهم كلّما احترقَت ليذوقوا العذاب ، ألم تظهر العِظام بعد انكشاف اللحم ، ألم يجاوروا الكفار في النار ، وخرجوا برحمة ا لله ثم الشفاعة التي هي بإذن ا لله .

فبا لله كم من الدموع سُكبَت ، وكم من الزفرات خرجَت ، وكم من الأنين سمع ، وكم ، وكم ، وكم !! .

يأيها الزاني المفرِط على نفسه ، ألاَ تعلم أن مَن يدخل في النار يجد أعلاه نار وأسفله نار ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن أمامه ومن خلفِه نار! .

العِظام مكسّرة ، واللحوم مقطّعة ، والجلود ممزّقة ، الوجه أسود كالِح ، الشفة السُّفلى تضرب في السرّة ، والعُليا تقلصت حتى وصلت إلى الأنف ، وظهرَت الأسنان تنخرها النار !! .

أعواماً من الذلّ والعذاب والتنكيل ، فبئس ما قدّمَت يداك ، وبئس الأمانيّ الكاذبة ، والظنون الواهمة التي جعلَتْك رهين النار ، تُقاسي الأمرّين ، مُرّ الندم على الوهم الذي كنتَ تعيشه في الدنيا أن النار تهون مادام هناك خروجاً ، ومُرّ التمحيص الذي تُلاقيه دهوراً وأعواماً قابعاً في النار ، هذا إن كُتب لك أن تخرج من النار ، لأن ذنوبك الكِبار ربما طمسَت على قلبك فتموت على غير الإسلام ، حينئذٍ لا خروج لك من النار ، ولاتَ ساعة مندَم .

- هَول الصِّراط وكلاَلِيبُه :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " . . ويُضرب جسر جهنّم . . " قال ﷺ : " فأكون أول مَن يجوز ، ودُعاء الرُّسل يومئذٍ : اللهمّ سلِّم سلِّم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أمَا رأيتُم شوك السعدان ؟ " قالوا : بلى يارسول الله ، قال : " فإنها شوك السعدان غير أنها لايعلم قدر عِظَمها إلاّ الله ، فتخطف الناس بأعمالهم ، منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده ، وأرادَ أن يُخرِج من النار مَن أراد أن يُخرِج ممّن كان يشهد أن لا إله إلاّ الله ، أمَر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود ، فيُخرجونهم قد امتحشُوا . . "[1] .

وهذا الذي خُطف من فوق الصراط ، ما الذي الْتقطه بهذه السرعة المذهلة ؟ ، إنها الكلاليب التي خطفَتْه بسبب اختراقه لهذه الشهوات التي حُفَّت بها النار كما قال ﷺ : " حُجِبَت النار بالشهوات "[2] .

قال الحافظ ابن حجر :

---

(١) البخاري : كتاب الرقاق ، باب الصراط جسر جهنّم ، رقم (٦٥٧٣) .

(٢) البخاري : كتاب الرقاق ، باب حُجبت النار بالشهوات ، رقم (٦٤٨٧) ، الفتح (٣٨٨/١١) .

" فالشهوات موضوعة على جوانبها ـ أي النار ـ فمَن اقتحَم الشهوة سقط في النار لأنها خطاطيفها .

وهذه الكلاليب ـ الحقيقية ـ مثل شوك السعدان ، وهو نبات ذو شوك يُضرب به المثل في طيب مرعاه ، قالوا : مرعى ولا كالسعدان ، وتشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب مع التحرّز والتصوّن ، تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألِفُوه بالمباشرة "[1] .

والعجب كل العجب ممّن يذهب إلى الزنا وأماكن الرّذائل والخنا بقدمه وهو يعلم أن هذه الأقدام ستمر به فوق الصراط ، فلا من الفواحش يخاف أن تكردسه ، ولا من الأقدام يخاف أن تزلّه ، وهو يعلم أن دُعاء الرّسُل يومئذٍ : اللهمّ سلّم سلّم .

ـ الشفاعة في العُصاة :

قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاتُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيئاً إلاّ مِن بَعدِ أَن يَأذَنَ اللهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرْضَى ﴾[2] .

وقد ثبت في الصحيح حديث الشفاعة المشهور ، وفيه أن هؤلاء العُصاة وغيرهم من المذنبين والمتجرّئين على حرُمات الله يأتون عيسى ـ عليه السلام ـ فيقول : " ائتُوا محمداً ﷺ فقد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما

(١) فتح الباري (١١/٥٥١ ـ ٥٥٢) .

(٢) النجم (٢٦) .

تأخّر ، فيأتوني ، فأستأذنُ على ربّي ، فإذا رأيته وقعتُ له ساجداً ، فيدَعني ماشاء الله ، ثم يُقال لي : ارفع رأسك ، وسَلْ تُعطَ ، وقُل يُسمع ، واشفع تُشفّع ، فأرفع رأسي فأحمد ربّي بتحميد يعلّمُني ، ثم أشفع فيُحدّ لي حداً ، ثم أُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة ، حتى مايبقى في النار إلاّ مَن حبسه القرآن "[1] .

وكان قتادة يقول عند هذا : " أي وجب عليه الخلود "[2] .

فقُل لي بربّك : ألَك طاقة على عذاب الله ، أعندك قدرة على مُجالدة النار وعذابها وحيّاتها وعقاربها ، وسمومها وحميمها ، وزقّومها وغسلينها ، ووديانها وأنهارها ، وسلاسلها وأغلالها ، ولهبها وجمرها ؟! أبكَ طاقة على ذلك ، ثم إن خرجتَ ألاَ تنظر إلى حيائك من ربّك ومن أهلِ الجنة ، فما أنت إلاّ مِن عُتقاء أهل النار .

يامدمن اللذات ناسٍ غدرها	اذكر تهجّم هادم اللذاتِ
احذر مكايده فهنّ كوامنٌ	في كرك الأنفاس واللحظاتِ
تمضي حلاة ما احتقبتَ وبعده	تبقى عليك مرارة التبعاتِ
ياحسرة العاصين يوم معادهم	ولو أنهم سيقوا إلى الجنّاتِ
لو لم يكن إلاّ الحياء من الذي	ستر العيوب لأكثروا الحسراتِ[3]

(١) البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، رقم (٦٥٦٥) ، الفتح (٥٠٩/١١).

(٢) فتح الباري (٥٠٩/١١) .

(٣) المدهش (٢٠٦) .

الفصل الثاني

الأضرار القلبيَّة

تمهيد :

وأين هذا الذي ينكر هذا الأصل ، وهو أن العبد كلّما ألَّم بذنب أثّر في قلبه بحجم المعصية .

إنه من المعلوم أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة ، وينقص إذا ما ألّم الإنسان بمعصية ، فهذا النقصان هو ذلك الضرر الذي يكبّد القلب أضراراً وأمراضاً كثيرة ، تسكن فيه وتتغلغل وتدمّر بحجم قوتها ما في هذا القلب من خير .

فكم ينكر الإنسان قلبه بمجرد انزلاقه في دائرة المباحات التي إن اتّسعَت دائرتها عن الحجم الذي ينبغي له قادَت إلى ما وراء المُباحات من ضياع .

وكم ينكر المسلم قلبه إذا ما عاشرَ العُصاة مدة طويلة أو قصيرة ولم يحاول تغيير ما هم عليه من المنكرات .

بل كم ينكر العبد قلبه إذا ما ضاع من وقته شيء في غير فائدة محققة من وراء هذا الانشغال ، وكم ، وكم . . الخ ! .

فإن كان هذا هو حال القلب في دائرة المُباحات ، أو الوقوع في الصغائر ، فما هو القول إن كان صاحب هذا القلب أخذ خنجراً مسموماً وراح يطعن في قلبه بلا رحمة ولا هوادة ! هل يُرجى لهذا القلب حياة بعد ذلك ، غير أن الخناجر أنواع وأصناف ، وكل نوع وصنف أخطر من الآخر ، إذاً هي مذبحة مروّعة يكون ضحيتها هذا القلب وصاحبه الذي سقاه سمّ الزنا وسُمَّ اللواط ، إلى غير ذلك من كبائر ورزايا قلّما يسلم من شرورها إلاّ مَن رحم ا لله .

والكل يعلم يقيناً أن هذا القلب إذا فسد لايُرجى لصاحبه صلاح ، إلاّ إذا كفّ عن هذه الموبقات التي أهلكته ، فمال هؤلاء العُصاة لاينتهون ، مع أنهم يجنون كل لحظة ثمار مازرعوا ، ويشعرون بذلك ، فما انتهوا حتى ألِفُوا هذه الحياة المظلمة ، وصدق من قال : " وما لِجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ " .

ـ الرَّان على القلب :

قال تعالى : ﴿ كَلاَّ بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكسِبُونَ ﴾[1] .

يقول سيد قطب رحمه ا لله :

" أي غطّى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية ، والقلب الذي يمرّد على المعصية ينطمس ويظلم ، ويرين عليه غطاء كثيف يحجبُ

---

(١) المطففين (١٤) .

النور عنه ، ويحجبه عن النور ، ويفقده الحساسية شيئاً فَشيئاً حتى يتبلّد ويموت "[1] .

وأي خير يُطلب من القلب بعد موته ، وأي صلاح يُرجى له إذا ما رِين على جوانبه وقعره ، وأي ضرر أبلغ فيه بعد فقده شعوره وحسّه ، فيالها من خسارة فادحة ! لعَمرُ الله إن خسارة صاحب هذا القلب أعظم من أي خسارة ، وإن شناعة هذه المصيبة تهون أمامها كل مصيبة ، كيف لا ؟! وهذا القلب هو القائد والمتصرف في الجوارح ، فإذا ما فسد القائد فسدَت حاشيته ورعاياه .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نُكتَة سوداء ، فإذا نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الرّان الذي ذكر الله : ﴿ كَلاَّ بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكسِبُونَ ﴾[2] "[3] .

قال المباركفوري :

" قلت : الرّان والرِّين : الغشاوة وهو كالصدأ على الشيء الصّقيل "[4] .

---

(١) في ظلال القرآن (٣٨٥٧/٦ ، ٣٨٥٨) .

(٢) المطففين (١٤) .

(٣) حسن صحيح : رواه الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، سورة ويل للمطففين ، رقم (٣٥٥٤) ، تحفة الأحوذي (١٧٨/٩) .

(٤) تحفة الأحوذي (١٧٩/٩) .

وقال القرطبيّ :

" قال مجاهد : هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، حتى تُغشّى الذنوب قلبَه "[1] .

- سواد القلب وظلمته :

عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلبٍ أشربها نُكت فيه نُكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضرّه فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لايعرف معروفاً ولا يُنكر مُنكَراً إلاّ ما أُشرب من هواه . . "[2] .

قال النووي :

" قال صاحب التحرير : معنى الحديث : أن الرجل إذا أتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظُلمة ، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام ، والقلب مثل الكوز فإذا انكبّ انصبّ مافيه ، ولم يدخله شيء بعد ذلك "[3] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/١٩) .

(٢) مسلم : كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ، رقم (١٤٤) ، نووي (١٧٠/٢) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٣/٢) .

ويقول الإمام ابن القيم وهو يصف بعض الآثار التي تلتصق بقلب هـذا المتجرِّئ على حرُمات ا لله ، ذكَر منها :

" وَحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين ا لله ـ عز وجـل ـ لاتوازنهـا ولا تقارنها لذّة أصلاً ، ولو اجتمعَت له لذّات الدنيا بأسـرها لم تـفِ بتلـك الوَحشة وهذا أمرٌ لايحسّ به إلاّ مَن في قلبه حياة ، وما لِجُرحٍ بميتٍ إيلامُ .

ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقـة يحـس بهـا كمـا يحـس بظلمـة الليـل البهيم إذا ادلهمَ ، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ، ثم تقوى حتـى تعلو الوجه وتصير سواداً فيه يراه كل أحد "[1] اهـ .

وهذا هو حال هـؤلاء العُصاةجُفـاة وقُسـاة القلـوب ، فمـا مـن مكـان للفجور إلاّ وقـد دخلـوه ، ومـا مـن فاحشـة مغلظـة أو بـاب شـر إلاّ وقـد ولجوه ، ما من كأس عارٍ وفُجرٍ وعُهرٍ إلاّ وقـد شـربوه ، حذّرهـم ا لله مـن الشيطان ، وعناداً أو استِخفافاً اتّبعوه ، فأفجَعَهم ا لله بمصيبـة تهـون أمامهـا كل مصيبة ! ألاَ وهي مصيبة الدين .

ـ العِشق :

يقول ابن القيّم رحمه ا لله :

" وا لله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما حكـى هـذا المـرض عـن طـائفتين مـن النـاس وهمـا : اللوطيّة ، والنساء ، فأخبر عن عِشق امـرأة العزيـز ليوسـف ، ومـا

(١) الداء والدواء (٨٦ ، ٨٧) .

راودَتْهُ وكادَتهُ ، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف ـ عليه السلام ـ بصبره وعفّته وتقواه .

والطائفة الثانية الذين حكى ا لله عنهم العشق هم اللوطية ، فهذه الأمة عشقَت ، فحكاه ـ سبحانه ـ عن طائفتين عشق كل منهما ماحرّم عليه من الصور ، ولم يبالِ بما في عشقه من الضرر .

وهذا داء أعيي الأطباء دواؤه ، وعز عليهم شفاؤه ، وهو لَعمرُ ا لله الداء العُضال ، والسُّم القتّال ، الذي ما علق بقلب إلاّ وعز على الورى استنقاذه من إساره ، ولا اشتعلت ناره في مهجته إلا وصعب على الخلق تخليصها من ناره .

فما فى الأرض أشقى من محب	وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً فى كل حين	مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم	ويبكي إن دنوا حذر الفراق
فتسخن عينه عند الفراق	وتسخن عينه عند التلاقي

وعشّاق الصور ومساعدوهم من الدِّيثة لايرون ذلك ذنباً ، فإن طلب ذلك العاشق وصل معشوقه ومشاركة الزوج والسيد ، ففي ذلك من إثم ظلم الغير ما لعلّه لايقصر عن إثم الفاحشة ، إن لم يربُ عليها .

وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة وظلمه لنفسه ما فيه ، وكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه ، وظلمهما متعدٍّ إلى الغير كما تقدّم "[1] .

ويقول أيضاً ـ رحمه الله ـ في " روضة المحبّين " :

" ومن أسباب السُّكر حب الصور ، فإذا استحكم الحب وقوي أسكر المحبّ ولا سيّما إذا اتصل الجِماع بذلك الحب ، فإن صاحبه ينقص تميزه أو يُعدم في تلك الحالة بحيث لايميّز ، فإن انضاف إلى تلك السُّكر سُكر الشراب بحيث يجتمع عليه سُكر الهوى وسُكر الخمر وسُكر لذة الجِماع فذلك غايةُ السُّكر "[2] .

ويقول أيضاً : " وتلك اللذة أجلب شيء للهموم والغموم ، عاجلاً وآجلاً "[3] .

---

(١) الداء والدواء (٣١٩ ـ ٣٣٣) بتصرّف .

(٢) روضة المحبّين ونزهة المشتاقين (١٣٢ ـ ١٣٣) .

(٣) المرجع السابق .

الفصل الثالث

الأضرار الروحيّة

تمهيد :

هذا الذي ماخافَ ربَّه ، وسارَ وراء شهوته ، وأطلق زمام فرجه ، أنّى له بحلاوة الإيمان ، وصفاء الوجدان ، ونقاء السريرة ، وفراسة المؤمن المخلص ، ووضاءة المخبت ، لكي تصفو روحه وتزكو لبارئها ، وتدور مع شرعه حيث دار ، رغبةً فيما عنده ، ورهبةً من عِقابه ، فهي في فلك الخوف والرّجاء سائرة .

هذه الروح الخفيفة اللطيفة لايعرف كُنهها إلاّ ا لله ، والبشر لايشعرون إلاّ بتغيّر أمزجتها ، فلو كان العبد مع ا لله وبا لله في كل شؤون حياته شعر بالسعادة التي تنبع من داخله ، والسرور الذي يسكن قلبه وفؤاده ، وارتقاء بذاته فوق شؤون الحياة بسموق ليس له نظير في نُظم البشرية ، وامتزاجه قلباً وقالَباً بالهدف الذي يحَيى من أجله ، ألاَ وهو عبادة ا لله تعالى .

فهو بين البشر يعيش ، وهناك بين أفلاك العرش وغرس الجِنان تطوف روحه وتتوق إلى ذلك اليوم الذي تسكن فيه هذا النعيم والخُلد المقيم .

أما إن كان ذلك العبد ليس مع الله ، ولايستعين في أموره الحياتية والدينية بالله تعالى ، فهو وإن كان في رغدٍ من العيش على مايبدو لأهل الدنيا الزائلة ، تجد أن الله قد حبسه شرّ حبس ، حبسَه في بوتَق أعماله الدّنيئة ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾[1] ، وحبس عنه كل خير من خيرات الدين ، فتجده ـ والعياذ بالله ـ أشرّ مَن يمشي على وجه الأرض بعد الكفار ، مسلوب الحياة المطمئنّة ، منزوع الحياء والإخلاص ووضاءة الإيمان ، قد تكردسَت روحه في آبار الهموم والغموم والظنون والأوهام التائهة .

- يقول الإمام ابن القيم في هذه المفاصلة الروحية :

" خُلق بدن ابن آدم من الأرض ، وروحه من ملكوت السماء ، وقُرن بينهما ، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة وجَدَت روحُه خِفّة وراحة فتاقَت إلى الوضع الذي خُلقت منه ، واشتاقَت إلى عالمها العلوي .

وإذا أشبعه ونعّمه ونوّمه واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلق منه ، فانجذبَت الروح معه فصارت في السجن ، فلولا أنها ألفَت السجن لاستغاثَت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالَمها الذي خُلقت منه كما يستغيث المعذّب .

---

(١) الأعراف (١٧٦) .

وبالجملة فكلما خفّ البدن ـ من المعاصي والشهوات في غير محلّها ـ لطفت الروح وخفّت وطلبت عالَمها العلوي ، وكلما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلَت الروح وهبطَت عن عالمها وصارت أرضية سفلية .

فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك ، فيكون نائماً على فراشه وروحه عند سدرة المنتهى تجول حول العرش ، وآخر واقف في الخدمة ببدنه وروحه في السّفل تجول حول السفليّات ، فإذا فارقَت الروح البدن الْتحقَت برفيقها الأعلى أو الأدنى .

وعند الرفيق الأسفل كل همٍّ وغمّ وضيق وحُزن ، وحياة نكدة ومعيشة ضنك "[1] .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكاً . ونَحْشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أعْمَى ﴾[2] .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

" ﴿ وَمَنْ أعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي : خالَف أمري وما أنزلتُه على رسولي أعرَضَ عنه وتناساه ، وأخَذَ من غيره هُداه ﴿ فَإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكاً ﴾ في الدنيا ، فلا طُمأنينة له ، ولا انشراح لصدره ، بل صدره ضيّق حرج

(١) الفوائد (١٩٢) .

(٢) طه (١٢٤ ، ١٢٥) .

لضلاله وإن تنعّم ظاهرُه ، ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيره وشك ، فلا يزال في رَيْبِهِ يترّدد "[1] .

فمتى ما ابتعَد العبد عن كل مايُغضِب ربّ الأرض والسموات ، وفعل كل ما أمر الله به لطفت الروح ، وغمرتها السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة ، ومتى ما تلوّث العبدُ بحظوظ النفس الرديّة تردَّى إلى أسفل سافلين ، وعاين بروحه وبقلبه مايسبب له التعاسة دنيا وآخرة ، ما لم يرجع ويتُوب .

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١٦٤) .

الفصل الرابع

الأضرار الدينيَّة

تمهيد :

وأقصد بالأضرار الدينية هذه الأضرار التي تصيب العبد في دينه وإيمانه ، من اقترافه لهذه الفواحش المغلّظة .

وهناك مصائب كثيرة تحل بمن انتهك حرُمات ا لله - عز وجل - وضيّع أمره ، تُصيبه في دينه حتى يمشي على وجه الأرض وعلى عاتقه من جبال الذنوب والخطايا ما لايعلمه إلاّ ا لله وحده .

- الانتكاس :

تصوَّرْ معي أيها المسلم حال ذلك العبد الذي انحطّ إلى دركات السفول المُزري بالشرف والوجاهة والعزّة والكرامة ، حتى أَلِفَ مُصاحبة المُومِسات الغانيات الفاجرات ! .

* **السؤال** : في أي هذه المنازل يكون ؟ منازل السائرين إلى رب العالمين ؟! أم منازل السائرين مع الشيطان الرجيم ؟! .

* **الجواب** : الثاني ، وهو أنه من السائرين مع الشيطان الرجيم .

فكم يتفطّر القلب وتدمع العين من حال امرئٍ رضيَ با لله رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، نشأَ في بيئة تعتنق الإسلام

وتدين بـه ، فأبواه مسلمان ، ومجتمعـه مسـلم ، المسـاجد في كـل مكـان ، والعلماء على مقرُبةٍ منه ، دخل المسجد فصلّى ، وربما أنصتَ إلى الخطيـب يخطُـب ، أو إلى الواعـظ يـدرّس أو يحـاضِر ، بـل لربّمـا صـاحَب أخيــار ، وعُرف بين الناس أنه من الأطهار ! .

ثم بعد ذلك تلِجُ به الشهوة باب الضياع مرّة فمرّة ، حتى يتعوّد على الفجور ، ويصعبُ عليه العود إلى ماكان عليـه من الطُّهـر والعفـاف ، والسبب هو إقدامه بجرأة على هذه الفواحـش حتـى انطمـس قلبـه وتـاه في دروب الشهوات المُهلِكات ! .

قال تعالى : ﴿ أوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـاهُ وَجَعَلْنَا لَـهُ نُـوراً يَمشِـي بِـه في النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنهَا ﴾[1] ، وقال تعـالى : ﴿ أمْ حَسِـبَ الّذيـنَ اجْـتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أن نَجْعَلَهُـمْ كَـالّذينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَـايَحْكُمُونَ ﴾[2] ، وقـال تعـالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الّذي آتَيْنَاهُ آياتِنَا فانسَلَخَ مِنهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيطَانُ فَكانَ مِـنَ الغَاوِينَ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِـنِّ والإنـسِ

---

(١) الأنعـام (١٢٢) .

(٢) الجاثيـة (٢١) .

(٣) الأعراف (١٧٥) ، يُنظَر تفسير ابن كثير (٢/٢٥٤ ـ ٢٥٧) .

لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفقَهُونَ بِهاَ ولَهُم أعْيُنٌ لايُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم آذانٌ لايسمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالأنعَامِ بَلْ هُم أضلُّ أُولئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[1] .

ولذلك استعاذ رسول الله ﷺ من الحور بعد الكور ، فعن عبد الله بن سرجس قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافَرَ يتعوّذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر والحور بعد الكور . . "[2] .

ومعنى الحور بعد الكور هو : " أن يكون الرجل صالحاً ثم يتحول رجل سوء "[3] . فنسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة .

ـ نزع نور الإيمان في الزنا :

وهذه الترجمة باب عند البخاري :

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : " لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . . "[4] .

وهل تأمن ياعبد الله عاقبة فعلك هذا ، وكثرة تَردادك عليه أن يعود إليك إيمانك كما كان ؟! نعم ، إن من عقيدة أهل السنّة والجماعة أن

---

(١) الأعراف (١٧٩) .

(٢) مسلم : كتاب الحج ، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهاً لسفر الحج رقم (١٣٤٣) ، نووي (١١١/٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١٩) .

(٤) البخاري : كتاب الحدود ، باب الزنا وشرب الخمر ، رقم (٦٧٧٢) ، الفتح (٦٩/١٢).

لايُكفّر إنسان بذنب ، وأيضاً من العقائد التي ندين بها أن هذا الزاني بعد أن يزني يرجع إليه الإيمان بعد ما كان رُفع .

ولكن هل يرجع بنفس القوة التي كان عليها ؟ اللهمّ لا ، بل لابد أن ينقص إيمانه بقدر ذنبه الذي ارتكبه ، وهكذا كلّما ألّم بهذه المعصية أو غيرها أثّر ذلك في إيمانه ، حتى يُصبح ذلك العبد على شفا جُرُفٍ هارٍ نسأل ا لله الثبات .

ـ ذهاب الغيرة :

وهذا أمرٌ معلوم ومُشاهَد لدى هؤلاء المنتكسين ، فتجد الواحد منهم يعلم على أهله سوءاً ولا يتكلّم بكلمة لأنه يعلم أنه معروف عندهم بما هو عليه ، فيصمت ولا يتكلّم ، هذا إن أنكر قلبه .

والغالب أنه لاينكر ذلك بل ويعتبر في كثير من الأحيان أن اختلاط أهله بالناس وتعايشهم في الأوساط الاجتماعية بكافة مسالبها ، وكذا أولاده وبناته يذهب بهم إلى أماكن الفُحش والخَنا مِن شواطئ عارية ، ومن مسارح هابطة ، ومن سينمات متنوعة . . إلى غير ذلك ، يعتبر هذا كله من لوازم التقدم والتحضّر والرقيّ ، انسلخَت الغيرة من قلبه ، فأصبح يرى الباطل حقاً والحقَّ باطلاً ، فمثله كمثَل الخنزير ، وتخلّق بأخلاق البهائم حتى أصبح مثلهم بل أضلّ ! .

فأين هو من حديث الغيرة المشهور .

عن المغيرة ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال سعد بن عُبادة : لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتُه بالسيف غير مُصفَح ، فبلَغ ذلك النبي ﷺ فقال : " أتعجبونَ من غيرةِ سعد ؟! لأَنا أغيَرُ منه ، وا للهُ أغيَرُ منّي "[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي ا لله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : " إنّ ا للهَ يَغارُ ، وغِيرةُ ا للهِ أن يأتي المؤمن ماحرّم ا للهُ "[2] .

كم مِن فاحشة فُعلَت بسبب فُقدان الغِيرة ، وذلك أن الرجل يترك بيته مفتوحاً لكل مَن هبّ ودبّ من المخانيث وغيرهم في حضوره وغيابه ، يختلطون بزوجته وبناته بحجّة أنه يثق في أهله ، وكَذَبَ في ذلك الادّعاء ، بل السبب أن طُفِئَت نار الغيرة في قلبه ، فأصبح يرى أن هذه الفوضى الآثمة أمرٌ عادي .

يقول ابن القيم رحمه ا لله :

" والمقصود أنه كلما اشتدّت مُلابسته للذنوب أخرجَت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس ، وقد تضعف القلب جداً حتى لايستقبح بعد ذلك القبيح ، لا من نفسه ، ولا من غيره ، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك "[3] .

---

(١) البخاري : كتاب الحدود ، باب مَن رأى مع امرأته رجلاً فقتله ، رقم (٨٦٤٦) ، الفتح (٢١٣/١٢) .

(٢) البخاري : كتاب النكاح ، باب الغيرة ، رقم (٥٢٢٣) ، الفتح (٣٩٩/٩) .

(٣) الداء والدواء (١٠٩) .

- فُقدان الحيـاء :

وإن ممّا يُبتلَى به صاحب هذه الشهوة الجائرة أن يذهب حياؤه شيئاً فشيئاً ، حتى ينسلخ الحياء من قلبه ، وإن ذهب حياؤه فقد هلَك ، لأن من دواعي ترك الحرام الحياء ، فإذا ذهب الحياء فلا خيرَ يُرجى البتّة .

فعن ابن مسعود قال : قال النبيّ ﷺ : " إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى : إذا لم تستحيي فاصنعْ ما شِئتَ "[1] .

ويعرّف النووي - رحمه الله - الحياء ويُظهر حقيقته فيقول : هو " خلُق يَبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حقّ الله "[2] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قوله : (فاصنع ما شئت) قال الخطابي : الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكفّ الإنسان عن مواقَعة الشرّ هو الحياء ، فإذا تركَه صار كالمأمور طبعاً بارتكاب كل شرّ "[3] .

" فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الوقِح إذا لزم البذاءة كان وجود الخير منه معدوماً ، وتواتُر الشر منه

(١) البخاري : كتاب الأدب ، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، رقم (٦١٢٠) ، الفتح (٦٤١/١٠) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٦/٢) .

(٣) فتح الباري (٦٤١/١٠) .

موجوداً ، لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين ـ الشهوات و ـ المزجورات كلها ، فبقوّة الحياء يضعف ارتكابه إيّاها ، وبضَعف الحيـاء تقـوى مباشـرته إيّاها ، ولقد أحسنَ الذي قـال :

ورُبَّ قبيحـةٍ ما حـال بيـني وبين ركوبهـا إلاّ الحيـاءُ
فكان هو الدّواء لهـا ولكـن إذا ذهب الحيـاءُ فلا دواءُ[1]

ـ سوء الخاتمة :

إن أصحـاب المعـاصي والشـهوات المنحرفـين عـن طريــق الاستقامــة لَيعلمون أن هذه الذنوب ربما حالَت بينهم وبين حُسن الخاتمة ، بل هذا أمرٌ مُشاهَد في كتاب ا لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أحَدَهُـمُ المَـوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أعْمَلُ صَالِحاً فِيمَـا تَرَكْـتُ ﴾[2] ، إلى غـير ذلـك من الآيات الكثيرة في كتاب ا لله ـ عز وجل ـ إذ تُبيِّـن نـدم هـؤلاء العُصـاة وغيرهم عند الموت وعند القدوم عليه ، ويحذّرهم ـ سبحانه وتعالى ـ أن مَن ظلّ على فجوره لايقدّم رِجلاً أو أخـرى إلى التوبـة قيّـض ا للهُ لـه الشـيطان يصدّه عن الهدى ويؤزّه على التمادي في لُجَـج الشـهوات ، حتـى إذا جـاء

(١) روضـة العقـلاء ونزهـة الفضـلاء (٤٨) .

(٢) المؤمنـون (٩٩ ـ ١٠٠) .

يوم القيامة وعاين الهلاك قال : ﴿ ياليتَ بَيْني وَبَينَكَ بُعْدَ المَشْرِقَين فَبئسَ القَرِينِ ﴾[1] ، وغالباً أنه يعاين ذلك عند سكرة الموت أيضاً .

" وذلك لأن مُقارفَة المعاصي سببها غلَبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة ، وجميع ما ألِفَه الإنسان في عُمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته ، فإن كان مَيلُهُ الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله ، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت ، فربما تُقبض روحه عند غلبه شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي ، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى .

فالذي غلَبَت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته ، وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر ـ أي سوء الخاتمة ـ عظيم في حقّه جداً "[2] اهـ .

إلى غير ذلك من الأضرار التي تصيب العبد في دينه فيخسر الدنيا والآخرة ، أعاذنا الله من ذلك .

---

(١) الزخرف (٣٨) .

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٢٧٣) .

الفصل الخامس

الأضرار الخُلقية

تمهيد :

وأين هذا الذي يصف صاحب هذه الشهوة المنحرفة أنه رجل شجاع قويّ العزيمة ، ذو كرمٍ وشرف وعزة نفس ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة .

وهذا الكلام يوجَّه إلى أصحاب الطبائع الطيبة والفِطَر الناصعة ، أي إنك لاتجد إنساناً عاقلاً سليمَ الدّين يصف الداء على أنه دواء ، فتجده حتماً ولابدّ نافراً كل النفرة من هؤلاء المنحطّين الساقطين .

أما أصحاب الدعاية ، وأهل الفنّ والغواية ، يبجّلون كل هذه المظاهر الحيوانية ، وأصحابها هم النجوم الزاهرة ، تقليداً حذو القذّة بالقذّة للبلاد الكافرة الفاجرة .

ولو أُريدَ الاستقصاء لهذه العواقب الخُلقية الوخيمة التي ترفع راياتها على أصحابها فاضحة لهم بين الناس أجمعين ، لَطال المقامُ جداً .

ذلك لأن كل انحراف في الفطرة الإنسانية سببه الانحراف عن الشريعة الإلهية ، وعدم الالتزام بما أمر الله سبحانه ، والإقدام بجرأة بالغة على نواهيه جل وعلا .

وسأتعرّض ـ إن شاء الله ـ لأبرز هذه الصفات السيئة التي يقترفها صاحب هذه الشهوة الخبيثة وأخواتها .

ـ الفُحش والبذاءة في التعامل :

وهذه أول الدركات التي تجعله يُمقَت ويمجّه الجميع ، ويبتعد عنه كل ذي مروءة ودين .

يذهب غيره إلى المسجد بسكينة ووقار ، أما هو إن ذهب إليه ذهب متوتّراً وكأنه ذاهب إلى سجن ، يذهب غيره إلى الصلاة مبكراً حتى يكون من أصحاب الصف الأول ، أما هذا إن ذهب إلى المسجد فهو آخر من يدخل وأول من يخرج .

غيره تعلو كلماته اللطف والسماحة ، أما هذا فظٌّ غليظٌ مبغوض ، هذا الآخر إن أخطأ في حقه إنسان خاطبه برفق : سامحَك الله ، أما هذا الشهواني يردّ السيئة بسيئات ، والكلمة بكلمات ، المسلم الحقّ يعفو عمّن أخطأ في حقه ، أما هذا المريض فيمطر مَن أخطأ في حقه بوابل من الوقاحة والفُحش والكلام الصارخ الذي يتفصّد منه الجبين عرقاً .

غيره ممن التزم بشرع الله بهيّ الطّلعَة ، وضِيء الوجه ، أما هو صار جامد الطبع ملوَّث ، كئيب الطلعة أسود الوجه .

الملتزم بشرع الله نبَراتُه رَقراقة عذبة ، تجذب النفوس ، أما هذا تطبّع بطابع مواخير الفجور ودنس الفضيلة ، وتعوّد على الصراحة المفجعة ،

والكلمات الحمراء الصاخبة ، والصوت الجهوري ، إلى غير ذلك من الصفات الدنيئة ، والمروق من الشرف ونخوة الرجولة الدينية السامقة .

قال تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ مَن أغْفَلْنَا قَلبَهُ عَن ذِكرِنَا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكَانَ أمرُهُ فُرُطاً ﴾[1] .

ـ حيوانية ضارية :

قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِباً عَلى وَجهِهِ أهْدَى أمَّن يَمشِي سَوِياً عَلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ ﴾[2] .

يصف الشيخ سيد قطب ـ رحمه الله ـ هذه الحال ، وهي حالة مَن يمشي مكباً على وجهه بأنها : " حال بائسة تعاني المشقّة والعُسر والتعثّر ، ولا تنتهي إلى هُدى ولا خير ولا وصول ! ، وأين هي مِن حال مَن يمشي مستقيماً سوياً في طريق لا عِوَج فيه ولا عثرات ، وهدفه أمامه واضح مرسوم .

إن الحال الأولى هي حال الشقيّ المنكود الضال عن طريق الله ، المحروم من هداه ، الذي يصطدم بنواميسه ومخلوقاته ، لأنه يعترضها في سيره ويتخذ له مساراً غير مسارها ، وطريقاً غير طريقها ، فهو أبداً في تعثّر وأبداً في عَناء ، وأبداً في ضلال "[3] اهـ .

---

(١) الكهف (٢٨) .

(٢) الملك (٢٢) .

(٣) في ظلال القرآن (٦/٣٦٤٤) .

خلق ا لله الحيوانات وركّب فيها الشهوة ، غير ألاّ عقل عند البهـائم ، فهي لذلك تقضي شهواتها أينما أُتيحَت لها الفرصة ، سواء أكـان ذلـك في خلوة أو في غير خلوة ، لأن هذه طبيعة الحيوانات ! .

فإذا ما جاء هذا الذي كرّمه ا لله وركّب فيه العقل ، ليقود زمـام هـذه الشهوة وغيرها ، فلم يلبث أن غيّر هـذا المخلـوق الضعيـف هـذه السـجيّة عن طبيعتها ، ثم راح يقضي شهوته على أي حال في الخفاء والعلَن ، يجاهر ا للهَ بالكبيرة التي تدنّس العِرض والدين ، ولا يأبَه بنظـر ا لله إليـه ، ويجعلـه أهون الناظرين ، فهو أشرّ من الحيوانات الضارية لإشبـاع رغباتهـا ، ذلـك لأنها ما انحرفَت عن طبيعتها ، أمـا هـذا الفـاجر انحـرف أيّمـا انحـراف عـن الطبيعة وبجوهرها ! .

ـ جبان أينما حلّ :

لقد استعاذ رسول ا لله ﷺ من الجُبن ، وكلنا نستعيذ با لله من الجُـبن ، ذلك لأن الجبان لايجد لنفسه مجالاً إلاّ في أخس الدرجات ، فهو إن وجد ما يستأسد لأجله لايكون استئساده إلاّ على ضعيـف لاحـول ولا قـوة لـه إلاّ با لله ، أما أمام الأقوياء فهو جبان وإن هُضم جميع حقه .

فأي خلُقٍ هذا الذي يجعله يستعلي على الضعفاء ويركع أمام كـل ذي شوكة عليه .

وتجد مَن نوّر ا لله قلبه بالإيمان واليقين ثابت الجأش ، عزيز على أعداء ا لله ، لايخاف في ا لله لومة لائم ، حتى تجد أن من يريد به سوءاً إذا ما واجه هذا الإيمان الراسخ ارتاع منه وارتعدَت أطرافه مهما أظهر من تماسك بُنيانه ، وهذا المؤمن ينظر إليه نظرة المشفق ، وهو كله حرارة إيمانية متوقّدة .

أما الآخر ما تجده إلاّ خائفاً مذعوراً مهما كان له من حق ، وهذه هي شيمة العُصاة الذين طمس ا لله قلوبَهم ، فكما أنهم لم يخافوا ا لله ـ عز وجل ـ وغلّقوا الأبواب والمنافذ ، ﴿ يَستَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولاَ يستَخْفُونَ مِن ا للهِ وَهُوَ معَهُمْ ﴾[1] ، ويبارزونه بالكبائر الجِسام ، فأعقبهم نِفاقاً في قلوبهم ، وجعل عقابهم من جنس عملهم ، فكما أنهم لم يخافوه أخافهم ا لله من كل شيء .

وتجد هذا العاصي ما ترك باباً من أبواب الجُبن إلاّ وقد ولجَهُ ، فهو جبان لاينصح لعلمه بسوء عمله وطويته ، جبان يخاف من كل شيء على وجه هذه الأرض ، قد علقَت به سفاسف الجُبن وتوابعه الذي يجعله حقيراً

(١) النساء (١٠٨) .

صغيراً في عين نفسه ، صغيراً في عيون الآخرين ، ﴿ سُنّةَ الله في الّذين خَلَوْا مِن قَبلُ وَلَن تَجدَ لِسُنّةِ الله تَبدِيلاً ﴾[1] .

ـ تعريته من محاسن الأخلاق :

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله :

اعلمْ أن " أمّهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي : الحكمة ، والشجاعة ، والعفّة ، والعدل ، والباقي فروعها "[2] .

وهل يستطيع أن يقول عاقل نوّر الله قلبه بالإيمان أن صاحب هذه الشهوة الجارفة حكيم أو شجاع أو عفيف أو عادل ، اللهمّ فلا ، أما الحكمة مَن أوتيها فقد أُوتيَ خيراً كثيراً ، وهذا المفرِط أبعد مايكون عن الخير .

أما الشجاعة فأصلها الحكمة ، وإن لم تكن الشجاعة مدعّمة بالحكمة فإنها تُفسِد أكثر مما تُصلح .

والعفّة واضحُ أنه أبعد مايكون منها ، وكذلك العدل .

إذن : هذه الأصول قد عُرّيَ منها صاحب هذه الكبيرة ، وبالتالي لابد أن يُعدَم فروعها كما عُدِمَ أصولها ! ، فأين هذه الأخلاق الرفيعة العالية ؟!

---

(١) الأحزاب (٦٢) .

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٨٩) .

الجواب : ذهبَت ودُمّرَت من إعصار شهوات الفروج العاتية ، المنحرفة عن نهج الله القويم .

ـ انهيار الأخلاق جملةً :

يقول المودودي رحمه الله :

فلابد ومِن " اللازم المحتوم ابتداؤه بالسفاسف الخُلُقية التي تتعلق بهذا الإثم بالضرورة ، فالوقاحة والخديعة والكذب والدغل والأثرة وذواقية الطبع وتطلّعه إلى كل جديد ، والغدر وقلّة الوفاء والخضوع للشهوات وجموح النفس وتشرّد الفكر ، كل ذلك من آثار هذه الشهوة المغلّظة ، ومما لاشك فيه أن مَن يجمع في نفسه هذه الخِصال لاتنحصر آثار سفاسفهِ الخُلُقية في الشؤون الجنسية فحسب ، بل هو يُتحِف ـ الجماعة ـ بهذه الخصال في كل شعبة من شُعَب الحياة "[1] .

(١) الحجاب (١٨١) .

الفصل السادس

الأضرار الدنيوية والاجتماعيَّة

تمهيد :

عجيب أمر العُصاة ! يبارزون ا لله بالعظائم ، ويطالبونه بالإيواء والنّعائم ! هُم لأمر ا لله ورسوله في شِقاق ، ويأملون مع ذلك بسعةِ الأرزاق .

قد أخذوا على عواتقهم متابعة الشيطان الرّجيم ، ويرجون ملاحظة وعناية الرّب الرّؤوف الرحيم ، ثملَت من الوُلوغِ في الحرام فروجهم وأبدانهم ، ويطلبون من الستّار حِفظ ذويهم وأبنائهم .

يا أيّها العُصاة : ألَم تسألوا أنفسكم لحظة واحدة من أين أتاكم هذا الهمّ والغمّ والأنكاد التي تعيشونها ؟! من أين جاءكم الفقر والعوز ؟! ألَم تسألوا أنفسكم ما الذي غلّق أبواب الخير في وجوهكم ؟! ما الذي منع عنكم قطر السماء ؟ ما الذي زلزل الأرض تحتكم وجعلها بلاقع لاتمسك ماءً ولا تنبت كلأً ؟ ما الذي سلّط الجراد والحشرات على زروعكم فأهلكَها ، وعلى أرزاقكم فدمّرَها ؟! .

إلى غير ذلك من الأسئلة التي غفل عنها العُصاة المتهتّكون ، مع أن الإجابة عن هذه الأسئلة أسطع من نور الشمس في رابعة النهار ، ومع أن كل عاصٍ يعيش مرّ النتائج التي حصدها من عمله ، ثم هو في غفلة عن كل سؤال يجعله ينتبه قبل فوات الأوان .

- حرمان الرزق :

وهذا أمرٌ مُشاهَد ومعلوم لدى العُصاة أنفسهم ، لذلك تجد أهل الزنا وهذه الفواحش القذرة هم على العموم من أفقر الناس حالاً ، ولئن كانت الطبقات الرأسمالية قد عجّت فيها الرذائل ، فإن الواقع يشهد في كثير من الطبقات والبلدان أنه قد غيّر الله أحوالهم ، فصاروا بعد أن كانوا أغنى الناس مالاً أفقَر وأفقر مَن وُجد على وجه الأرض ، ولئن أبقاهم الله على غيِّهم وفجورهم فلقد أخبرنا وطمأنَ قلوبَنا بقوله هم في الآخرة : ﴿ أذْهَبتُمْ طَيِّباتِكُم في حَيَاتِكُمُ الدُّنيا واسْتَمتَعْتُم بِهَا فَاليومَ تُجزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُم تَسْتَكبِرُونَ في الأرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَبِما كُنتُم تَفسُقُونَ ﴾[1] .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ الله يَجعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِن حَيثُ لاَيَحتَسِب ﴾[2] .

فكما أن التقوى مخرج للإنسان من العوز والفقر ، فكذلك بمفهوم المخالفة نعلم أن المعصية سبب في عدم الرزق وشدة ضيقه ، حتى تسودّ الدنيا في وجه ذلك العاصي .

فعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبدَ لَيُحرم الرزق بالذنب يُصيبه . . "[3] .

---

(١) الأحقاف (٢٠) .

(٢) الطلاق (٢ ، ٣) .

(٣) إسناده صحيح : المسند (٢٢٣٣٧) ، يُنظر إلى تحقيقه في المسند (٢٩٢/١٦) .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " إنَّ روحَ القدُس نفَثَ في رَوعي أنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها ، فاتّقوا الله وأجمِلُوا في الطلب ، فإنه لايُنال ما عند الله إلاّ بطاعته . . "[1] .

معنى ذلك أن مَن عصى الله تعالى لن ينال ما عنده إلاّ إذا تاب وأطاعه .

ـ العذاب والدَّمار :

قال تعالى : ﴿ فَكُلاًّ أخَذْنَا بِذَنبه فَمِنهُم مَنْ أرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ومنهم مَن أخَذَتْهُ الصَّيحَةُ وَمِنهُم مَن خَسَفْنَا بِهِ الأرضَ وَمِنهُم مَن أغْرَقْنَا وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكن كَانُوا أنفُسَهُمْ يَظلِمُونَ ﴾[2] .

وهذا هو حال الأمم السابقة التي فجرَت واستمرّت في فجورها ، وكذّبَت واستمرّت في تكذيبها ، عاقبَها الله في الدنيا ، ولَعذاب الآخرة أشدّ وأنكَى ، وكذلك الحال مع هؤلاء العُصاة ، فهم معرّضون لِما نال الأمم من قبلهم ، وإلاّ فما هو السبب لِما حصلَ لهذه الأُمم إذا لم يكونوا مُذنبين .

يقول الإمام ابن القيّم : " وما الذي سلّط الريح على قوم عاد حتى ألقَتْهم موتى على وجه الأرض كأنّهم أعجاز نخلٍ خاوية ، ودمّرَت ما مرّت

---

(١) صحيح : تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجَها الإسلام ، رقم (١٥) .

(٢) العنكبوت (٤٠) .

عليهم من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابّهم ، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة ؟! .

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كِلابهم ، ثم قلبها عليهم فجعَل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً ، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمّة غيرهم ؟! ولإخوانهم أمثالها ، وما هي من الظالمين ببعيد ! "[1] .

إلى غير ذلك من العذاب والدمار ، ما الذي سلّطه على هذه الأُمم إلاّ الذنوب العظيمة التي أوبقَتْهم في هذا الدمار الشامل .

فعن أم سلَمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : " إذا ظهرَت المعاصي في أمّتي عمّهُم الله بعذاب من عنده . . "[2] .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله "[3] .

(١) الداء والدواء (٦٦) .

(٢) صحيح : الصحيحة رقم (١٣٧٢) ، والمسند رقم (٢٦٤٧٥) ، قال المحقق : إسناده صحيح .

(٣) حسن : حسّنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، رقم (٣٤٤).

ـ شيوع الفساد :

قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسَادُ في البرِّ وَالبحرِ بِمَا كَسَبَت أيْدِي النَاسِ لِيُذِيقَهُمْ بعضَ الّذي عَمِلُوا لَعلَّهُمْ يَرجِعُونَ ﴾[1] .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :

" أي : استعلن الفساد في البرّ والبحر ، أي : فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها ، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك ، وذلك بسبب ما قدّمَت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها ﴿ لِيُذِيقَهُم بعض الذي عمِلُوا ﴾ أي : ليعلموا أنه المجازى على الأعمال فعجّل لهم أنموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا ﴿ لعلَّهُمْ يَرجِعُون ﴾ عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت ، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم .

فسبحان مَن أنعمَ ببلائه ، وتفضّل بعقوبته ، وإلاّ فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ماتركَ على ظهرها من دابَة "[2] .

وما شاع من الفساد واستشرى لإرضاء لوازم هذه الشهوة وغيرها من بنات جنسها ما عمّ وطمّ في البلاد الإسلامية من الاختلاط السافر الماجن في البيوت والطرقات ، والشوارع والأسواق ، وكذا الاختلاط العاهر على شواطئ الحب والهُيام ، وهذا أشدّ وأشدّ .

---

(١) الروم (٤١) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٥٩٢) .

وكذا ذيوع نوادي الفيديو التي انسلخ من قلـوب أصحابهـا الإيمـان ، فميّعوا رجولة الشباب وخنّثوها مما يعرضونه من أفلام الأسافل والأنـذال ، فأوقدوا غرائزهم فأشعلوهـا حتى أكلَت الأخضر واليابس .

وأيضـاً انتشـار دور السـينما في الميـادين والأحيـاء ، يجلـس الشـاب والرجل بجوار الفتاة تحت خيوط الأنوار الملوّنـة التي تسطع علـى الشاشـة ، فتبـدو المشـاهد الخسيسـة الطبيعيـة فتلتهـم الأبصـار والقلـوب والمشـاعر الحيوانية ، كل ذلك في الظلام الدامس ، وكل مـن الرجـال والنسـاء علـى مقربة شديدة من الآخر ، إلى غير ذلك من مظاهر الفساد المنتشـرة بسـبب هذا الداء .

ـ الطواعين المستجدّة والموت والأوجاع :

عـن عبـد الله بـن عمـر قـال : أقبـل علينـا رسـول الله ﷺ فقـال : " يامعشر المهاجرين ! خمسٌ إذا ابتُليتُم بهنّ ، وأعوذ با لله أن تُدركوهنّ : لم تظهـر الفاحشـة في قـومٍ قـطّ حتـى يُعلِنُـوا بهـا إلاّ فشـا فيهـم الطـاعون والأوجاع التي لم تكن مضَت في أسلافهم الذين مضوا . . "[1] .

قال السنـدي : " لم تظهر الفاحشـة : أي الزنـا "[2] .

---

(١) حسـن : رواه ابن ماجة ، كتـاب الفـتن ، بـاب العقوبـات ، رقـم (٤٠١٩) ، وحسّنـه الألبـاني في الصحيحة رقم (١٠٦) ، وفي صحيح ابن ماجة رقم (٣٢٦٢) .

(٢) سـنن ابن ماجة بحاشية السنـدي (٣٦٨/٤) .

وما الأمراض الجنسية الفتّاكة عنا ببعيد ، فلقد ظهر الشبح المخيف والموت البطيئ (الإيدز) ، ولَكَم رأينا جميعاً وسمعنا عن هذا الداء الخطير الذي يجعل صاحبه رهن العُزلة والانفراد حتى يأتيه الموت ، وهو طريح الفراش قد هجَره الخلاّن ، بل وأحرقوا كل ما لمسته يداه من أسرّة وفرُش ونحو ذلك خوفاً من العدوى ، وكذلك هناك الزُّهَري والسيلان وكثير من الأمراض المستجدَّة التي لم تكن من ذي قبل ، بسبب هذه الفاحشة وزميلاتها .

بل ولقد رأينا أن أقصر الناس عمراً في الغالب هؤلاء السُّكارى الفجرة أصحاب العُهر والمجون ، وأزقة الخنا ، والفساد الفاحش ، ومصداق ذلك ماروا عبد الله بن بريدة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " . . وما ظهرَت فاحشة في قومٍ قط إلاّ سلّط الله ـ عز وجل ـ عليهم الموت . . "[1].

فدُنيا حالها طواعين فتّاكة ، وأوجاع تنغّصها ، وموت قد اشتدّ نشبه ، فعليها السلام .

لأن دُنيا حالها هذا ، هي أسرع للفناء منها إلى البقاء .

(١) صحيح : السنن الكبرى للبيهقي : كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة . . رقم (٦٣٩٨) ، وصحّحه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٧) .

- انقراض الحياة بأسرها :

وشرح المسألة : أنه إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، فسيؤدي ذلك إلى العُزوف عن الزواج ، وبالتالي سينقرض النسل شيئاً فشيئاً حتى يُباد جميعه .

وكذلك إذا اكتفى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل بطريق غير شرعي ، فسيؤدي ذلك أيضاً إلى انقراض النسل ، وذلك بتوفر أسباب الوقاية التي تمنع الحمل خوفاً من الفضيحة وتحمّل المسؤولية وتَبِعاتها .

هذا من جانب النسل ، أما من الجانب الآخر فسنجد أن الأمراض الفتّاكة المُخزية ستؤدّي أيضاً إلى كثرة الموت ، وبالتالي ستنقرض كذلك الحياة شيئاً فشيئاً كما نوّهْتُ آنفاً .

وسنجد أيضاً العقوبات الإلهية التي تدمّر الأرزاق ولوازم المعيشة ، حتى لانكاد نرى نهراً من الأنهار أو مصب مياه أو تجمّعاً لمياه الأمطار ، إلاّ وقد أُصيب هذا الماء بما عرف في هذه الآونة بالتلوّث البيئي ، فلا يُحصى كَم من الحيوانات نفقَت وماتت ، وكم من الزروع اجتاحها الدمار قبل حصدها بقليل ، ولقد سمعنا كثيراً عن التسمّم الذي أوْدى بحياة كثير من البشر ، تارةً من التلوّث البيئي - على زعمهم - وتارةً أخرى من تعفّن آلاف الجثث التي أُلقيَت في الأنهار على إثر حروب سببها ما قدّم الإنسان من نسيان لهذا الدين ، وإشباع رغباتهم على شتّى تنوعها من الحرام .

إلى غير ذلك من الأضرار التي تتكبّدها الدنيا من استهتار الإنسان بحُرُمات الله ، ولا ننسى الزلازل التي زلزلَ الله بها بيوت الفسقة المخمورين ، فلا يمرّ وقت تِلوَ آخر حتى تطلع علينا النشرات بأخبار الزلازل التي راح ضحيّتها ملايين من البشر في كثير من أصقاع الأرض .

ـ كثرة الجرائم :

يقول الدكتور فضل إلهي حفظه الله :

" كثرة الجرائم من النتائج المنطقية للإباحية الجنسية ، وذلك لأنه يترتب على انتشار الزنا كثرة أولاد الحرام ، وهؤلاء يفقدون الحب والحنان ، وهذان من أهم مايحتاج إليهما الطفل ، فينشأ في نفوسهم إحساس بالحرمان ، ويولد لديهم بُغض المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويريدون أن ينتقموا ممّن حولهم ، وحين يبلغون سنّ الرشد يلجأُون إلى هتك الأعراض وسلب الأموال وقتل النفوس ، يُضاف إلى هذا أن الزنا في ذاته سبب لكثير من الجرائم ، فكم من جرائم سرقة تُرتكب حتى يتمكن السارق أن يسكب الأموال المسروقة على أقدام البغايا ، وكم من نفوسٍ تُقتل في سبيل ارتكاب الفاحشة .

وإذا أُبيح الزنا فالشابّ يريد أن يمارس العلاقات الجنسية مع أية فتاة أعجبته ، رضيَت هي أم أبَت ، فيستخدم كل الوسائل لنيل هدفه منها ، من غير مبالاة بالقانون أو الأخلاق .

لقد أضحى اغتصاب الفتيات أمراً عادياً في المجتمعات التي انتشر فيها الزنا ، وتنقل الجرائد حوادث الاغتصاب كل يوم ، وتعترف بها التقارير ، فقد ذُكر في التقرير الذي نشرته وزارة العدل الأمريكية عن الجرائم التي ارتُكِبَت خلال سنة ١٩٧٧م مايلي :

" تُغتَصب فتاة بعد كل ثماني دقائق في الولايات المتحدة الأمريكية ، وارتُكبَت ٦٣٠٢٢ جريمة اغتصاب للفتيات خلال سنة ١٩٧٧م " .

ولو لم تكن هناك إلاّ جريمة اغتصاب واحدة لَكان فيها كفاية للدلالة على شناعة هذه الانحرافات الجنسية ، وهل يقتنع بهذا إلاّ مَن كان له قلبٌ أو ألقَى السّمعَ وهو شهيد ؟! "[1] .

ـ بعض الحوادث المذهلة :

" ذكرَت جريدة الأهرام القاهرية في عددها الصادر في ١٩٦٥/٥/٧م الخبر التالي : " أصدرَت الجمعية البريطانية لمعالجة الشذوذ الجنسي تقريراً اليوم قالت فيه : (إن مليون رجل في بريطانيا ـ وربما أكثر ـ مُصابون بالشذوذ الجنسي) ، ونقلَت أخبار اليوم القاهرية في ١٩٦٥/٤/٢٤م هذا الخبر : (خرجَت النساء السويدات في مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجاً على إطلاق الحريّات الجنسية في السويد ، اشتركَت في المظاهرات مائة ألف امرأة) ، وذكر جورج بالوشي في كتابه " الثورة

(١) التدابير الواقية من الزنا (٧٨ ، ٧٩) .

الجنسية " مايلي : (وفي سنة ١٩٦٢م صرّح كنيدي بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحلّ ، غارق في الشهوات ، لايقدّر المسؤولية المُلقاة على عاتقه ، وأن من بين كل سبعة شُبّان يتقدّمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أُغرِقوا فيها أفسدَت لياقتهم الطبية والنفسية) ، وذكر كذلك : (في نيسان سنة ١٩٦٤م أُثيرَت في السويد ضجّة كُبرى عندما وجّه ١٤٠ طبيباً من الأطباء المرموقين مذكّرة إلى الملك والبرلمان ، يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدّد حقاً حيوية الأمّة وصحتها ، وطالب الأطبّاء بقوانين ضد الانحلال الجنسي) .

ويكتب القاضي " بن لندسي " في كتابه [تمرّدالنشء الجديد] : (أنّ الصِّبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السنّ الباكرة جداً ، يشتد فيهم الشعور الجنسي) "[١] .

إلى غير ذلك من الحوادث كثير جداً موجود أمامي أستحيي وا للهِ من كتابته ، وإن كان هذا التقرير في دولة الإباحة ، فلا ريب أن أنقله ، لأن معظم الشعوب ـ إن لم يكن جميعها ـ قد سارَت وراء هذه الدول الكافرة في كل شيء ، فإلى هؤلاء أبواق الغرب ، أحذّرهم من عذاب ا لله الذي لايُردّ .

(١) إلى كل أب غيور يؤمن با لله (٣٥ ، ٣٦) .

ولو أردنا أن نبحث عن التقارير الرهيبة الموجودة في بلاد الإسلام ، لَوَجدنا كذلك نسبة من هذه الحوادث لايُستهان بها ، فإلى الله المُشتَكى! .

الفصل السابع

الأضرار النفسية

تمهيد :

إن الأضرار النفسية هي الرفيق القريب لأصحاب هذه الشهوة المنحرفة ، لأن الذي يعبد الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، تجده أسعد مَن يمشي على وجه الأرض ، فمهما ضاقت عليه الدنيا بأسرها ، ومهما هجرهُ الخِلاّن والإخوان ، ومهما قُيّد بأغلال الحياة النكدة فهو في رغدٍ من العيش وبسطة في النفس ، وانشراح في الصدر ، وأُنس با لله أنساهُ ويُنسيه كل هذه الأوهاق المتعبة المُرجِفَة ، ومصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ مَن عَمِلَ صَالحاً مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

فهي حياة طيبة مهما حملت في طويّتها من مكارِه للإنسان ، ذلك لأن المؤمن يقابل ذلك برضىً وتوكُّل يُثمر له البهجة والسرور مهما كان ، فلايحزن على مفقود ، ولا يفرح بموجود .

أما الآخر ـ وهو ذلك التعيس ـ الفاقد للصواب ، المعتمِد على الأسباب ، التّائه في دروب السراب ، المحروم من كل خير ، المكردَس في

(١) النحل (٩٧) .

كل شرّ ، فهو دائماً وأبداً في فلوات وقِفار الهموم والغموم ، قد سُلّت منه حلاوة الإيمان ، قد ألِفَ صوت الغِربان ، باتَ وأضحى سكران .

تعالَ يا مَن تريد العلاج لهذه الحالة المنكوبة ، لتتعرّف على هويّتها وأمزجتها ، إن المكان الذي تذهب إليه هذه الحالة الآسِنَة من الرّوتين الفاضح هو كل حِكر ووكْر مشبوه ، لماذا ؟! .

لأن هذه الخبايا بها ما بها من كل سلعة تحبّها نفس ذلك المعربد ، صاحب الغواني السافلات ؟! .

فيذهب إلى كل مكان هو على شاكلة معطنه ومبركه المحبب ، وينفر من كل مكان يحول بينه وبين موائده الغضّة الشهيّة ، ولو أردت التفصيل لهذه الخبايا وهذه الموائد لانبرَى القلم رافضاً أن يمضي خجَلاً وحياءً أن يخطّ بسنّهِ مايذرف الدمع أو يصمّ السمع .

ومن هنا كانت الرؤيا واضحة جليّة ، أن سبب هذه الأوباء النفسية ، والأدران القلبية التي اكتوى بها الفؤاد هذه الفوضى الجنسية التي اشتدّ سعارها حتى تولّدَ الشّبق الذي يصعُب علاجُه إلاّ إذا وفّقَ الله تعالى .

فمَن أراد مِن هؤلاء العُصاة الجباة للسموم القاتلة في الحال أن ينفكّ من هذه الغابة الموحِشة ، وأعني بها هذه الحيرة المريرة الدائمة من هذه

البلايا والرزايا النفسيّة لابد أن يقلع في الحال ثم يندم ويتوب توبة صادقة ، عساها تنفرج هذه الكُربة الكئيبة .

فإن أبَى ذلك العاصي هذا العلاج ، فلا علاج سواه ، بل هناك أخطار وأضرار وقيود غير ما سلَف كثير وكثير . .

ـ مأساة نفسيّة :

ومن هذا الكثير ، أعني مِن هذه الأزمات والأدغال النفسية التي عانَى منها اللّأواء والنّصَب ، هذه الأزمة ، بل المأساة النفسية التي يحياها هذا اللاّهِث وراء شبقِهِ في كل مكان .

فتجده دائماً تعلو مسحات وجهه سحابة كثيفة السّواد يراها مَن نوّر الله قلبه بنور الإيمان ، ويراها مَن أُعطيَ فِراسة تشعّ سواداً مِن وجه هذا العاصي .

تنتابه حالات من الضّيق والاختناق والكآبة ، ولا يدري ما السبب ؟! فجوات غائرة في نفسه وكيانه وحياته ، لايستطيع مقاومتها ، بل استسلَم لواقعه المرير ، كالدُّمية لايستطيع حِراكًا .

إمَّعة لايستطيع ولا يقدر أن يقرر أمراً ما ، فهو لايَشْجع على أن يأخذ قرارات لنفسه بنفسه ، فهو دائماً متردد عديم الثقة بنفسه ، فكيف

بغيره ؟! فهو دائماً مُذبذب بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾[1] .

صدره في ضياع وضيق ، مِن آنٍ لآخر يدخل في خِضَمّ حرب نفسية تستغرق معظم وقته ، مع إرهاق الذهن في دائرة فارغة ، وفي النهاية يخرج بلا شيء . . . ! .

يُصاب كثيراً بحالات من الإعياء الذهني الذي ينعكس عليه باصفرار في الوجه ، وذبول واغورار في العين ، ونُحول الجسم ، تنتابُه نَوْبات من التوتّر الذي ربما يسبب له عقبات مع أقرب الناس إليه ، قد صاحبه الاكتئاب مع توافر دواعي الراحة والمتعة ، شارِد الذهن ، يتصنّع الضحكات ـ هذا إن حصل منه خلسةً ـ وربما يؤول به نهاية المطاف إلى ما لاتُحمد عاقبته من ضيق الروح ، وشعورها بالغربة والوحشة الشديدة عن الجسد ، فتتوق إلى الانتحار ! ، وكم سمعنا هذا ، بل إن هذا ما تراه واضحاً ، لايحتاج لمزيد بيان في دول الكفر والبغي والفجور والعُهر والإلحاد .

وربما يغلب على عقله فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً ، وهذا هو الهلاك ، حياته لايستطيع أن يحدّد لها هدفاً يعيش من أجله ، عنده قلق

(١) النساء (١٤٣) .

مستمر ، ينام بصعوبه من كثرة أرقِهِ وتقلّبه من وخز الضمير وتأنيبه ، هـذا إن كان له ضمير ! .

لايستطيع أن يواجه مشاكل الحياة ومعتركها بتعقّل وصـبر وطمأنينـة ، فهو في هلعٍ منها ومن غيرها .

عنـده سـوء ظـنّ بالنـاس ، وعنـده حـذَر دائـم ممّـن يسـتحق وممّـن لايستحق ، عنده انطواء نفسي يستر به ما أفقده توازنه ، أُمنيتـه أن ترتـاح سريرته ، وأن يفوق مِن سُباته ، وأن يصحو مـن سَكرتِه ، وأن يحيـا حيـاة هنيئة مريئـة طيّبـة .

ولكن . . كيف ذلك ؟! وهو في أمواج العصيان يسـبح ، وكلمـا مـرّ على لحمٍ مُنتِن ينبح ! نعوذ با لله من الخُـذلان ! .

الفصل الثامن

الأضرار الأسريّة

تمهيد :

لو نظرنا في أي مجتمع إسلامي ، ودقّقنا النظر في الفساد الذي طمس هويته ، ومسخ معالمه ، لوجدنا أن القائمين بهذا الفساد والانحلال ، والناشرين له المؤيّدين لاستعلائه أنهم إمّا أرباب أُسَر ممسوخة التربية الإسلامية ، وإمّا أبناء أُسَر قد غُفل عنهم ولم يُوجَّهوا الوجهة الصحيحة السليمة .

أي أصل الفساد إمّا أب ضيّع رعيّته ونفسه ، وإما ابن أو بنت قد احتوشتهما البارات والخمّارات في غفلة من أهلهما ، وكلاهما شرٌّ قد استشرى في كثير من بلاد الإسلام ، والسبب هو غلَبة الأهواء وتسلّطها على أفراد الأسرة التي أصبحَت شذر مذر ، لا رقابة واعية ، ولا رِباط إيماني ، ولا تربية إسلامية ، ولا غيرة على الأهل ، إلى غير ذلك ممّا استفحَل في كيان كل أسرة حيثما وُجد بينها هذا الخلل .

وكل بيت عجّت فيه هذه الفاحشة فهو حتماً ولابد أن يدفع ثمن ذلك غالياً مِن شرفه وعِرضه وسُمعته ونظامه ، ومن هذه المصائب التي تحلّ على هذه الأسرة المشرّدة مايلي :

- كما تدين تُدان :

أيظنّ هذا الزاني الفاجر أن الله سيمهله ، ويجعله يمضى قُدُماً يكرع في أعراض الناس ، دون أن يجعله عبرة بين الناس عَلِمَ أو لم يعلم ؟! .

يقول الإمام الشافعي :

عِفُّوا تعفّ نساؤكم في المحرمِ ... وتجنّبوا ما لايليق بمسلمِ
إنّ الزنا دَين فإن أقرضتَه ... كان الوفا مِن أهل بيتكَ فاعلَمِ[1]

وقال أيضاً :

يا هاتكاً حُرمَ الرّجال وقاطعاً ... سُبل المودّة عِشتَ غير مُكرّمِ
لو كنتَ حُرّاً مِن سُلالةِ ماجدٍ ... ما كنتَ هتّاكاً لِحُرمةِ مُسلمِ
مَن يزنِ يُزَن به ولو بجداره ... إن كُنتَ يا هذا لبيباً فافْهَمِ[2]

ولو استطردنا لهذه الوقائع المخزية التي كسَت الدار سواداً ، ونكّسَت أعناق الرجال الشامخة ، لطالَ الخطب جداً ، ولكن نكتفي بالإشارة لتوارد مثل هذه الفجائع على كثير من الألسنة ، وإن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على ذيوع الفساد وانتشاره .

وهذه قصّة خلاصتها أنه كان هناك رجل ذو صفات حميدة ، فلما ذهب إلى بلاد الغرب ، رجع وهو إنسان آخر ، أخذ يدعو إلى التهتّك

(١) ديوان الإمام الشافعي (٩٧) .

(٢) المرجع السابق .

والسفور ، فجادلَه صديقه على انحرافه هذا ، فلم يكن منه إلاّ أن ردّ عليه رداً في منتهى الإباحية ، فسأله صديقه : " هل تأذن لي أن أقول لك إنك عِشتَ فترة طويلة في ديار قومٍ لا حجاب بين رجالهم ونسائهم ، فهل تذكر أن نفسكَ حدّثَتك يوماً من الأيام وأنت فيهم بالطمع في شيء مما لاتملك يمينك من أعراض نسائهم فنِلتَ ما تطمع منه من حيث لايشعر مالكه ؟! قال : ربما وقع لي شيء من ذلك ، فماذا تريد ؟! قلت - أي صديقه - أريد أن أقول لك إني أخاف على عِرضك أن يلمّ به من الناس ما ألمّ بأعراض الناس منك . . "[1] .

وفي نهاية الحوار لم يقتنع هذا الرجل بنصائح صديقه ، وركب رأسه ، وأطلق العنان لزوجته وقد خلع عنها الحجاب تذهب أينما شاءت وتُحاكي مَن شاءت لثقته بها - كما يزعم - وكانت النهاية أن ضُبطَت زوجته مع صديقٍ له في إحدى الشّقق المفروشة ، وكانت نهايته الموت كمداً وحسرةً كيلاً بكيل ، وما ربُّكَ بظلاّمٍ للعَبيدِ .

هذه إشارة ، وإلاّ فالفضائح كثيرة ، نسأل الله السّتر في الدنيا والآخرة .

---

(١) الموضوعة : مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة يُنظر من (٧٤٠) إلى (٧٥٥) أوردتُ منها محل الشاهد لأن القصة طويلة .

ـ ضياع الأولاد :

وهذا أيضاً من الآثار الخبيثة ، التي تتكبّدُها الأسرة إذا ما فشا فيها هذا الداء المزعج ، وهو ضياع الأبناء ذكوراً كانوا أو إناثاً .

وإني لأذكرُ حادثة رأيتها بعيني منذ مايقارب عام ونصف ، وتتلخّص هذه القصة في الكلمات التالية :

كنت ذات يوم أسير في بعض الشوارع لحاجةٍ ما ، والشارع مليء بالناس كعادته ، ولكن في هذه المرّة التي كنت أسير فيها رأيت أمراً مُلفتاً للنظر ظننتُه حادث أو شِجار بين بعض الأشخاص ، رأيت أُناساً يقفون دوائر على مقربة من سيارة شرطة ، بجوار هذه السيارة ــ أي سيارة الشرطة ــ سيارة أخرى نزل منها شابان وفتاتان ، والخطبُ أن هذين الشابّين تواعدا مع هاتين الشابّتين على اللقاء في هذا المكان ، وصفة هذا المكان أنه مليء بالأشجار ، هادئ ساكن لايمرّ به إنسان ، وكان اللقاء بين الأربعة في السيارة الفخمة في هذا المكان تحت جُنْح الظلام الدامس في الساعة العاشرة ليلاً تقريباً ، مع العلم أن هذا المكان لايوجد به أي ضوء نهائي ، ولعلّ الشرطة كانت تراقب هؤلاء الفتية الذين أطاعوا الشيطان ، فازدادوا خُبثاً ولؤماً حتى تمّ هذا اللقاء المُريب بينهم ، ولكن سرعان ما انكشَف المستور وضبطَتهم الشرطة في هذا الوضع الفاضح ، واصطحبوا الأربعة ، مُخنّثان وفاجرتان ، إلى مقرّ الشرطة لاستدعاء أولياء أمورهم

ليبشّروهم بِحُسن التربية والرعاية ، وليبيّضوا وجوه الآباء بهذا الموقف المشرّف الذي جعل الأمّة تجرجر وراءها أذيال الذلّ والعار ، والركوع في واحة إهدار الكرامة ، والتقليد لإخوان القردة والخنازير في كل مايجلب التأخّر والدمار ، حتى صارت الخلية الكبرى ـ وهي الأسرة ـ ضائعة يوم أضاعَت أولادها ، وتركَت لهم الزمام حتى صار الحال شراً لايستوعبه المقال .

وذكر شيخنا الفاضل الشيخ : سعد الحجري ـ حفظه الله ـ في كتابه " الأعمال بالخواتيم " هذه الفاجعة الأخرى التي يُدمَى منها القلب ، قال حفظه الله :

" وقد ذكر لي أحد الأحبّة في الله وهو من الثقات ، نحسبه والله حسيبُه ولا نزكّي على الله أحداً ، في ليلة الجمعة التي توافق ١٤١٥/٢/٢٧هـ أن أحد أصدقائه في العمل كان يُكثر البكاء ولا يرى لبكائه سبباً ، وتكرّرت هذه الحالة مرّات عديدة ، ولم يجرؤ على سؤاله لأنه أمرٌ خاص به ، وخشي أن يثير أحزانه أكثر مما هي عليه .

ومرّت أيام كثيرة ، والرجل يزداد ألماً وحُزناً فقال : أسأله وأستخبر أمره لأعرف حاله ، فإن كان خاصاً أقنعَني ، وإن كان لمشكلة حاولتُ مساعدته بقدر ماأستطيع . . وتحيّن الفرصة حتى وجدها فقال له : ياأخي : أراك تُكثر البكاء ، فما الذي يُبكيك ؟! أشفقتُ عليك من كثرة

أحزانك ، قال : إنها قصة محزنة يتقطّع لها القلب ، ويُندى لها الجبين ، وكثيراً ما كان يُظهر التأوّه والتحسّر ، فاستعجلْتُه وقلت : أخبرْني بالقصة لأساهم في التخفيف من معاناتِكَ ، فقال لي على استحياءٍ شديد ، والعرَق يتصبّب من وجهه : لقد كان لي صاحب سيّء سحبني إلى الشرّ معه ، إذ كانت له صديقة يواعدها ، ويخرج بها ، ويقضي معها بعض الوقت ثم يعيدها إلى أهلها ، ولعلّ ذلك في وقت الدراسة حتى لاتنكشف ، وفي يوم من الأيام اتفقتُ معه أن يأتي بها في مكان من الأمكنة لايلفت النظر ، فأخذها على حسب الموعد الشيطاني ، وعند ركوبها رآها صبيّ صغير ، فهدّدتهُ ألاّ يخبر عنها ، ومضَت مع قرينها ، وكنتُ ـ أي المتحدِّث شاهد القصة ـ أنتظرهما لأشاركهما في جريمتهما ، ولكنهما عدَلا في سيرهما حتى وصلا إلى قبو تحت عمارة لم يكتمل إصلاحها ، وجعلا مؤخرة السيارة إلى مدخل القبو ، ولم يُطفئ السيارة ، فدخل غازها في القبو ، وهما فيه ، حتى أُغمي على المرأة وماتت في الحال ، وأُصيب الرجل بدوران في رأسه وصداع شديد يصرعه حيناً ، ويقوم حيناً حتى وصل إلى مؤخرة السيارة فسقط من قامته وأُغمي عليه ثم مات .

وشاع خبرهما في أوساط الناس ، وحضر رجال الأمن فوجدوهما قد فارقا الحياة على غضب الله وسخطه ، وغابت عنهما مراقبة الربّ تعالى ! فماذا يقولان لله تعالى إذا سألهما عن صنيعهما ؟! ، وماذا يقول وليّ المرأة

لربّه إذا سأله عن موليته ، وعدم القيام بحقّها من الرعايـة والملاحظـة ـ لأن القوامة له ـ وتساهله في تزويجها ، وعدم منعها من المثيرات للشهوة ! .

لقد جنى ثمرة تفريطه ، فذاق مرارة الدنيا ، عاش كئيباً حزينـاً منكّسـاً رأسه بين الناس ، وله عند الله في الآخرة ما قد كتبه المولى له ، وهو الـذي يتولّى عباده .

فهل يعي الأولياء والآباء حقوق الأولاد ، ويؤدّونها كاملـة بـلا نقـص ليحفظوا أعراضهم ، ويحفظوا أعراض المسلمين ؟! "[1] .

ـ رحيل الأمن والاستقرار وفساد القيادة :

إن الأمن والاستقرار دربٌ مـن دروب الحيـاة الطيبـة ، ولا تكـون إلاّ للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وبيتٌ كهذا هـشّ الأسـاس ، زائـف البنيـان ، لـن يـدوم طويـلاً حتـى يصبح هباءاً منثوراً ، فالشـتاء والريـاح الشـديدة وعوامـل التعرية سـرعان ماتفتك بهذا البنيان البالي حتى ينزعج البيت من أدنى ريح أو مطر ، خوفـاً من السقوط .

وكذلـك البيـت والأسـرة الـتي لم تُنشـئ رعاياهـا تنشـئة سـليمة ، ولا علّمتهم مبادئ الدين العظيمة حتى تحميهم من تقلّبات الأوضـاع الراصـدة لشباب الأمة ، وحتى تحميهم من بهرج المدنية الغربيـة التي وجدَت لها مـن

---

(١) الأعمـال بالخواتيم (٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

السدنة ما حماها وربّاها حتى جرفَت بعقول الشباب ، وزلَقَت بأرجلهم في ركب الضياع ! .

إن هذه الأسرة التي ألقَت بفلذات أكبادها هكذا لَتذوقنّ مرارة فعلها وليرحلنّ عن هذه الأسرة كل أمن واستقرار ، ولَتعيشنَّ هذه الأسرة حالة استنفار دائماً لأدنى زوبعة يقوم بها أعداء الدين الحقيقيّون ، أو المارِقون المخادِعُون .

ذلك لأن الأسرة ستُدرِك ولكن بعد فوات الأوان ، ستدرك أنها أضاعَت أبناءها ، وذلك عندما يرون الظلام الحالك بالمجتمعات الإسلامية في كل مكان ، في وقت أنهم قذفوا بأبنائهم منذ نعومة أظفارهم إلى خارج الأسرة في وسط هذه المعركة الضارية ولم تحصِّن الأبناء بأمصال قوية تقاوم هذا الداء الفتّاك بلوازمه .

فدرَج الأبناء بلا حصانة في وسط هذه الجراثيم والبكتيريا القاتلة ، فرجعوا إلى البيت وقد نهَكَت أبدانهم هذه الميكروبات الحادّة !

عند ذلك فطن الآباء لِما أصاب فلذات الأكباد فراحوا يستأصلون الداء فما استطاعوا لاستفحال المرض ، وثانيا لضعف بُنيان الآباء جسداً وعقلاً ، عندئذٍ راحوا يقرعون سنّهم ، ويعضّون أصابعهم ، ويخمشون ضمائرهم ، وذلك لأن أيديهم أوكَت وأفواههم نفخَت ، هذا إن كان في الآباء بقية خير حصل لهم الندم إن عجزوا عن الإصلاح ، ولَربّما كانت

الطامّة وهي أن تقتلهم العدوى ، فيحملون أمراض أبنائهم ، وعندئذٍ ستعصف بهم أمواج الفتن ، ويُصبحوا بعد أن كانوا قادة مُصلِحين إلى غاوين مُضلّين ، نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة ، وألاّ يجعل لنا من حظنا الكلام ولكن العمل والتطبيق .

يقول الشيخ سيد قُطب رحمه الله وجعل الجنة مثواه :

" إن الأسرة التي تنطلق فيها هذه الشهوة بغير حساب أسرة " معرّضة للخلل والفساد ، لأنه لا أمنَ فيها للبيت ، ولا حُرمة فيها للأسرة ، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة ، إذ هو المحضَن الذي تنشأ فيه الطفولة وتدرج ، ولابد له من الأمن والاستقرار والطهارة ليصلح محضناً ومدرجاً ، وليعيش فيه الوالدان مطمئنّاً كِلاهُما للآخر ، وهما يرعيان ذلك المحضَن ومَن فيه من فراخ .

والأسرة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب أسرة قذرة هابطة من سلّم البشرية ، فالمقياس الذي لايُخطئ للارتقاء البشري هو تحكّم الإرادة الإنسانية وغلبتها وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة "[1] اهـ.

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٤٥٥) .

الفصل التاسع

الأضرار البدنيّة

تمهيد :

عن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال :

" يامعشر المهاجرين ، خمسٌ إذا ابتُليتم بهنّ وأعوذ با لله أن تدركوهنّ : لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضَت في أسلافهم الذين مضوا . . "(١) .

قد سبق معنا هذا الحديث في الأضرار الدنيوية ، واستشهدْنا به أن هذه الأمراض سبب في هلاك البشرية ، وهنا نستشهد به أن هذه الأمراض سبب في تدمير البِنيَة .

فكما يُقال الصحة تاج على رؤوس الأصحّاء ، كذلك يُقال فاقد الشيء لايُعطيه ، فيا سبحان الله ! دخلْنا المستشفيات ولمسنا بأيدينا هذه النعم الكثيرة المذخورة في أبداننا كيف عافاها الله من هذه الأمراض المفترسة ، التي تغلغلَت في أجسام هؤلاء الضعفاء النحَّل ، حتى صاروا كأنهم آثار عفا عليهم الزمن ، فحمداً لله على العافية ، ولكن ما هو حال

---

(١) حسن : رواه ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب العقوبات ، رقم (٤٠١٩) ، وحسّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٦) ، وفي صحيح ابن ماجة رقم (٣٢٦٢) .

العُصاة الذين رأوهم ؟ ، ماكان من هؤلاء العُصاة إلاّ أن ترحّموا على هؤلاء وتحرّكَت مشاعرهم نحوهم بالأسى والحزن عليهم ليس إلاّ ! .

فبدل أن كانوا يتّعظون من هذا المرض الذي أرداهم ، ساروا على منوالهم في اللهو والفجور حتى فاجأتهم الأمراض الجنسية القاتلة ، فأصبحوا بعد أن كانوا شُعلة متوقّدة في الفسق والمجون ، أصبحوا جثّة هامدة في بحار الغمّ والهموم ، فبُدِّلوا بالصحة مرضاً ، وبالسعادة حُزناً ، وبالهدوء قلقاً ، وبالخلطة عُزلة وبالأنس وَحشة ، وبالمودة بُغضاً وقطيعة ، ازدراهم الناس واحتقروهم ، حتى رفقة السوء والفُحش هجروهم ، نخرَت الأمراض الفتّاكة عظامهم ، فتمنّوا الموت طيلة أيّامهم ، يأساً منهم أن يبرؤوا من اسقامهم التي جنوها على أنفسهم من فجورهم وعصيانهم .

ـ السيلان والزُّهَري :

يقول المودودي : " إن أول مايجنيه الزاني من عمله هذا هو أنه يعرّض نفسه لخطر الإصابة بالأمراض السرية القاتلة ، وبذلك لاينقص ممّا في قواه من المنفعة العامة فحسب ، بل يجرّ على الجماعة والنسل أيضاً ضرراً بالغاً .

وإن مرض السيلان الذي هو أول ما يُبتلى به الفاجر ، يقول فيه الأطباء : إن هذه القرحة في الإحليل قلّما تندمل ، ولا يخلص من أذاها إنسان إلاّ في النادر .

ومن قول طبيب نطاسي : مَن أصيب بالسيلان مرة أُصيب به للأبد .

وهذه العاهة كثيراً ما تتلف الكبد والمثانة والخصيتين وغيرها من الأعضاء ، وتسبب وجع المفاصل وأمراضاً أخرى ، كما أنها قد تسبب العُقم الأبدي ، ثم إنها من الأمراض السارية من نفسٍ إلى آخر .

وأما مرض الزّهَري فمَن منا لايعلم أنه يسمم نظام الجسد كله ولا يُبقي من قمة الرأس إلى إخمص القدم عضو من أعضاء الجسد غير متأثر بسمومه وأذاه ، وهذا المرض لايبيد قوى المريض وحده ، بل يتعداه إلى مَن لايُحصى من النفوس الأخرى بطرق شتّى ، ثم ينتقل من المريض إلى أولاده وأولاد أولاده ، فيعانون أذاه بلا ذنب يجنون .

وقد قدّروا أن تسعين بالمائة من أهالي القطر الأمريكي مُبتلُون بهذه الأمراض ، ويُعلم من دائرة المعارف البريطانية أنه يُعالَج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري ، ومائة وستون ألف مُصاب بالسيلان البنّي في كل سنة بالمعدّل .

وقد اختصّ بهذه الأمراض الجنسية وحدها ستمائة وخمسون مستشفى على أنه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١٪ من مرضى الزهري ، و ٨٩٪ من مرضى السيلان .

وإن الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من الزهري وحده ، وأقلّ مايقدّره المسؤولون في مرض السيلان أنه قد أُصيب به ٦٠٪ من النفوس في سن الشباب ، فيهم العُزّب والمتأهّلون .

وقد أجمع الماهرون في أمراض النساء على أن ٧٥٪ مـن اللّاتـي تجـرى العملية الجراحية في أعضائهنّ الجنسية يوجدن متأثّرات بمرض السيلان "[١]

- تأثير السيلان على الإنجاب :

" إن من أهم مضاعفات هذا المرض ، الْتهـاب الأحبـال المنويـة ، فـإذا حدث الْتهاب في الناحيتين فإن النتيجة تكون عُقماً دائماً ، ونفـس الشـيء يكون بالنسبة للمرأة ، حيث يؤدي هذا الالتهاب إلى انسداد الأنابيب التي تلتقي خلالها البويضة بالحيوان المنـوي ، هـذا الالتهـاب يـؤدي إلى حـدوث التليّف الذي يسد الطريق ويؤدي إلى حدوث العُقم "[٢] .

- تأثير السيلان والزهري على القدرة الجنسيـة :

" وبالنسبة للسـيلان ، فـإن المريـض يشـعر بحرقـان عنـد التبـوّل ، وألم شديد في قناة مجرى البول ، وهنـا يكـون اللقـاء الجنسـي مؤلمـاً ، ممـا يجعـل المريض ينصرف عن إتمام العملية الجنسـية ، وهـو نـوع مـن أنـواع الفشـل الجنسي ، الذي يؤدي حتماً إلى هدم العلاقة الزوجيـة .

نفس الشيء يحدث لمريض الزهري ، مع وجود التقرّحات المؤلمة حـول الأعضاء التناسلية "[٣] .

---

(١) الحجـاب (١٢٠ ، ١٨٠) .

(٢) ولا تقربوا الزنـا (٦٣ ، ٦٩) .

(٣) المرجع السـابق .

ـ القرحة الرخوية :

" وهي مرض شديد العدوى ، يسببه نوع من البكتيريا ، فيه يشكو المريض من وجود تقرحات على القضيب ، أو على الأعضاء التناسلية ، وأحياناً على الفخذين ، وفي المرأة حول فتحة الشرج أو عند الرحم وحول الأعضاء التناسلية . . وبعد حوالي أربعة أيام تظهر غُدد ليمفاوية ملتهبة في المنطقة القريبة ، وقد تُفتح على شكل دمامل أو بثور . . "[1] .

ـ الالتهاب المحاري :

" وهو مرض مُعدٍ سريع الانتشار ، يسببه نوع من الفيروسات تؤدي إلى حدوث أورام صغيرة نصف كروية تشبه المحار ، وتظهر هذه الأورام حول الجهاز التناسلي والمثانة .

وهناك أمراض أخرى كثيرة غير ما ذكرنا ، كالجَرَب وقمل العانة والسنط "[2] .

ـ الهربيس :

" منذ ثلاثين سنة كان هناك ثلاثة أنواع فقط من الأمراض التناسلية ، أما اليوم فهناك ٢٨ نوع من هذه الأمراض ، والبعض يقول ثلاثون ، وأكثرها جراثيم تهدّد حياة المُصاب ، ولا شفاء منها .

(١) المرجع السابق (٧٠ ، ٧١) .

(٢) المصدر السابق .

واليوم في الثمانينات انتشر الهربيس ، ويقول الأطباء إنهم في حاجة إلى أكثر من عشر سنوات لاكتشاف دواء يقضي عليه ، وقد لايحصل أبداً .

قالت إحدى المُصابات بالهربيس في الأعضاء التناسلية : يبدأ ألم غريب ويضطر الإنسان للتبوّل باستمرار ، بعد أسبوع يزداد الألم ، وتتورّم الأعضاء التناسلية ، وأضافت : وكنت أرتمي فوق السرير ، ثم أقوم بدون وعي ، وأجلس فوق مياه ساخنة ، وأبقى كل الليل ، كنت خائفة ، لم تعُد عندي أية علاقة جنسية ، هذا المرض لا شفاء منه .

وفي أبحاث أُجريَت على ١٨٣ مُصاباً بالهربيس ، ظهر أنهم يُعانون أيضاً من ١٤ نوعاً من السرطان بينه سرطان البروستاتا ، والكِلية ، والجلد ، والحنجرة ، وعنق الرّحم .

أما الهربيس الذي يصيب الأعضاء التناسلية ، وهو النوع الثاني ، فإن الجرثومة تتسرّب إلى نقطة تجمّع العصَب في أسفل حبل النخاع الشوكي ، وعندما يتحرّك عند الرّجل ، فإن تورّماً يصيب العضو التناسلي يرافقه ألم فظيع ، وتظهر الجرثومة بشكل بُثور كبيرة فوق العضو التناسلي مليئة بالماء ، وتختلف طول فترة بقائها .

أما المرأة ، فبالإضافة إلى التورّم ، فإن جرثومة الهربيس تظهر بحبيبات مائية ظاهرة ، ولكن الأكثر ألَماً تلك التي تكون داخل الرحم . . "[1] .

---

(١) المصدر السابق (٧١ ، ٧٧) بتصرّف .

وقد أطال المؤلّف في شرح هذا الداء العُضال بصورة لايصل إليها الخيال ، نعوذ با لله ، ونلوذُ به تعالى من كل مايغضبه .

وقد ذكر المؤلف أمراضاً كثيرة اخترتُ منها ماأثبتّه خشية الإطالة ،وإلاّ فالأمراض جديرة بأن تُذاع وتُنشر ، لكي يكون فيها عبرة لمن يعتبر .

ـ قُنبلة الإيدز :

" مع الإيدز . . مع ذلك المرض اللعين ، وهو التحدّي من الخالق بُمدمِني المعاشرة الحرام . . نقف لحظات ، مع أرقام الإيدز وخطر الإيدز ، وكل مايتعلّق بالإيدز ! .

وفي مقابله ، أجرتها معه جريدة المسلمون يقول الدكتور : محمد علي البار مستشار الطب الإسلامي بمركز الملك فهد للبحوث الطبية : " إن المُصاب بالإيدز يُخرج فيروسات الإيدز في إفرازاته كلها بما فيها الدموع ، والبول ، وكذلك اللبن إذا كان ذلك الشخص امرأة مُرضِعة .

إلاّ أن وسائل العدوى تتركّز في الشذوذ الجنسي ، والزنا ، والدم ومحتوياته ، والحقن ، والإبر الملوّثة ، وانتقال الفيروس من الأُم المُصابة إلى جنينها ، والتلقيح الصناعي ، وزرع الأعضاء والعمليات الجراحية ، أو الإصابة بإبرة أثناء سحب الدم من المريض ، واستخدام الآلات مثل أدوات طب الأسنان عندما تستخدم لأكثر من مريض .

والشذوذ الجنسي والزنا يشكّلان ما يوازي ٩٠٪ من حالات انتشار الإيدز ، ويعتبر الشذوذ العامل الأساسي في حدوثه ، وانتشاره في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أوروبا الغربية بصورة خاصة ، حيث يشكّل الشاذّون جنسياً ما بين ٧٠ ، ٨٠٪ من جميع حالات الإيدز في هذه البلاد .

ويعتبر الزنا العامل الأساسي في أفريقيا الاستوائية ، وفي الوباء الذي انتشر مؤخراً في الهند وبانكوك بتايلاند ، حيث بلغَت نسبة المُصابات ٧٠٪ وبلغَت نسبة البغايا الحاملات لفيروس الإيدز في نيروبي بكينيا ويبوتار برواندا وزائير وزامبيا وأوغندا وأنجولا ما بين ٨٠ ، ٩٠٪ "[1] .

ـ أحدث تقرير عن الإيدز :

ذكرت مجلة المجتمع العدد ١٢٨٦ في ٢٩ رمضان ١٤١٨هـ ما يلي : بقلم محمود الخطيب حفظه الله : " ٣٠ مليون يحملون الفيروس ، بينهم ١,١ مليون طفل تحت سن الخامسة عشرة ، العام الحالي : ٥,٨ مليون حملوا الفيروس ، ٩٠٪ منهم من دول العالم الثالث و ٥٠٪ من الشباب .

قال أيضاً الأستاذ محمود الخطيب : مازالت البشرية تقف عاجزة أمام انتشار مرض نقص المناعة (الإيدز) في وقت تتوقع فيه منظمة الصحة

---

(١) أرقام مخيفة (٧٢ ، ٧٣) .

العالمية ارتفاع عدد حاملي فيروس الإيدز إلى أكثر من ٤٠ مليون شخص مع نهاية القرن الحالي .

وبلغ عدد الوفيات المسجلة هذا العام بسبب مرض الإيدز ٢,٣ مليون شخص ، وهو مايمثل تقريباً ٢٠٪ مما مجموعه ١١,٧ مليون شخص تُوفّوا بالمرض منذ بداية ظهوره أواخر السبعينات ، ومن بين الذين تُوفّوا بالإيدز هذا العام ٤٦٠ ألف طفل ، كما أن ٤٦٪ من المُتوفّين كانوا من النساء[1] .

حالات الإصابة في الدول العربية	
الدولة	الحالة
الأردن	١٤٦ حالى توفي منهم ٤٩
قطر	٥٥ حالة
اليمن	٣٥٠ حالة
المغرب	٤٣٠ حالة
الجزائر	٣٢٦ حالة
سورية	١٥١ حالة توفي منهم ١٣
لبنان	٤٧٥ حالة
مصر	٩٧٥ حالة توفي منهم ٣١٤

(١) مجلة المجتمع ، العدد ١٢٨٦ ، ٢٩ رمضان ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨/١/٢٧م .

ثم أخذ ـ حفظه الله ـ يستطرد في هـذا التقرير الإحصائيات في جميع أنحاء العالم ، وذكر حقائق مُذهلة ، ولولا الإطالة لذكرتُها .

الباب الخامس

العلاج

تمهيد :

يا أيّها الزاني ، أيها الشاذّ جنسياً ، أيها الممقوت بين البشر ، لابد وأن تقف مع نفسك وقفة حازمة رادعة صريحة ، لابد وأن تجاهد نفسك على الدوام ، لكي تخلّص البلاد والعباد من الشر الذي استفحل بسببك ، لابد وأن ترجع من تيه الظلام الذي تسلكه ، حتى تعود مقبولاً عند ا لله وعند الناس عامةً .

يا أيها المسكين ، ألم تنظر إلى نفسِكَ ، وما الذي جنيتَهُ عليها ، ألم تنظر إلى قلبك وسواده الطاغي ، ألم تشعر بالشر الذي احتواه ، وبالخير الذي هجره ، وبالهوى الذي دمّره ، وبالعشق الذي سلبه لُبّه ، ألم تنظر إلى ضيق صدرك ، وتعاستِكَ وغوصك في لُجَج الهموم والأحزان ، ألم تنظر إلى سحائب الشهوات التي كسَت الوجه سواداً ، والعين اغوراراً ، والجسم نحولاً ؟! .

ألم تنظر إلى استلابكَ لأعراض البيوت والأُسر الآمنة ، ألم تفكّر أيها المسكين كم نكّسْتَ أعناق رجال شامخة عالية ، كم دسَست عيون رجال في الطين ، كم مزّقتَ قلوب أمّهات من الأنين ، كم من بيتٍ احتوشه

الظلام وساد فيه السكون المخيف بسببِكَ ، كم من أطفال وُئِدُوا بجُرمِك ، كم من العانسات ترهّبنَ بِفُحشِكَ ؟!

لولاكَ ما انتشرَت دور السِّفاح ، لولاك ما وَجدَت الغانيات مَن يروي غليل شبقهنّ ، لولاكَ ما راجَت التجارة بالفروج النّتنة القذرة المنحطّة .

لقد انتشرت المجلاّت الفاجرة بقدر إقبالك عليها ، وعجّت المهيّجات بدورها بحجم استخدامك لها ، وكثرَت المعاكسات بكثرة ملابستِكَ إيّاها وتفنّنك بأساليبها .

ما ظهر التبرّج الصارخ ، وما فاحَت سهام العطور الأخّاذة لقلوب العطاشَى ، وما حلّقَت النظرات الزائغة في الطرقات ، وما تغنّجَت النساء في الحركات والكلمات ، وما برقت الحُليّ سافرة على الصدور والأعناق والمعاصم ، وما رقّت الثياب وانسالَت على أجساد الآثمات ، وما ساحَت الحدائق والمنتزهات بكل ما يخدش الحياء والمروءات ، وما أورقت صبغات ربّات الخدور من كل لون يسلب عقول الرجال الضعيفة ، وما عاثَت الشوارع والأزقّة بالفساد الذي سلف وصفه وغيره إلاّ لِوُجودك في كل ساحة من هذه الساحات ، وإقبالك بنهَم وشرَه على كل ما تُظهره امرأة من جسمها أو طيبها أو نظراتها أو حركاتها أو كلماتها أو حُلِيّها أو ثيابها أو تفلّتها في تجمّعها أو صبغاتها ، ما كانت هذه الفوضى لتنتشر إلاّ بوجود سلعتها منك ومن أمثالك الذين هُم على شاكلتِكَ .

أيها المسكين ، ألَم تفكّر لحظة واحدة لماذا هجَرْتَ المسجد ، وهجرتَ كل تجمّع للخير ؟! ألم يرع انتباهَك هجر الشرفاء والأخيار لك ، ألم ترَ ولو مرة واحدة نظرة شك من رجل دخلتَ بيتَه ؟! ألم تشاهد تجنّب الناس لك ، وإحسانهم إليك خوفاً منك ومن شرّك .

قُل لي بربّك : هل أوْدَعَك إنسان وديعةً أو استأمنَك سراًّ أو باح لك بما في داخله من مشكلة أتعبته رجاءَ أن يجد عندكَ حلاًّ ؟! أو هل استأمنَك إنسان على أهله وبيته وكلّفكَ أمانة الإشراف عليهم إلى أن يعود من سفره أو أمره ؟! .

أيها الزاني ، ما أراك إلاّ مسلوب الإرادة حتى أصبحتَ دُمية لا تتحرك إلاّ إذا حُرّكَت .

أيها التّائه ، إن سكرات الموت وحدها كفيلة أن تنغّص على الإنسان عيشه ، ألم تفكّر فيها ، وفي انتزاعها روحَكَ من بين جنبيك واستلالها من بين اللحم والعصب والعروق والمفاصل .

عُد إلى ربّك ، عُد أيها الضعيف إلى مولاك ، عُد إلى روضات الأُنس با لله ، بادِر بالندم قبل أن لاينفع الندم .

عُد إلى ربّك ، لقد مُنِعنا القَطر بذنبِكَ حتى أصبحَت الأرض جرداء قحلاء لا زرع فيها ولا ماء .

أيها المسكين ، عُد إلى مولاك قبل أن تجترفك الأمراض الفتّاكة فتيأس من الشفاء فتتمادى في قُبحِك يأساً وقنوطاً من رحمة ا لله والعياذ با لله ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

إني مُشفقٌ عليك عَلِمَ ا لله ، أخاف عليك سوء الخاتمة وهول المطلع وضغطة القبر ، والمثول أمام ا لله ، والهول كله عند جواز الصراط ، ثم إلى نار وقودها الناس والحجارة ، أو إلى نعيم لاينفد وقرّة عينٍ لاتنقطع .

عُد أخي إلى الرحيم الغفور ، واعلم أنك أمام خزائن الرحمة التي لاتفنى ولاتبيد ، بادِر وأقبِل إلى صراط ا لله المستقيم ، واسلُك كل طريق يوصّلك إلى العلاج الحاسم لِما دَبّ في بدنِكَ حتى أوهنه ، واطرُق كل باب خير يأخذ بيدك إلى شاطئ الأمان ، وينقذك من الأمواج العالية العاتية .

إن سفن النجاة بجوارك في كل مكان تلوح لك أعلامها ، فأقبِل إليها وامتطيها إلى ربّ العالمين ، عجِّل للخلاص من هذه النار التي أوشكَت أن تستلب منك روحك .

إن عُدتَ إلى ا لله قَبِلَك ، وبدّل سيّئاتك حسنات ، فانتهز الفرصة قبل أن يدركك الموت القريب أخْذُه .

ما أكثر العوامل الشرعية التي إن امتثلتها شفاك ا لله وعافاك من هذا السُّكر المأفون ، وتفتّحَت عيناك على السعادة الحقيقية التي ماكان لك أن

تخالطهـا وتمازجها إلاّ بامتثالك لشرع الله ، وأخذك الحيطة والحذر من كـل ما يقرّبك إلى هذا الدّاء مرة أخرى ، فهنيئاً لك ـ أيها الحبيـب ـ العـلاج ، وها هو بين يديك فخُذه وطبّقه هنيئاً مريئاً .

الفصل الأول

التوبة الصادقة

تمهيد :

وهي ـ أخي ـ أول المنازل إلى ا لله تعالى ، وأسرع قارِب نجاة يشق عُباب الأمواج المتلاطمة ، والعواصف القاسية ، غير آبِه بهما إلى ربّ العالمين ، فليكن أوّل همّك لانفكاكك من هذا التمادي الآثم تصحيح مسار التوبة ، وسلوك طريق التوبة الصادقة الجادة ، مُبتغياً بها وجه ا لله تبارك وتعالى .

واعلم أنه يستحيل أن تنتظم في سلك السُّعَداء والأتقياء والشُّرَفاء إلاّ بها ، فلتكن هي شغلك الشاغل ، وهمّك الحاصل والعاجل ، هداني ا للهُ وإيّاك الصراط المستقيم .

ـ شروط التوبة :

ولكي تحقّق أصول التوبة وتشعر بنتائجها الإلهيّة ، لابد لك أن تتعرّف على ماهية التوبة وشروطها ، لأن معظم الناس يظنّونها ترديد لكلام معروف وراء الخُطَباء يوم الجمعة ، وإن أُحسِن الظن بكثير منهم ، فإنها لاتتعدّى أن تكون ندماً وقتياً ودمعة أسفٍ وحزن عابرة ، ثم يمضي في فجوره ظناً منه أن ا لله غفر له ما مضى ، وأن التوبة تجبّ ما قبلها ، ثم

يعتذر عن هذا الإثم الذي يلج فيه صباح مساء ، أن نفسه غلبَتْه وأنه سيجدّد توبته مثلما فعل أول مرة .

لا يا أخي ، إن هذه ليست التوبة المقصودة ، بل إن صح القول في هذه التوبة فهي توبة المستهزئين ، ولكي تنقشع الظلمة أمامك وتتجلّى لك الحقيقة ، فتحذو حذوها ، وتسير في ركبها ، إليك شروط التوبة التي هي في شهرتها تُغني عن كتابتها ، ولكن إلى المشتكى من ضياع الدين عند كثير من العُصاة حتى اتخذوه لهواً ولعباً .

وهذه الشروط يبيّنها الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ حفظه الله تعالى ـ فيقول : " الشرط الأول : الإخلاص لله ، بأن يكون قصد الإنسان بتوبته وجه الله ـ عز وجل ـ وأن يتوب الله عليه ويتجاوز عمّا فعل من المعصية ، لايقصد بذلك مُراءات الناس والتقرّب إليهم ، ولا يقصد بذلك دفع الأذيّة من السلطان ووليّ الأمر ، وإنما يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة ، وأن يعفو الله عن ذنوبه .

الشرط الثاني : الندم على ما فعل من المعصية ، لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة .

الشرط الثالث : أن يقلع عن الذنب الذي هو فيه ، وهذا من أهم شروطه ، فالإنسان التائب حقيقةً هو الذي يُقلع عن الذنب ، أما أنه يقول

إنه تائب إلى ا لله وهو مصرّ على ترك الواجب ، أو مصرّ على فعل المحرّم ، فإن هذه التوبة غير مقبولة ، بل إن هذه التوبة كالاستهزاء با لله عز وجل .

والإقلاع عن الذنب إما أن يكون إقلاعاً عن ذنب يتعلّق بحق ا لله - عز وجل - فهذا يكفي أن تتوب بينك وبين ربّك ، ولا ينبغي بل قد نقول لايجوز أن تحدّث الناس بما صنعت .

أما إذا كان الذنب بينك وبين الخلق ، فإن كان مالاً فلابد أن تؤديه إلى صاحبه ، ولا تُقبل التوبة إلاّ بأدائه .

أو يكون الحق غِيبة ، يعني أنك تكلّمت به في غيبته ، وقدحْتَ فيه عند الناس وهو غائب .

قال بعض العلماء : لاتذهب إليه – تطلب السماح منه – بل فيه تفصيل ، إن كان قد عَلِم بهذه الغِيبة فلابد أن تذهب إليه وتستحلّه ، وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه واستغفر له وتحدّث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها ، فإن الحسنات يُذهِبنَ السيئات ، وهذا القول أصحّ .

الشرط الرابع : العزم على أن لاتعود في المستقبل إلى هذا العمل .

الشرط الخامس : أن تكون في زمن تُقبل فيه التوبة ، قبل الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها "[١] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/٧٤ - ٧٩) بتصرّف .

- من آيات الرجاء العظيمة :

قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إلى اللهِ جَميعاً أَيّهَا المُؤمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾[1] .

يقول ابن كثير : " أي افعلوا ما أمركم به من الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، واتركوا ماكان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرّذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمرَ الله به ورسولُه وترك ما نهيا عنه "[2] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ يُحبُّ التّوّابينَ ويُحبُّ المُتَطَهِّرين ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لايَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشاءُ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرّحمَةَ أَنّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعدِهِ وَأصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[5] .

---

(١) النور (٣١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٧٦/١) .

(٣) البقرة (٢٢٢) .

(٤) النساء (١١٦) .

(٥) الأنعام (٥٤) .

- احذر القنوط من رحمة الله :

قال تعالى : ﴿ قُل يَاعِبادِيَ الّذينَ أسْرَفُوا عَلى أنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إنّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً إنّهُ هُوَ الغَفُورُ الرّحِيمُ ﴾[1] .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " يُخبرُ تعالى عباده المسرفين أي : المُكثِرين من الذنوب ، بسعة كرمه ، ويحثّهم على الإنابة قبل أن لايمكنهم ذلك فقال : ﴿ قُل ﴾ يا أيها الرسول ومَن قامَ مقامَه من الدُّعاة لدين الله ، مُخبراً للعباد عن ربّهم ﴿ يَاعِبادِيَ الّذينَ أسْرَفُوا عَلى أنفُسِهِمْ ﴾ باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب ، والسعي في مساخط علاّم الغيوب ، ﴿ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ ﴾ أي : لا تيأسوا منها فتُلقوا بأيديكم إلى التّهلُكة ، وتقولوا قد كثرَت ذنوبنا ، وتراكمَت عيوبنا ، فليس لها طريق يزيلها ، ولا سبيل يصرفها ، فتبقون بسبب ذلك مصرّين على العِصيان ، ولكن اعرفوا ربّكم بأسمائه الدالّة على كرمه وجوده واعلموا أنّ ﴿ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً ﴾ من الشرك والقتل والزنا والربا والظلم وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار ﴿ هُوَ الغَفُورُ الرّحِيمُ ﴾ أي : وصفة المغفرة والرحمة وصفان لازمان ذاتيان لاتنفكّ ذاته عنهما ، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود ، مالئة للموجود "[2] اهـ .

---

(١) الزمر (٥٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (٦٧٣) .

لا تقنطنّ من عِظَمِ الذنوبِ	فربّ العباد رحيمٌ رءوفُ
ولا تمضين على غير زادٍ	فإن الطريق مخوف مخوفُ[1]

- استغفار رسول الله ﷺ :

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ : ﴿ وَاستَغفِرِ اللَّهَ إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[2] .

يقول السعدي : " ﴿ وَاستَغفِرِ اللَّهَ ﴾ مما صدر منك إن صدَر "[3] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : " واللهِ إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة "[4] .

وعن الأغرّ بن يسار المزني ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " يا أيّها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إليه في اليوم والليلة مائة مرة "[5] .

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/٣٤) .

(٢) النساء (١٠٦) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (١٦٣) .

(٤) البخاري : كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اليوم والليلة ، رقم (٦٣٠٧) ، الفتح (١١/١٢١) .

(٥) مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذّكر ، رقم (٢٧٠٢) ، نووي (١٧/٢٣) .

إن الإنسان لَيقف مدهوشاً وا للهِ أمام هذه القدوة المحمدية ﷺ ! فمِن أي شيء يستغفر رسول ا لله ﷺ ؟! مِن أيّ ذنب يستغفر مَن غُفر له ما تقدّم مِن ذنبه وما تأخّر ؟! مّما تستغفر يامَن أول مَن يجوز الصراط ، ويا مَن أوّل قارعٍ لِباب الجنّة ؟! مِمَّ الاستغفار ياصاحب اللواء المعقود والحوض المورود ، مما الاستغفار بابي أنت وأمي ؟! إنه استغفار إجلال وعظمة لله تعالى ، لا استغفار كبائر أحاطت به من كل جانب .

فإن كان وهو المعصوم حتى من الصغائر يُهلّل ويسبّح ويستغفر ويتوب إلى ا لله هكذا ، فماذا نفعل نحن أصحاب العظائم والجرائم ؟! فهوِّن على نفسك أخي ، هوِّن على نفسِكَ ، فنحن كلنا أمام هذا السموق المحمدي نخاف الهلاك أكثر منك ، فمنا مَن أُعجب بعبادته بل ويمنّ على ا لله بذلك ، لأنه يرى أن استغفاره هذا إنما هو استغفار عظمة وإجلال لا استغفار ذنب وتقصير ، ولو علم هذا المدخول المعجب بنفسه لعَلِمَ أن استغفاره هذا يحتاج إلى استغفار .

أما أنت أيها المذنب فاستغفارك وتوبتك قد جُمِّلاَ بالانكسار والتأوُّه والخوف والوجَل ألاّ تُقبل توبتُك ، فتوبتك هذه أحبّ عند ا لله من أنين المستغفرين الرائين لأنفسهم وزناً وثقلاً ، فلا تجزع ولا تحزن ولا تقنَط ، وأبشِر بقبول ا لله للتوبة النّصوح .

ـ فرح اللهِ بتوبة عبدِه :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول ا لله ﷺ : " لَلَّهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرضٍ فلاة فانفلَتَت منه وعليها طعامه وشرابه فأيَس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذَ بخِطامها ثم قال : اللّهم أنت عبدي وأنا ربُّك ! أخطأ من شدّة الفرح "[١] .

يقول الشيخ ابن عثيمين حفظه ا لله تعالى :

" ففي هذا الحديث : دليل على فرح ا لله بالتوبة من عبده إذا تاب إليه ، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبةً عظيمة ، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا ، فا لله غنيّ عنا ، ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يعفو وأن يغفر أحبّ إليه من أن ينتقم ويؤاخذ ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان ففي هذا الحديث حثّ على التوبة لأن ا لله يحبها ، وهي من مصلحة العبد "[٢] .

فأقبِل ولا تحجم أيها المذنب ، فربنا غفورٌ رحيم ، يحب من عبده أن يرفع إليه يده ويرجوه ، فذنبك مهما عظم بجوار كرم ا لله صغير صغير ،

---

(١) مسلم : كتاب التوبة ، باب في الحضّ على التوبة والفرح بها ، رقم (٢٧٤٧) ، نووي (٦٣/١٧) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٨٩/١ ، ٩٠) .

فلا تهوّله بعدم التوبة منه ، فها هُو المنعم العفوّ الغفّار يفرح بقدومك عليه ، وبطرق بابه إليه ، فما أرحَمَهُ وما أحلمه ، فلا تسوِّف في التوبة ، وأسرع في الرجوع والنوبة ، عساكَ تصادف وقت قبول وإجابة فتكون من السعداء دنيا وآخرة .

ـ تبديل السيّئات حسنات :

قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ لاَيَدعُونَ مَعَ ا للهِ إلهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النّفسَ الّتي حرَّمَ ا للهُ إلاَّ بالحقِّ وَلا يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً . إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ ا للهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ا للهُ غَفُوراً رَحيماً ﴾[1] .

والمعنى كما قال الإمام ابن كثير : " أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلاّ لأنه كلّما تذكّر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة ، وإن وجده مكتوبا عليه فإنه لايضرّه ، وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنّة بذلك وصحّت به الآثار المرويّة عن السلف رضي ا لله عنهم "[2] اهـ .

(١) الفرقان (٦٨ ـ ٧٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٣١٦) .

وقال القرطبي : " فلا يبعد في كرم ا لله تعالى إذا صحّت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة "[1] اهـ .

ومن الأدلة على ذلك ما رواه أبو ذرّ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " اتَّقِ ا للهَ حيثما كنتَ وأتبِعِ السيّئة الحسنةَ تمحُها وخَالِقِ الناسَ بِخلُقٍ حسن "[2] .

قال المباركفوري : " تمحُها أي : تدفع الحسنةُ السيئةَ وترفعُها . . والمراد يمحو ا لله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفَظة ، وذلك لأن المرَض يُعالَج بضده ، فالحسنات يُذهِبنَ السيئات "[3] اهـ .

وعن أبي ذر أيضاً ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " إنّي لأعلمُ آخر أهل الجنة دخولاً ، وآخر أهل النار خروجاً منها : رجلٌ يُؤتَى به يوم القيامة فيُقال : أعرِضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فتُعرض عليه صغار ذنوبه ، فيُقال : عملتَ يوم كذا كذا وكذا ، وعملت يوم كذا كذا وكذا ، فيقول : نعم ، لايستطيع أن ينكر ، وهو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨٤/١٣) .

(٢) حسن صحيح : رواه الترمذي ، أبواب البرّ والصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس ، رقم (٢٠٥٣) ، تحفة الأحوذي (١٠٤/٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والمسند رقم (٢١٢١٥) ، قال المحقق : إسناده صحيح ، وسنن الدارمي (٧٤) باب في حُسن الخلُق ، رقم (٢٦٨٨) .

(٣) تحفة الأحوذي (١٠٤/٦) .

مشفق من كِبار ذنوبه تُعرَض عليه ، فيُقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : ربِّ قد عملتُ أشياءً لا أراها ههُنا ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحكَ حتى بدَت نواجذه "[1] .

فأي عاقل يعي بقلبه هذا التفضّل والإنعام ، ثم لاينتهي عمّا هو فيه من الآثام ، تا للهِ إنها الخسارة الكبرى ، يوم أن يعلم العاصي بهذا الجود الإلهي وهذا الإقبال منه على العُصاة شفقة منه ـ عز وجل ـ عليهم ، ثم هم يفرّون من رحمته ويهربون من عفوه إلى النار .

اعلم أيها المذنب أنه لا عُذر لك بعد اليوم ، فها أنت قد علمتَ شروط التوبة وسمعتَ النداء السامي يحذّرك من مغبّة ذنبك ، ويفتح لك آفاق الرجاء ، ويخبرك أنه ليس من صفات المؤمنين مهما كثرت ذنوبهم اليأس والقنوط من رحمته ، وها أنت قد علمتَ استغفار مَن لا ذنب له وهو المعصوم ﷺ ، فحريٌّ بك أن يكون استغفارك بعدد الأنفاس ، كيف لا ، والذنوب كثيرة ، وقد علمتَ أن الله يفرح بتوبتك فلا تُغضِبهُ عليك بنفورك وإبائك أن تكون من الطاهرين المطهَّرين .

وقد سمعتَ بتبديل الحسنات سيئات لِمَن تابَ فأناب وأدام طَرْق الباب ولزم الاستغفار وغلّف على ذنوبه الكبار والصغار بغلاف التوبة الصادقة النصوح .

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (١٩٠) ، نووي (٤٧/٣) .

فلا عُذر لك بعد اليوم ، فإما أن تُقبلَ على ا لله قدوم الكرام ، وإما أن تُدبر إدبار اللّئام ، وساعتها ستجد الحقيقة المرّة ممثلة في أبشع خطاب تقريع وتوبيخ تُصعَق بسماعه وأنت تحت وطأة العذاب والتمحيص : ﴿ فَاصبِرُوا أوْ لاَ تَصْبِرُوا سَواءٌ علَيْكُم إنّماَ تُجزَوْن مَا كُنتُم تعْمَلُونَ﴾[1] .

(١) الطــور (١٦) .

الفصل الثاني

الدُّعَاء

تمهيد :

كأني بهذا العاصي الذي أسرف على نفسه ، حتى طال مُكثُه بين الحانات والبارات ودور البغاء وحجور الغانيات ، كأني به يستفيق من هذا الكابوس الذي أشرفه على الهلاك ، كأني به يصحو مُنهَك القوى من هذا المعترك الرّهيب الذي مصّ دمه وحياءه ، وأسلبَه إرادته وعزيمته ، كأنّي به يقف مشدوهاً أمام نفسه ، مُطأطئ الرأس ، منطوي القلب ، سارح الذهن مُكتئب الصدر ، ضاقت عليه الأرض بما رحُبَت ، وتيقّن أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ، فلم يشعر بالدموع وهي تتدفّق على وجنتيه ، ولم يشعر في أي مكان يجلس ولا بمن حوله ، بل لم يعبأ بهذه الحياة كلها ، فهو في شغل عن كل شيء إلاّ مِن ذنوبه .

فراح يعزّي نفسه ، ويبكي ذنبه ، ويندب ويهمهم بجُرمِه ، كأنه حادي الأحزان أو صديق الوحوش والغربان ! .

أَلِفَ الليل وظلمته ، وصاحَب دمعته وزفرته ، يمرّ يوم تِلوَ يوم وهو من الطعام طاوياً ، ومن معاصيه شاكياً ، وعن الناس نائياً وهاجراً ، ينوح دائماً : ربّاهُ فاغفِر لي ، ربّاه فاغفِر لي . . اغفِر خطيئاتي ، واغفِر لي شنيع

زلاّتي ، ربِّي ما عصيتُكَ جرأة عليك ، ولا عِناداً لك ، ولا مُخادعة بك ، ولا استهتاراً بأمرك ، ولا اقتناعاً بالفُحش ! ، ولكنه ضعف الإيمان ورفقة السوء ، وسكرة الهوى ، وضياع اليد الحانية في تربيتي وتنشئتي كما تحب .

إلهي لاتعذّبني فإنّي مُقِرٌّ بالذي قد كان منّي
فما حيلتي إلاّ رجائي لعفوك إن عفوت وحُسن ظنّي
وكم مِن زلّةٍ لي في الخطايا وأنت عليَّ ذو فضلٍ ومَنٍّ
إذا فكّرتُ في ندمي عليها عَضَضْتُ أناملي وقرعتُ سِنّي[1]

فاغفِر لي . . فاغفِر لي ! .

كأني بهذا المذنب يدعو ربَّه ولصدره أنين ، يدعوه ـ جل وعلا ـ ويرجوه رافعاً يديه إلى السماء في الثلث الأخير من الليل يحلّق ببصره في السماء ، ويداه ترتعش ، وصدره يرتجف ، ودمعه ينهمر ، قد علاه العرَق ، وهدّ صدره الخوف والقلق ، يُناجي مولاه ، ربّي ربّي غُلّقَت الأبواب في وجهي فلم يبقَ إلاّ بابك ، إلَهي خيرُك إليّ نازل وشرّي إليك صاعد ، تتقرّب إليَّ بالنّعم وأنت الغنيّ عني ، وأهرب منك بذنبي ، وأنا أحوج ماأكون إليك .

(١) مختارات شعرية (٦٤ ، ٦٥) ، وهو من شعر أبي العتاهية (٢٢٣) .

فيا مُغيث المغيثين أغِثني مما ألَمّ بي ، هـا أنا ببابكَ فلا تطردني ، لاتحرمني ، لا تغضب عليَّ ، فمَن لي ربّي إن لم تكن لي ، مَن للمُسيئين مثلي سواك ، ربّاه فاغفِر لي .

كأني بهـذا العـاصي قـد توجّـه هـذا التوجُّـه ، وعلـم أن لـه ربّـاً يغفـر الذنوب ويتجاوز عــن الخطيئـات ، فـانطَرَح ببابــه وأخـذ يدعـوه ويرجـوه مُلتزماً بما ينبغي أن يلتزم به في الدعاء .

كأني به وقد رجع مغفوراً له ، مستريح القلــب ، قـد تبـدّل حالـه مـن السوء إلى الحسـن ، ومن الذنب إلى الطاعة ، ذلـك لأنـه علـم أن لا ملجـأ من الله إلاّ إليه ، فلزم ربّه وألحَّ عليه في دعائـه أن يغفر له ، فأدركَه الفلاح بفضل الله أولاً ، ثم بفضل ملازمته للانكسار والتضرُّع والمناجـاة والدعـاء أن ينظمه الله في سلك التائبين الخائفين المستغفرين .

ـ فضل الدُّعَـاء :

قال تعالى : ﴿ وَإذاَ سَألَكَ عِبادِي عَنّي فَإنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الـدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَلْيُؤمِنُوا بِي لَعلَّهُمْ يَرْشُدونَ ﴾[1] .

" أيَةٌ رقّة وأي انعطاف ، وأية شفافيـة ، وأيّ إيناس فوق هذا ؟! ألفاظ رفافة شفافة تُنير . . آية تســكب في قلـب المؤمـن النـداوة الحلـوة ، والـود المؤنس ، والرضا المطمئن ، والثقة واليقين ، يعيــش منهـا المؤمـن في جنـابٍ

(١) البقـرة (١٨٦) .

رَضيّ وقُربى نديّة ، وملاذ أمين ، وقرار مكين ، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير .

ولو لم يكن في الدعاء إلاّ رقّة القلب لكفى ، ﴿ فَلَولاَ إذْ جَاءَهُم بأسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكن قَسَتْ قُلُوبُهمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾[1] ولو لم يكن في فضله إلاّ هذه الآية لَكفى ﴿ قُلْ مايَعْبَأُ بِكُم رَبّي لَولاَ دُعاؤُكُمْ ﴾[2] . . . "[3]

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : " أفضل العبادة الدّعاء "[4] .

وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " الدعاء هو العبادة "[5] .

---

(١) الأنعام (٤٣) .

(٢) الفرقان (٧٧) .

(٣) صلاح الأمّة في علوّ الهمّة (٥/١٠٥ ، ١٠٦) .

(٤) صحيح : رواه ابن عديّ في الكامل (٦/١٦٣) ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٢٢) .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، رقم (١٨٣٠٤) ، وقال المحقق : إسناده صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٧) .

وعن أبي هريرة ـ رضي ا لله عنه ـ قال : قال رسول ا لله ﷺ : " ليس شيء أكرم على ا لله من الدعـاء "[١] .

إلى غير ذلك مـن الآيـات والأحـاديث في فضـل الدعـاء كثـير ، فأقبِل أيها المتواني على ربّك وادعوه واطلُـب منـه حـاجتك ، فـا لله ـ عـز وجل ـ يستحيي من عبده إذا مـا رفـع إليـه يـداه أن يردّهمـا صفـراً ، فمـا أكرمه وأحلمـه .

ـ اغتنام الثلث الأخير من الليل :

عن أبي هريرة ـ رضي ا لله عنه ـ عـن رسـول ا لله ﷺ قـال : " يـنزل ا لله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضـي ثلـث الليـل الأول فيقـول : أنـا الملك ، أنا الملـك ، مَـن ذا الـذي يدعونـي فأستجيب لـه ، مَـن ذا الـذي يسألُني فأعطيه ، مَن ذا الذي يستغفرني فأغفرَ لـه ، فلا يزال كذلـك حتـى يضيء الفجر "[٢] وفي رواية : " إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه . . "[٣] .

قال الحافظ ابن حجر : " وفي حديث الباب مـن الفوائـد . . أن آخـر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، ويشهد لـه قولـه تعـالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ

---

(١) صحيـح : المسنـد ، وصحّحـه العلاّمة أحمد شاكر رقم (٨٧٣٣) ، وذكـره الألبـاني في صحيح الجامع رقم (٥٣٩٢) وقال : حديث حسن .

(٢) مسلـم : كتاب صلاة المسـافرين وقصرهـا ، بـاب الـترغيب في الدعـاء والذّكـر في آخـر الليل ، رقم (٧٥٨) ، نووي (٦/٣٦) .

(٣) المرجع السابق .

بالأَسْحَارِ ﴾[1] ، وأن الدعـاء في ذلـك الوقـت مُجـاب ، ولايُعـترَض علـى ذلك بتخلّفه عن بعض الدّاعين ، لأن سبب التخلّف وقوع الخلل في شـرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبـس ، أو لاسـتعجال الداعي أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله "[2] اهـ .

فاحذر أن تفوتك هذه الفرصـة ، وتحَيَّن سحائب المغفرة والعفو وقضاء الحاجـات ، وكشـف الكرُبـات ، وتكفـير الخطيئـات الـتي تتـنزّل علـى مستحقّيها ، ممن لازمُوا الدعاء بتضرّع وخشوع واستغفار في الثلث الأخير من الليل ، عسى أن يقبلك الله أيهـا العاصي ، عساه يتوب عليك ويجعلك من السعداء .

صـبراً جميـلاً مـاأقـرب الفـرج ... مَن راقَـبَ اللهَ في الأمور نجـا

مَـن صـــدَق اللهَ لم ينلـــه أذى ... ومَن رجـاه يكون حيث رجـا[3]

ـ آداب الدّعَـاء :

كلّنا يدعو ، وكثير منا لايُستجاب له ، فلا العاصي ينتهي عن فُحشه ، ولا غيره تحقَّقَ له أمنيتـه .

---

(١) آل عمـران (١٧) .

(٢) فتـح البـاري (٣/٤٠) .

(٣) ديوان الإمـام الشافعي (٤٥) .

فلماذا لايُستجاب لك أيها المذنب !! لماذا ؟! .

ها أنت تكراراً ومراراً ، بعدما تأتي من عالم اللذة والفجور ومعاقرة جميع الشرور ، تصحو لنفسك هُنَيْهة تدعو فيها الله أن يصرف عنك هذا البلاء ، ولكن سرعان ما تُعاود الكرّة مرة تِلوَ المرة ، فلا مِن حب الفاحشة ينجو قلبك ، ولا من الشهوة المنحرفة تعود لرشدِكَ ! فما السبب ؟! مع أنك دعوْتَ ورفَعْتَ يديك ؟ .

اعلم أخي أن مِن لوازم استجابة الدعاء شروطاً وآداباً ، فمتى لم يُستجَب لك خاصةً في الإقلاع عن المعاصي فاعلم أنك مقصّر في أداء هذه الآداب والواجبات التي يجب على الدّاعي وخصوصاً أصحاب هذه الكبائر المغلّظة يجب عليهم الالتزام بهذه الآداب ، لكي يفوق من سُباته ويعود لربّه طاهراً مُطهّراً ، خالصاً مُخلصاً لله ربّ العالمين .

ذكَر الإمام النووي هذه الآداب في كتابه " الأذكار " نقلاً من "الإحياء" فقال رحمه الله :

" وقال الإمام أبو حامد الغزالي في " الإحياء " : آداب الدعاء عشرة :

ـ الأول : أن يترصّد الأزمان الشريفة ، كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت الأسحار .

ـ الثاني : أن يغتنم الأحوال الشريفة ، كحال السجود ، والتقاء الجيوش ، ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة ، وبعدها ، قلت ـ أي النووي ـ وحالة رقّة القلب .

ـ الثالث : استقبال القبلة ورفع اليدين .

ـ الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر .

ـ الخامس : أن لايتكلّف السجع ، وقد فُسِّر به الاعتداء في الدعاء ، والأوْلَى أن يقتصر على الدعوات الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فما كل أحد يُحسِن الدعاء فيُخاف عليه الاعتداء .

وقال بعضهم : ادعُ بلسان الذلّة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

ـ السادس : التضرّع والخشوع والرهبة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وَكانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفيَةً ﴾[2] .

ـ السابع : أن يجزم بالطلب ، ويوقن بالإجابة ، ويصدِّق رجاءه فيها ، قال سفيان بن عُيَينة رحمه الله : لايمنعنّ أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ،

(١) الأنبياء (٩٠) .

(٢) الأعراف (٥٥) .

فإن الله تعالى أجاب شرّ المخلوقين إبليس إذ قال : ﴿ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾[1] .

ـ الثامن : أن يلحّ في الدعاء ويكرره ثلاثاً ، ولا يستبطئ الإجابة .

ـ التاسع : أن يفتتح بذكر الله تعالى .

قلت ـ أي النووي ـ وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ، ويختمه بذلك أيضاً .

ـ العاشر : وهو أهمّها والأصل في الإجابة ، وهو التوبة ، وردّ المظالم ، والإقبال على الله تعالى "[2] اهـ .

ـ الدعاء باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب :

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ : " اسمُ اللهِ الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[3] وفاتحة سورة آل عمران "[4] .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يقول : " اللهمّ إني أسألك بأنّك أنت الله الأحد الصّمد الذي لم يلِد وَلَمْ يُولَد ولم

---

(١) الأعراف (١٤) .

(٢) الأذكار (٥٦٥ ـ ٥٦٧) ، إحياء علوم الدين (١/٤٧١ ـ ٤٧٦) .

(٣) البقرة (١٦٣) .

(٤) حسن : أخرجه ابن ماجة ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، رقم (٣٨٥٥) وحسّنه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٣١٢٣) .

يكن له كُفواً أحد " ، فقال رسول ا لله ﷺ : " لقد سأل ا للهَ باسمه الأعظم الذي إذا سُئلَ به أعطى وإذا دُعيَ به أجاب "[1] .

قال الشيخ العلاّمة محمد شمس الحق العظيم أبادي : " وقال الطيبي : وفي الحديث دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دُعيَ به أجاب ، وأن ذلك مذكورٌ هَاهُنا ، وفيه حُجّة على مَن قال كلُّ اسمٍ ذُكر بإخلاص تام مع الإعراض عمّا سواه هو الاسم الأعظم ، إذ لاشرف للحروف ، وقال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي : وهو إسناد لا مطعنَ فيه ، ولا أعلم أنه رُوي في هذا الباب حديث أجود إسناداً منه ، وهو يدل على بُطلان مذهب مَن ذهب إلى نفي القول بأن لله اسماً هو الاسم الأعظم ، وهو حديثٌ حسن "[2] اهـ .

فما يضيرُكَ أخي أن تلهج باسم ا لله الأعظم في جميع الأوقات ، في الخلوات بالأسحار ، وفي جميع الليل وكل النهار .

تا للهِ إنها السعادة الكبرى ، أن يبشّرنا رسول ا لله ﷺ ويدلّنا على مفاتيح التوبة والرجوع إلى ا لله ، وإن هذا الاسم الأعظم لَهو من أجلّ

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجة ، كتاب الدعاء ، باب اسم ا لله الأعظم ، رقم (٣٨٥٧) ، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجة رقم (٣١٢٥) .

(٢) عون المعبود (٤/٢٥٤) .

مفاتيح الدعاء المقبول ، فبادِر أيها الأخ قبل أن ينشبك الموت فتندم حيث لاينفع الندم ، وتطلب الاستدراك في وقت العدم .

خَفِ ا لله وارجوه لكل عظيمةٍ ... ولا تُطعِ النفس اللّجوجَ فتندما

وكُن بين هاتين من الخوف والرّجا ... وأبشِر بعفو ا لله إن كنتَ مسلما

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ الرّجا مني لعفوك سُلّما

إليك ـ إله الخلق ـ أرفع رغبتي ... وإن كنتُ يا ذا المنِّ والجود مُجرِما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربّي كان عفوُكَ أعظما

وإن تعفُ عني تعفُ عن متمرِّدٍ ... ظلومٍ غشومٍ حين يلقاك مسلما

وإن تنتقم مني فلست بآيسٍ ... ولو أدخلتُ نفسي بجُرمي جهنّما

فجُرمي عظيم من قديم وحادثٍ ... وعفوك ياذا العفو أعلى وأجسما[1]

(١) ديوان الإمام الشافعي (٩٩ ، ١٠٠) .

الفصل الثالث

الزَّواج

تمهيد :

كم من شاب صالح معروف بين الناس بدينه وورعِه وتقواه ، لاتشوب أخلاقه شائبة ، نظيف الداخل والخارج من كل منقصة شهوانية جارفة إلى وحل الظلام ودنس الحياة ، ومع ذلك تجده يحاول بكل وسيلةٍ أن يستقر في بيت الزوجية يتمتع بحلاله ، حتى يظل هكذا مرموقاً عند الله ، شريفاً عند الناس ، يكابد كل عقبة كؤود بينه وبين حياة الاستقرار والطُّهر والعَفاف ، وهذا بالنسبة للصالح ! .

فما بالك أيها العاصي ، وأنت تعرف من نفسك ما لايعرفه سواك ، تعرف حياة السراديب وما تحتويها ، بل عِشتَها برُمّتها ، ما بالك تعي المَخرج ولا تخرج ، ما بالك ترى هؤلاء الأتقياء يسارعون وهم أنقياء إلى الزواج ، وأنت مُعرض عنه بوجهك وبظهرك ، لاتفكر مجرد التفكير فيه ، وأنت مع ذلك ترجو النجاة ولكن لم تسلك مسالكها ، وأنت تعلم أن بالزواج يكون التحصّن من هذه المنكرات القاتلات إن شاء الله .

أيها المذنب : إن الله ـ عز وجل ـ ما أنزل داءاً إلاّ وله دواء ، وأنت تعلم أن خير علاج بل أفضل علاج ـ بعد تقوى الله ـ لكبح هذه الغريزة

الجنسية عن كل ما يُغضِب ا لله الزواج ، فلماذا لاتسارع إلى الحلال ، أم أنك وجدتَ أن طريق الشهوات أيسر بكثير من مؤن الزواج وتَبِعاته ! لا أظنّ هذا وإن كان فأنت واهِمٌ حقيقةً ، بل إن كنت تسبح في هذه الأوهام فأنت لايُرجى لك أن تخرج من دياجير الظلام ، ويُخشى عليك من سوء الخاتمة ، لأن هذه الفئة التي خالطت هذه الخرافات لحمها ودمها يعترفون بغير ذلك ، رجالاً كانوا أم نساءً في غير ما اعتراف تداولته الألسُن والجرائد الإصلاحية .

فأفِق يامن يريد النجاة ، أنقِذ نفسك من غياهب الذلّ والأسر ، هذا هو العلاج الذي أوصى به ا لله من فوق سبع سموات ، وأوصى به رسول ا لله ﷺ الشباب .

ـ فضل الزواج :

قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأيَامَى مِنكُم وَالصَّالِحينَ مِن عِبَادِكُم وَإمائِكُمْ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاع ﴾[2] .

(١) النور (٣٢) .

(٢) النساء (٣) .

ثغرة يعلم الله أنها مدفونة في نفس الإنسان ، وهي التّوَقان إلى النساء وتشوّق النفس لكل جديد ، فهناك مَن لايكتفي بامرأة ، وتشرَئِبُّ نفسه إلى المزيد ، فيُقال له : لاتخف فديننا دين العفّة والفطرة ، لقد أباح الله لك التعدّد ، لكي تحفظ نفسك وتحفظ نساء المسلمين من الضياع .

وقال عز وجل : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُم مِن أنفُسِكُمْ أزْوَاجاً لِتَسكُنوا إليهَا وجَعَلَ بينَكُمْ مَوَدّةً وَرَحمَةً ﴾[1] .

فإلى كل مَن يبحث عن العشق ، وعن سعادة الروح بين قصص الحب والغرام الآثم ، إليكَ ياصاحب تيه الغرام والولَه ، إليك هذا النداء الرّقراق العذب الشّفاف ، نداء يحمل بين طيّاته الحب الحلال والمودة الخالصة ، لا مودّة الذئاب حتى تُلتهَم الفريسة ويُبحَث عن غيرها ، حيث تتشعّب الأهواء وتتقلّب الأفكار ، وتجتمع الأحزان والهموم .

أما هنا ، فهنا المودة والرحمة والسكَن بكل مشتقاته ، فهنيئاً لأهل السكن الحلال ، وسُحقاً ثم سُحقاً لأهل الأهواء والضلال .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءةَ فلْيتزوّج ، ومَن لم يستطِع فعليه بالصوم فإنه له وجاء "[2] .

---

(١) الروم (٢١) .

(٢) البخاري : كتاب النكاح ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من استطاع الباءة فليتزوج " ، رقم (٥٠٦٥) ، الفتح (١٣٢/٩) .

قال الحافظ ابن حجر : " خصَّ الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ . . لأن الشباب مظنّة ثوران الشهوة الداعية إلى الجِماع "[1] .

إن الزواج يكمل لك الاستقامة ، ويكف عنك هيجان هذه الغريزة الجنسية ، ويضع أقدامك على جادّة الأطهار والصالحين ، ويحفظك ـ إن شاء الله ـ من مزالق الهوى ، ويتمم لك الدين ، ويساعدك على الفِرار إلى الله ، ويفك رقبتك من قبضة الشيطان .

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا تزوّج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فلْيتّقِ اللهَ في النصف الباقي "[2] .

فإن السعادة كلها في الزواج من المرأة الصالحة ، التي تغضّ طرفَك وتحفظ فرجَك ، وتُعينك على طاعة ربّك .

إنه من السعادة واللهِ أن يوفقك الله إلى الزواج من الصالحة ، التي يكون بها الشفاء ـ إن شاء الله ـ من هذه الهوّة السحيقة المدمّرة .

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " أربع من السعادة : . . المرأة الصالحة . . "[3] .

---

(١) فتح الباري (٩/١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) حسن : حسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٠) ، والصحيحة رقم (٦٢٥) .

(٣) صحيح ، صحّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٨٧) ، والصحيحة رقم (٢٨٢) .

وهناك آيات وأحاديث كثيرة تحثّ على النكاح وتبيّن فضلـه ، بـل إن العلماء قالوا : إن الزواج واجب على من خشـيَ العنَـت ، واجـبٌ وجوبـاً يأثم بتركه هذا لِمن خشي على نفسه الوقوع في الزنا وغيره من الكبائر .

فما يُقال إذن لِمن وقع فعلاً في الفاحشة تكـراراً ومِـراراً ، نسـأل الله أن يتغمّدنـا بواسع فضله ، ويقينا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ـ إعانة الله لِمَن يريد النكاح لإعفاف نفسـه :

إن الله ـ عز وجل ـ يعلـم يقينـاً هـذه المصـائب الـتي يضعهـا عبـاده في وجوه طالبي العفاف والإحصان ، علِمَ الله بخراب هذه القلـوب الميتـة الـتي تتربّص بكل خاطِب يريد الزواج والعفّة ، فتُثقِل كاهله بما يـروي جشـعهم وحرصهم على حُطام زائل ، فمـا يكـون مـن الخـاطب إلاّ أن يـنزع فكـرة الزواج من جذورها ، آيس من قسوة هذه الضمائر ، ويصبح بدلاً أن كان يطلب معاشرة ابنتهم في الحلال ، يتربّص بها الدوائـر حتـى تقـع في شِـباكه المسعورة رغبةً منها إليه ، وفِراراً من شبح نفوذ والدها وعنوستها الآسِنة .

عَلِمَ الله ذلك الواقع المرّ ، فجعل عبء النكاح تفضّلاً منـه علـى كـل مَن يريده يوم أن تخلّى الناس عن المروءة ، وتمسّكوا بسراب الطّمَع والشحّ والبخل .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول ا لله ﷺ : " ثلاثة حقٌّ على ا لله عونهم : المجاهد في سبيل ا لله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف "[1] .

قال المباركفوري : " ثلاثة حق على ا لله عونهم : أي ثابت عنده إعانتهم ، أو واجب عليه بمقتضى وعده معاونتهم ، والناكح الذي يريد العفاف : أي العفّة من الزنا ، قال الطيبي : إنما آثَر هذه الصيغة إيذاناً بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقصم ظهره ، لولا أن ا لله تعالى يعينه عليها لايقوم بها ، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلّية المركوزة فيه ، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين ، فإذا استعفّ وتداركه عون ا لله - تعالى - ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليّين "[2] اهـ .

والكل يشهد بذلك أن ا لله تُلتَمس إعانته لمن يريد التعفف الْتماساً ظاهراً .

(١) حسن : رواه الترمذي ، أبواب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في المجاهد والمكاتب والناكح وعون ا لله إيّاهم ، رقم (١٧٠٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، تحفة الأحوذي (٢٤٢/٥) ، وفي المسند رقم (٧٤١٠) ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وحسّنه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (٣٠١٧) ، وصحيح ابن ماجة رقم (٢٠٥٧) ، وصحيح الجامع رقم (٣٠٥٠) .

(٢) تحفة الأحوذي (٢٤٢/٥) .

- رسالة للآباء :

يقول الأستاذ الدكتور عبد الله ناصح علوان :

" كثير من الناس اليوم انحرفوا عن الإسلام الصحيح ، وأصبحوا ينظرون إلى تزويج بناتهم نظرة مادية بحتة ، كما ينظر التاجر إلى سلعته التجارية التي يتوخّى منها الربح العظيم والمكاسب الكثيرة ، دون التعرّف إلى القيَم الأخلاقية والاعتبارات الدينية التي بها تيسير سُبل الزواج وتأسيس دعائم الأسرة ، إن هؤلاء الآباء والأولياء . . الذين يقفون مثل هذه المواقف المشينة في تعقيدات الزواج ، ويغالون في المهور فوق حدّ المعقول والتصور . . قومٌ ظالمون ومستبدّون وأنانيُّون ! .

قومٌ لايحسبون حساباً لهذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، ولا يقدّرون النتائج الخُلقية والمفاسد الاجتماعية التي تنجم عن كساد سوق الزواج . . قومٌ حكمت عليهم نفوسهم الظالمة ، واستبدادهم الغاشِم بأن يَحُولوا دون تقدّم الأمة في أخلاقها ! .

قومٌ استهواهم بريق المادة الخدّاع ، واستحكمَت فيهم أعراف ما أنزل الله بها من سلطان ، فلا يزوّجون إلا مَن يدفع لهم مهراً أكثر وثمناً أغلى ! قومٌ ابتعدوا عن روح الشريعة الغرّاء وعن جوهر الدين الحنيف . . حتى أضحوا لايفهمون من الدين إلاّ اسمه ولايعرفون من الإسلام إلاّ رسمه "[1] .

(١) عقبات الزواج (٤١ ، ٤٢) .

فأين هؤلاء الآباء من تعاليم الإسلام السامية . . أين هـم ؟ لقـد حفـل تاريخ السلف الصالح ومَن بعدهم بصور قلّما يأتي مثلها ، فأين هـؤلاء مـن سعيد بن المسيّب وقصّته في تزويج ابنتـه أشهر من أن تُذكر ، وأيـن هـؤلاء ممّن كانوا يتزوّجون بالقرآن لشدّة فاقتهم وعوزهم ، فلم يمنعهم فقرهم مـن وجود مَن يزوّجهم ، كان منهـم مَـن يجـد مـن يزوّجـه بـأربع أواقٍ فضّـة ، وبدِرع حديد لا يساوي شيئاً إلاّ القليـل ، فـأين هـذه الرجولـة الأبيّـة مـن رجولة اليوم المتطفّلة على فتيات لاحول لهنّ ولا قوة إلاّ با لله . . ! .

لـو علـم هـؤلاء حجـم الخطـر الـذي يهـدّد بنـاتهم ، لـو علمـوا هـذه الوساوس والأفكار التي تحيط بالشباب والفتيات ، حتى تؤرّق مضاجعهم ، لو علم الآباء قدر هذه الأهواء التي تزلزل قلوب فتياتهم ، والمخاوف التي تهـدّد أعراضهـنّ ، وا للهِ لَسـارعُوا في تزويجهـنّ بـأقل القليـل متـى وجـدوا الكُفء لذلك .

ولَوَجدوا السعادة يوم أن يلتزموا بشرع ا لله في تيسـير الصـداق لكـل مَن يرغب في الزواج حسب استطاعته .

فعن سهل بن سعد ـ رضـي ا لله عنـه ـ قـال : قـال رسـول ا لله ﷺ : " . . الْتَمِس ولو خاتَماً من حديد . . "[1] .

---

(١) البخاري : كتاب النكاح ، باب السلطان وليّ . . رقم (٥١٣٥) ، الفتح (٩/٢٣٨) .

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " خير الصداق أيسره "[1] .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : " إنّ مَن يُمن[2] المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها " [3] .

إلى غير ذلك من الأخبار كثير كثير ، يحضّ على عدم المغالاة في المهور ، ذلك لأن كساد البيوت من الزواج يعرض هذا النشء بما لا يخفى على الناس .

ومن ناحية أخرى يجب على كل أب ميسور الحال أن يساهم بشكل فعّال في تزويج ابنه ، وإلاّ مات غاشاً لرعيّته ، فأنت أيها الأب ما جمعْتَ هذا المال إلاّ لولدِكَ ، وسواء أنفقته في زواج ولدك أو لم تنفقه فأنت رغماً عنك ستخلّيه له وترحل رغماً عنك إلى دار الجزاء ، وإن كان الأب غير ميسور الحال فهنا يحمل هذا العبء المجتمع ، وذلك عن طريق المؤسسات الخيرية التي تساهم في هذا العبء الخطير .

---

(١) صحيح : صحّحه الألباني في صحيح الجامع ، رقم (٣٢٧٩) وإرواء الغليل رقم (١٩٢٤) .

(٢) يُمن : بركتها .

(٣) حسن : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢٤٣٥٩) ، وقال المحقق الشيخ حمزة أحمد الزين : إسناده حسن ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٣٥) .

ـ رسالة إلى الشباب . . كونوا واقعيّين :

أيها الشاب الذي ينشد العفّة والهدوء والاستقرار ، إني لأعجب من حالك ! إذا ما بكيت من غلاء المهر وتباكيتَ من المطالب التي تنهك قواك عن المسير نحو الزواج ، ثم تضاعف هذه العقبات بأن تُلزِم نفسك بأشياء فوق الطاقة بحجة مواكبة البيئة التي مستواها لايسمح بهذا التواضع في الزواج ، والذي يُعدّ فيها تقشّف وتبذّل يُستحيى منه .

وكم سمعنا وا للهِ من شباب منحرف يسرح بخياله في عالم التقدم والرقيّ فلا يرضى لنفسه أن يسكن في شقّة متواضعة على حسب استطاعته ، بل تراه ينشد فيلاّ أو قصراً يسكن فيه ، في لحظة أنه لايملك قوت يومه ، يحلم بالأرائك والأسرّة ذات الديباج والحرير والفراش الوثير ، ويعلنها صريحة أمام أهله أو مَن يتولّى أمره أن مستواه لايسمح إلاّ بذلك ، يحلُم بأحدث الموضات في فرش المنزل ذات الطابع الغربي ، أقول لهذا ولغيره من المخدوعين : انظروا لحالكم أولاً ، فستجدوا أن ديننا الحنيف يحرّم هذا السّرَف والتبذير ، وجعلَهم ـ أي أصحاب السرف ـ إخوان الشياطين ، وثانياً : ألم يرعَ انتباهك هذه الكبائر التي قرب بتلبسك بها حتفك ، لماذا تُقدِم على الزواج مع أنك عاشرتَ لذة الحرام إلاّ لرغبتك في التوبة الصادقة ، والرجوع إلى ا لله ، فإن كانت هذه هي الحقيقة فلماذا تعسّر طريق النجاة في وجهك مع أنك تريدها ؟! .

ثالثاً : الواقعية هي صفة كل عاقل ينظر إلى الحياة نظرة شاملة من جميع الجوانب ، أما أنت بخيالك وأمانيك هذه مفقود الواقعية بل عديمها ، تنشد قصراً وأهلك يعيشون في كوخ ، تشمخ برأسِكَ إلى الطوابق العالية وأنت سقف بيتك يصطكّ برأسك ، تحلم بالديباج والحرير وأنت تلبس الخَلِق من الثياب والبالي .

وجدلاً لو سلّمنا لك أنك تستطيع أن تصل إلى أحلامك ، فذلك أيضاً مقيّد بالضوابط الشرعية ، وإذا ما أقلَعْتَ فعلاً عن هذه الذنوب ثم ذهبت تنفق المال يميناً وشمالاً لكي تحقق العفّة ، وترى بأمّ عينيك شباباً يسيرون كما كنت تسير ويُشبِعون رغباتهم كما كنت تُشبعها ، وتراهم سُكارى في كل وادٍ سحيق ، وبيدك بهذا المال الذي تبعثره فيما لايُسمِن ولا يُغني أن تنتشلهم من هذا المستنقع النّتن ثم لا تفعل فتوبتك غير كاملة ، لتبلُّد حسّك تجاه ما كنت تئنّ منه وتتألّم ، وكأن أمر هذا الشاب المسلم الضائع لايعنيك ! .

الفصل الرابع

الصَّوم

تمهيد :

ولستُ أعني بالصوم الامتناع عن الطعام والشراب فقط ، لأن صاحب هذا الصوم ليس له من صيامه إلاّ الجوع والعطش .

إنما أعني الصيام الذي أمرَ الله ـ عز وجل ـ به ، وهو الامتثال والتعبّد لله بترك الطعام والشراب ، وكل ما حرّم الله من نظرة خائنة أو همز أو غمز أو لمز ، وترك جميع المنكرات التي نُهي عنها سواء ما يتعلّق بالمُفطِرات أو ما يتعلّق بالمعاصي ، فهذا الصوم هو العلاج الذي أرشد الله ـ عز وجل ـ إليه وأخبرَ أنه يُثمر التقوى التي تقي العبد من الفواحش ما ظهر منها وما بطَن .

وهذا الصوم الشرعي ـ بلا شك ـ يقيّد الشيطان تقييداً ، ويردّ كيده في نحرِه ، ويجعله يتميّز من الغيظ ، وتسدّ عليه الثغرات التي فتَحها ناراً تتأجّج على العُصاة حتى أوبقهم كل موبق .

إن الصيام علاج لدحر هذه الفوضى الجنسية المشتعلة ، وإن كثيراً من أصحاب هذه الشهوات جرّبوا الصيام مرّة تِلوَ مرة ، وجاهدوا النفس وهواها حتى قادوها إلى الصيام الشرعي الصحيح ، فكان العلاج بفضل

ا لله أولاً وآخراً ، ومنهم مَن استمرأ الصيام حتى أُصلِح حاله ظاهراً وباطناً ، ذلك لأن الصائم يجد أن صومه يمنعه من الاقتراب من الفاحشة ودواعيها ، فلا يرى صورة تُستثار لها الغرائز ، بل يغض طرفه ، ولا يتعرّض لدواعي هذه الغريزة ، بل يسدّ عليها الذرائع جميعها ، وإن حامَ حول قلبه هاجس التفكير في المحذور شرعاً كابَدَه وقاومَه بكل مايستطيع بالأذكار تارةً وبالاستغفار تارةً أخرى ، وبالصلاة أيضاً ، ويظل يستعيذ با لله من الشيطان وهمزه ونفخه ونفثه حتى يصرف ا للهُ ـ عز وجل ـ هذه الهواجس المزعجة ، ويخسأ الشيطان الرجيم ذليلاً كالذُّباب .

فالصوم أيها الباكي على ذنوبه جُنّة لك مما ألّم بك من التهتّك والضياع ، الصوم ـ إن شاء ا لله ـ كفيل لاجتثاث كل غائلة نشبَت في قلبك وإيمانك ، ويُثمر مكانها التقوى القاصمة لظهر المعاصي والكبائر .

ـ فضل الصوم :

قال ا لله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الّذينَ مِن قَبلِكُمْ لَعَلّكُم تَتّقُونَ ﴾[1] .

فالتقوى هي الثمرة القوية للصيام ، وهي المانعة والحامية للإنسان من كل آفة كانت شهوانية فتّاكة أو غيرها .

وقال تعالى : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيرٌ لَكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

---

(١) البقرة (١٨٣) .

(٢) البقرة (١٨٤) .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " يامعشر الشباب مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوّج ، ومَن لم يستطِع فعليهِ بالصوم فإنه له وِجاء "[1] .

قال الحافظ ابن حجر : " عدل عن قوله فعليه بالجوع وقلّة ما يثير الشهوة ويستدعي طُغيان الماء من الطعام والشراب إلى ذكر الصوم إذ ماجاء لتحصيل عبادة هي برأسها مطلوبة ، وفيه إشارة إلى أن المطلوب من الصوم في الأصل كسر الشهوة "[2] .

فالمقصود من الصيام كما يقول ابن القيم في زاد المعاد : " حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، وتعديل قوّتها الشهوانية لتستعدّ لطلب مافيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية ، ويسكّن كل عضو منها وكل قوة عن جِماحه ، وتُلجم بلِجامه ، فهو لجام المتّقين وجُنّة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقرّبين ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذّذاتها إيثاراً لمحبة الله ومَرضاته "[3] .

فتسلّح أيها المذنب بهذا السلاح المتين ، وحارِب به ذلك الضياع المبين ، وجالِدْ به عدوّ الله الرجيم ، فهو خير علاج لكسر كل شهوة

(١) سبق تخريجه صـ٢٦١ .

(٢) فتح الباري (٩/١٣٦) .

(٣) زاد المعاد (٢/٢٨ ، ٢٩) .

استفحلَت وتمرّدَت ، ولكنِ بشرط أن يكون صياماً شرعياً يتوجّه الإخلاص لله رب العالمين .

- ولإتمام الصيام وتأثيره ؟ :

سبق معنا أن الصيام الشرعي هو المطلوب لدرء هذه الشهوة ، وكما هو معلوم أنه كلما تمّت صحة الصوم قويَ تأثيره في العلاج ، وكلّما ضعف الصوم وذلك بالتقصير في لوازمه ضعف معه العلاج .

فما هي العوامل واللوازم التي ينبغي للذي يعالج نفسه بالصيام ويتقرّب إلى الله به أن يلتزم بها لإتمام صيامه على النحو الذي يكون به التأثير وقمع هذه الغريزة الجنسية عن طغيانها ، وكفّ الجوارح عن الآثام وعن كل مايُغضب الله ، والبُعد عمّا يعيد لهذه الشهوة فورانها وثورانها ؟! .

ومن هذه الأمور التي بها يقوّم الصيام ، ويحصل به العلاج ـ إن شاء الله ـ ستّة أمور ذكَرها الغزالي في إحيائه :

- " الأول : غض البصر وكفّه عن الاتساع في النظر إلى مايذمّ ويُكره ، وإلى مايشغل القلب ويُلهي عن ذكر الله عز وجل .

- الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب ، والغِيبة والنميمة ، والفُحش والجفاء والخصومة والمِراء ، وشُغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن .

وقد قال سفيان : الغيبة تُفسد الصوم .

- الثالث : كفّ السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ماحُرِّم قوله حُرّم الإصغاء إليه .

ـ الرابع : كفّ بقية الجوارح عـن الآثـام مـن اليـد والرجـل عـن المكـاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار ، فلا معنـى للصـوم وهـو الكـف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام .

ـ الخامس : أن لايستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه ، فما من وعاء أبغض على الله ـ عز وجـل ـ من بطـن ملـيء مـن حـلال وكيف يُستفاد مـن الصـوم قهـر عـدوّ الله ، وكسـر الشـهوة ، إذا تـدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في أوان الطعام .

ـ السـادس : أن يكـون قلبـه بعـد الإفطـار معلّقـاً مضطربـاً بـين الخـوف والرجاء ، إذ ليس يدري أيُقبل صومـه أو يُردّ عليه "[1] .

ـ شبهـة وردّهـا :

هناك بعض الأشخاص الذين ابتُلوا بالكبائر الجنسية أو بعضها يقولـون لقد جرّبنا الصيام ولكن دون جدوى ، ففي النهار نمتنع عـن هـذه المعـاصي ثم نعاقرها في الليل ، وهكذا ، فكيف العلاج ؟! .

أقول : اعلَمْ أيها المريض أنه سبق معنا أنه لابـد مـن التوبـة الصادقـة ، ومن الدعاء كذلك .

فهل كنتَ في صيامك مستغفراً نادماً تائباً عازماً على ترك هذه المعصية التي تلبّسْتَ بهـا ؟! هل ما زلتَ على هذه الحال المنكسرة ، دامِعَ العـين ،

---

(١) إحيـاء علوم الدين (١/٣٦٥ ـ ٣٦٧) بتصرّف شديد .

وَجِل القلب ، مُشفِق على نفسك من عذاب ا لله ، خائف ألاّ يُتقبَّل عملك من توبة وصيام وأنت في صيامك ؟! .

ثم هل مازلتَ لهجاً بالدعاء الخالص الصادق وأنت في حال صيامك أن يقيك ا لله المنكرات ما ظهر منها وما بطن ، وأن يعينك على التخلص من هذه الكبيرة التي تعلّقْتَ بها ، وأن يكرّهها ا للهُ إلى قلبك وأنت في صيامك وإفطارِكَ ؟! .

ثم هل التزمتَ بهذه الشروط الستة التي ذكَرها الغزالي في صيامك ، فلم تترك منها شيئاً إلاّ وطبّقتَهُ كما أمر ا لله ؟! .

ثم هل كان هذا الصيام خالصاً لوجه ا لله تعالى أولاً ، ثم تنوي أنك بصيامك هذا تتعبّد إلى ا لله به ، ثم تنوي بذلك أنه سيكون سبباً في التخلّص من هذه الفاحشة التي بتركها يزداد تعبّدك لله وخوفك منه ، لا خوفاً من هذه الأضرار التي سبقَت معناً بدنياً أو دنيوياً ، فيكون الصيام أولاً وآخراً تعبّداً لله لا خوفاً من هذه النّكايا التي تسوّد عِرضك أو تمنع رزقك أو تجرّ عليك الأمراض ، فتكون بذلك في خوفٍ من الأعراض والأمراض لا من ا لله ، فهل حقّقتَ هذا الأصل وهو أن يكون الصيام خالصاً لوجه ا لله أولاً وآخراً أم لا ؟! .

إن كانت هذه الأسئلة قد التزَمْتَ بمقتضياتها ، فيصعب ، بل من المستحيل ـ إن شاء ا لله ـ أن تعود إلى هذه الفاحشة ، وإن عُدتَ إليها

فاعلم أنك مقصّر في هذه الضوابط ولابد ، ولكن مـع ذلـك إن عُـدتَ إلى هذه الفاحشة مرة أخرى فعُد إلى التوبة والصيام والدعــاء ، فـإن الله تعـالى لايملّ حتى تملّ ، هداني الله وإيّاك إلى الصراط المستقيم .

الفصل الخامس

غضّ البصر

تمهيد :

وهذا أصلٌ عظيم ، ومرفَد قويم لكل مَن رامَ السلامة من هذا الداء الوبيل ، لابد له أن يأخذ بمجامع طرفه عن كل صورة محرّمة قبل أن يؤخذ بمجامع قلبه ، فلا الصورة ينالها ، ولا يسلم من صدى خيالها .

وإني لأَعجب لمن أُصيب في مقتله وأصبح من الهلاك قاب قوسين أو أدنى ، ثم هو في يده سُمٌّ يتحسّاه ليكون أسرع في قضائه ، ومع ذلك يرجو النجاة مما فعلَت وتفعل يداه حتى آخر نفَس في الحياة .

إن أراد هذا أن ينضم إلى قافلة الأصحاء ، ويلحق بركب الأقوياء لابد أن يتعاطى أسباب الشفاء ، فينزع عمّا أوردَه الهلاك ، ويحجُم عن هذه الآفات التي ضمّته إلى مَن قُبِروا في سرائرهم وأرائكهم ، أما أن يظل ملتهماً لما فيه حتفُه ثم يرنو النجاة فهذا ليس من طوائف العُقَلاء ، بل مكانه المصحّات النفسية وسط المجانين ، تهاب الناس خبله وجنونه ، ويتجنّبوه في جميع مظاهر الحياة ، ويظل رهين الأسوار مع شاكلته ، فإما أن يشفى من جنونه ويلتحق بعقلاء الناس ، وإما أن يدركه الموت وهو على حاله .

ومع الفارق في التشبيه فإن صاحبنا هذا أعظم من هذا الوصف ، فهو يعلم أنه بالْتهامه مئات الصور سيتفتّت قلبه بعدد هذه المناظر ، ثم هو في كل لحظة يحمّل نفسه فوق طاقتها بسيره وراءها لإشباع ميولها ، ويعلم أن هذا هو الهلاك الذي ما منه ملاذ ولا مهرَب ، إلاّ أن يلطف الله به وينقذه من هذا الدمار العاجل والآجل .

لا يا أخي ، أين الصرامة والإرادة والعزيمة والرجولة ، أين التوبة والأوْبَة والدعاء الذي يبرق نوره في السَّحَر إلى ربّ العالمين ، فيمطر عليك بركات الحفظ والرعاية من كل ما يُودِي بإيمانِكَ ؟! .

إني لأجزم أنه بمجرد قلقك من هذه الصور ، وتفكيرك في إيجاد حلّ لهذه الزوبعة التي صدّتكَ عن الطُّهر والعفّة ، أنّ العلاج آتٍ إن شاء الله ، مادام أن هناك هذه النزعة .

ولكن . . القلق والانزعاج وحده لايكفي !! . .

لابد من خطوات صارمة جادّة نحو العلاج الحقيقي الذي تنشده ، وهذا الجدّ والصدق هو المطلوب للإقلاع عن هذه النظرات الزائغة المتلذّذة بما حرّم الله ، ولا تيأسنّ من بصرِكَ إذا ما سطَا مرة على القاذورات ، فجلَب إلى قلبِكَ جراثيم الذباب المتوحشة ، فهدّهُ وأبكاه . . لا تيأسنَّ .

فلابد من الجهاد ، ولابد من الصبر ، وأن يكون سلاحك على هذا المرض ، وعدّتك لجهاد هذا الانفلات ، هو اللجوء إلى الله في كل لحظة

وطرفة عين ، حتى يبارك ا لله في جهادك الباسل ، وإخلاصك وصدقك في الاستعانة والاستغاثة به سبحانه ، حتى يتم الشفاء والعلاج التام من كل هذه القلاقل القلبية ، ببُعدِكَ عن كل ما يُعيد إليكَ هذا النظر المحرّم الدّاعِر ، الذي قَلّما تُخطئ شِباكُه ومصائده ، وقَاني ا للهُ وإيّاك كل نظرة جائرة خائنة ، آمين .

ـ الأمر بغضّ البصر :

قال تعالى : ﴿ قُلْ للمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِن أبصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَلكَ أزْكَى لَهُمْ إنَّ ا للهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ ﴾[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه ا لله : " هذا أمرٌ من ا لله تعالى لعباده المؤمنين ، أن يغضُّوا من أبصارِهم عمّا حرّم عليهم ، فلا ينظروا إلاّ إلى ما أباحَ لَهُم النظر إليه ، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن اتّفقَ أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره سريعاً "[2] .

لأن البصر كما يقول القرطبي : " هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمر طرق الحواس إليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه ، وغضّه واجب عن جميع المحرّمات ، وكل ما تُخشى الفتنة من أجله "[3] .

(١) النور (٣٠) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٧٢ ، ٢٧٣) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٢٦) .

﴿ ذَلكَ أزْكَى لَهُمْ ﴾ يقول ابن كثير : " أي أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم ، كما قيل : مَن حَفِظَ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته ، ويُروى في قلبه "[1] .

وكما جاء القرآن آمراً بغضّ البصر عن المحارم ، كذلك جاءت السنّة المطهّرة بذلك تحثّ على غضّ البصر وحفظ الفرج .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " إنّ الله - عز وجل - كتب على ابن آدم حظّه من الزنا أدركَ ذلك لا محالة : فزِنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والنفس تتمنّى وتشتهي والفرج يصدّق ذلك كله ويكذّبه "[2] .

قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن بطال : سمّى النظر والنطق زنا لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي "[3] .

وقال ابن القيم - رحمه الله - في [روضة المحبّين] :

" فبدأ بزنى العين لأنه أصل زنى اليد والرِّجل والقلب والفرج ، ونبّه بزنى اللسان بالكلام ، وعن زنى الفم بالقُبل ، وجعل الفرْجَ مصدّقاً لذلك إن حقّق الفعل أو مكذّباً له إن لم يحقّقه ، وهذا الحديث من أبيَن الأشياء على

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٧٣) .

(٢) البخاري : كتاب الاستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج ، رقم (٦٢٤٣) ، الفتح (١١/٣٠) .

(٣) فتح الباري (١١/٣١) .

أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زِناها ، ففيه ردٌّ على مَن أباحَ النظر مُطلقاً " [1] .

ويقول سيد قُطب رحمه الله وجعلَ الجنّة مثواه :

" وغضّ البصر من جانب الرجال أدبٌ نفسي ، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام ، كما أن فيه إغلاقاً للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ، ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم ! .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغضّ البصر ، أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ، ويقظة الرقابة ، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولى " [2] .

ـ غض البصَر عن المشاهد الهابطة الخليعة المحرِّكة للغرائز :

وهذا يندرج تحت ماسبق من الأمر بغضّ البصر عن كل ما حرّم الله تعالى من النظر إليه ، مما يثير الهزاهز الشهوانية الراكدة ، فتصبح بعد أن كانت آمنة متشوّفة إلى الحلال ، غير مستقرة وحائرة مما طلّ عليها من نوافذ العُهر والمجون المستورَد من بلاد الحقد الأسود على الإسلام وأهله ، لمن يرفعون راية التوحيد ويلتفّون حولها .

---

(١) روضة المحبّين (٨٤) .

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٥١٢) .

فجاء الإسلام بتعاليمه السامقة السامية النبيلة ، ليذود بأهله عن هذه الأحقاد السوداء السابحة على الدوام ، ممطرة على أبناء المسلمين في جميع البوادي والحضَر الرّذائل المجرّدة في صراحة صارخة عارمة ، وليحفظ أبناءه من هذه الفوضى المدبَّرة من قِبَل بروتوكولات أصابت أهدافها في قلب الأمّة الإسلامية .

فيجب عليك أخي أن تتحرّز عن هذه المهالِك ، وأن تنزِّه بصرَك عن هذه الفتن المائجة كقِطَع الليل المُظلِم .

إن حفظ البصر ليس مقتصراً على عدم التطلّع إلى النساء في الشوارع والأسواق فحسب ، بل يمتد ليشمل الغضّ عن كل محرّم من صور عارية متحرّكة وغير متحرّكة ، ومرئيّة في وسائل المرئيّات من تلفزيون وفيديو وسينما ومسرح ، ومرئيّة في غير وسائل البثّ من شوراع وأزقّة وأماكن الازدحام . .

وكذلك من وسائل حفظ البصر البُعد عن كل مايكون ذريعة لاجتذاب البصر إلى ما يُغضب ربّ السموات والأرض من اقتناء أي جهاز يحتوي على هذه المثيرات ، منها التلفزيون الذي حوى بداخله الغَثّ وهو أكثر ، والسمين وهو أقلّ القليل ، وما جهاز الدِّش عنا ببعيد ! . .

فما هو القول في جهاز اكتظّ في الإرسال عليه عشرات المحطات الغربية ، جهاز مليء بعشرات القنوات الساقطة ، كل واحدة منها أشرّ من

الأخرى ، وإن هذا الجهاز [الدِّش] صدرَت فيه فتاوى كثيرة ، واشهرها فتوى العلاّمة ابن عثيمين ، وهي أشهر وأظهر من أن تُذكر ، حرّمَ فيها[1] ـ حفظه الله ـ هذا الجهاز اللعين .

ـ من فوائد غضّ البصر :

ومن المسلّم به أن غضّ البصر من أسرع العلاج لتقويم هذه الشهوة ، وذلك لأن في غضّ الطرف عن الحرام فوائد جمّة وغالية الثمن ، مَن حُرِمَها حُرِمَ جميع الخير ، وإننا عندما نحثّ على غضّه من كل ما يفترس هذه الشهوة ويسخّرها في مبارزة الله ، ليس معنى ذلك أن غضّ البصر ليس له ثمرة إلاّ حفظ الفرج ، مع أنه لو كان هذا فقط لكفى به مَكرُمَة في احتواء الفرج عن كل ما يُغضب الله ، ولِجَعْل صاحبه من المقرّبين . .

ولكن مع هذا الفضل العظيم الذي يكون بغضّ البصَر ، هناك فوائد أخرى لاتقل عمّا سبق ـ ذكَرها الإمام ابن القيّم ـ رحمه الله ـ في روضته فقال :

" أحدها : تخليص القلب من ألَم الحسرة ، فإن مَن أطلق بصره دامَت حسرته ، فأضرّ شيء على القلب إرسال البصر ، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبرَ له عنه ، ولا وصول له إليه ، وذلك غاية ألمِه وحسرته .

---

(١) وهناك قاعدة شرعية يحسن ذكرها هنا وهي : أن كل ما حرّمه الله حرّم النظر إليه كالنساء والخمر والتماثيل والميتة . .

الفائدة الثانية : أن غضّ البصر يورث القلب نوراً وإشـراقاً يظهـر في العـين وفي الوجه وفي الجوارح ، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه .

الفائدة الثالثة : أنه يورث صحة الفراسة ، فإنها من النور وثمراتـه ، وذلـك في قوله تعالى : ﴿ اللهُ نورُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ﴾[1] عُقَيـب قولـه : ﴿ قُـل للمُؤمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبصَارِهِمْ ﴾[2] .

الفائدة الرابعة : أنه يفتح له طرق العلـم وأبوابـه ، ويسـهل عليـه أسـبابه ، وذلك بسبب نور القلب ، فإنه إذا اسـتنار ظهـرَت فيـه حقـائق المعلومـات وانكشفَت له بسرعة ، ومَن أرسل بصرَه تكدّر عليـه قلبـه ، وانسـدّ عليـه باب العلم وطرقه .

الفائدة الخامسـة : أنـه يـورث قـوة القلـب وثباتـه وشـجاعته ، فيجعـل لـه سلطان البصيرة مع سـلطان الحجـة ، ولهـذا يوجـد في المتّبِـع لهـواه مـن ذلّ القلب وضعفه ، ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لِمن آثر هـواه علـى رضاه .

---

(١) النـور (٣٥) .

(٢) النـور (٣٠) .

الفائدة السادسة : أنه يورث القلب سروراً وفرحة ، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظرة ، وذلك بقهره عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه .

الفائدة السابعة : أنه يخلّص القلب من أسر الشهوة ، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه ، فهو كما قيل : طليق برأي العين وهو أسير ، ومتى أَسَرَت الشهوة والهوى القلب تمكّن منه عدوّه وسامه سوء العذاب .

الفائدة الثامنة : أنه يسدّ عنه باباً من أبواب جهنّم ، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل ، وتحريم الربّ تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول ، فمتى هُتِك الحجاب دفَع إلى الوقوع في المحظور ، ولم تقف نفسه منه عند غاية ، فإن النفس في هذا الباب لاتقنع بغاية تقف عندها .

الفائدة التاسعة : أنه يقوى عقله ويزيده ويثبّته ، فإن إطلاق البصَر وإرساله لايحصل إلاّ من خفّة العقل وطيشه ، وعدم ملاحظته للعواقب ، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ، ومُرسِل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره .

الفائدة العاشرة : أنه يخلص القلب من سُكر الشهوة ورقدة الغفلة ، فإن إطلاق البصر يوجِب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة "[1] .

فاعلم أخي أن " بصرَك نعمة من الله عليك ، فلا تعصِه بنعمهِ ، وعامِلْهُ بغضّه عن الحرام تربح ، واحذر أن تكون العاقبة سلب تلك النعمة ، وكل زمان الجهاد في الغضّ لحظة ، فإن فعلتَ نِلتَ الخير الجزيل ، وسلِمتَ من الشرّ الطويل .

ليس الشجاع الذي يحمي مطيّته يوم النِّزال ونار الحرب تشتعلُ
لكن فتىً غضّ طرفاً أو ثنى بصَراً عن الحرامِ فذاك الفارسُ البطلُ[2]

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٨٨ - ٩٤) بتصرّف .

(٢) ذمّ الهوى (١١٩) .

الفصل السادس

عدم سماع الغِنَاء

تمهيد :

إن سماع الغناء المُثير لكوامن الغريزة حرام ، وكذلك الغناء المصحوب بآلات الموسيقى حرام . .

فلا تغترّ أيها الجريح بِمَن أفتوا بإباحته ، واحذر أن تكون ممن يلتمس رُخَص المذاهب ، فمقامك هذا لايحتمل هذا الرّوَغان ، لأنك جريح مريض بحاجة إلى الشفاء العاجل ، فالعمر قصير والموت قريب ! .

فكم مِن شاب وا للهِ سحرَهُ الغِنَاء ، فاجتثّ إيمانه من قلبه ، وألقاه في سراديب الفجور .

فلو نظرتَ إليه وهو هائم في الشوارع ، يبحث في مواخير الاستريو عن أحدث أُغنية وصلَت ، ثم يتلقّف هذا الشريط بأي مبلغ كان غير نادم يوم أن شُلّت يداه فلا يتصدّق بعُشر مِعشار ثمن الشريط ؟! .

يأخذ هذه الأغنية ويعيش على آهاتها في السيارة غير عابئ بالناس ، وفي كبد الليل ، بدل أن يصفّ قدميه لله تعالى ويستغفر ، يُشعل السيجارة ويحيي حياة الولَه والوجد الشيطاني ، على أنغام الموسيقى ، تحت الضوء الخافت الأحمر والأزرق ، يحلّق ببصره في دخان سيجارته ، وفي سقف

غرفته ، ويسبح مع صدى أوتار الليل إلى فارسة الأحلام ، إلى عالم الحب والهُيام ، وأما وقت سماعه فتجده في حال كأنما على رأسه الطير ، يتنهّد كالنساء ، يرتفع صدره وينخفض كلما لذعَتْه حرارة الأغنية ، قد ودّع عالم الرجولة ، وأصبح كالشاة العائرة بين جبلين ، فلا إلى الرجال ينتمي ولا إلى النساء كذلك ، فكان هذا من الجنس الثالث وهم المخنّثون ، لو نظرتَ إلى حال هذا الشاب لأبكاكَ أن يكون هذا من المعدودين على الإسلام .

أفَترْضَى بعد ذلك أخي أن تكون من هذا الفريق المخنّث على افتراض حُسن الظنّ ، فالفرار الفرار من الغناء الساقط وأهله ، والحذَر الحذر من هذا التشبيب النّاقض لعُرى الإيمان ، فأي خير يُرجى ممّن لايجتمع مع القرآن في مكان ، فهذا هو العلاج الربّاني ، وهذا هو الطب الروحاني ، فبادِر . . فالعلاج بين يديك .

- الإعلام بأن العزف والغناء حرام :

لعلك أخي تجادل بأن الغناء ليس حراماً ، لذلك فأنت تتسلّى به للتخفيف عن أحزانك وآلامك ، مادام أن هناك قوماً أباحوه وأجازوه . .

سبق أن قلت لك أن مَن تتبّع رُخَص الفقهاء اجتمع فيه الشر كله ، وهذا في غير أصحاب هذه الكبيرة ، يعني فيه من الخير ما يكمّم الأفواه عن اتهامه في عِرضه ، ومع ذلك لو تتبّع هذه الرُّخص اجتمع فيه الشرّ

كله ، فما هو القول فيك وفي أمثالك ممّن يسعوا في فكاك رقابهم من قيود الذلّ والأسر البهيميّ ، ثم هم يثرثرون بأن الغناء يريحهم من الغمّ والاكتئاب ! لا يا أخي ، إن كان هذا هو حالك فأبشِر بما يسوؤك دنيا وآخرة ، وإن لم تكن من هذا الفريق فأبشِر بما يسرّك دنيا وآخرة ، ولكي يطمئنّ قلبك وتعلم خطورة هذا الغناء وحجم إفساده لإيمان العبد ، فإليكَ هذا التقرير الذي لايحتاج لمزيد بيان :

قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَفزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنهُم بِصَوتِكَ ﴾[1] .

قال القرطبيّ : " عن ابن عباس : قال مجاهد : الغناء والمزامير واللهو ، وقال الضحاك : صوت المزمار "[2] .

يقول العلاّمة أبو بكر الجزائري : " وإذاً فَلْيكفِ الغناء والمزمار قُبحاً وتحريماً أن يكونا عُدّة للشيطان وعتاداً له ، يُغري بهما عباد الله على الفِسق والعصيان . . "[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبيلِ اللهِ بِغَيرِ عِلْمٍ ﴾[4] .

---

(١) الإسراء (٦٤) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٩٣) .

(٣) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٥) .

(٤) لقمان (٦) .

قال ابن كثير : " عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يُسأل عن هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود : الغناء والله الذي لا إله إلاّ هو ، ويردّدها ثلاث مرات "[1] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمِن هَذا الحَديثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾[2] .

قال القرطبي رحمه الله : " قال عكرمة : هو الغناء بلغة حمير ، يقال : سمِّد لنا أي غنِّ لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يُتلى تغنّوا ولعبوا حتى لايسمعوا "[3] .

قال العلاّمة الجزائري حفظه الله : " هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى ، قال فيها أئمّة التفسير : إنها دالّة على تحريم الغناء ، ومن بين هؤلاء الأئمّة ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ الإمام المفسّر الكبير القرطبي "[4] .

أما السنّة المطهّرة ففيها كذلك أحاديث كثيرة صريحة في تحريم الغناء ، وإليك بعض هذه النصوص :

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢٦/٣) .

(٢) النجم (٥٩ ـ ٦١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢٠/١٨) .

(٤) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٨ ، ٣٨) .

عن أبي مالك الأشعري ـ رضي ا لله عنه ـ أنـه سمع النبيَّ ﷺ يقـول : " لَيكونَنَّ من أمّتي أقوامٌ يستحلّون الحِرَّ(*) والحرير والخمر والمعازف "(1) .

يقول الجزائري حفظه المولى تعالى : " ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالـة قطعيـة ، ولـو لم يـرد في المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافياً في التحريم وخاصة في نوع الغنـاء الـذي يعرفه الناس اليوم "(2) .

وعن عبد ا لله بن عمر ـ رضي ا لله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : " إنّ ا لله تعالى حرّم على أمّتي الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مُسكِر حرام "(3) .

يقول الجزائري حفظه ا لله : " فالكوبة : الطبل الصغير ، وعلى كلٍّ فهو آلة من ألات الطرب ولاشكّ ، وأما الغبيراء فقد اختُلِف في معناها فقيل : هي آلة من آلات الطرب ، وقيل : هي شراب يتّخذه الحبشة من الذُّرة ، وكونها آلة من آلات الطرب كالعود والطنبور أقرب .

(*) الحر : الفرج ، والمعنى أنهم يستحلّون الزنا .

(1) البخاري : كتاب الأشربة ، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسمّيه بغير اسمه ، رقم (٥٥٩٠) ، الفتح (١٠/٦٣) وصحّحه الألباني وناقش مَن ضعّفه في تحريم آلات الطرب (٣٨ ـ ٥١) .

(2) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٢٨ ، ٣٨) .

(3) صحيح : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٦٥٩١) ، وقال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وذكر الألباني حديثاً يحمل معناه في الصحيحة رقم (١٧٠٨) .

ووجهة دلالة الحديث على تحريم الغناء هي :

١ ـ أن الغناء لهو وحرام ، ولو لم يكن حراماً كيف تُحرّم آلته ؟! .

٢ ـ الأغاني المعروفة اليوم والتي تذيعها محطّات الإذاعة لاتخلو قط من آلة طرب كمزمار أو قانون ونحوهما ، فيحرم الغناء لذاته ، ولأنه بألفاظ الفُحش والباطل والسوء .

ويحرم لأنه بأصوات المومِسَات والعاهرات ، التي يحرم على الرجال سماع أصواتهنّ ، أو بأصوات المخنّثين الذين مهروا في النغم المثير للشهوات المحرِّك للغرائز ، فيحرم على المرأة سماعه لذلك ، وهو مع هذا مصاحب للعزف على آلات اللهو المحرّمة بنص حديث البخاري السابق ذكره "[1] .

وقال محدّث العصر وحافظ الوقت العلاّمة الألباني حفظه ا لله :

" اعلم أخي المسلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً ، فقد جاوز عددها العشرة عند ابن حزم وابن القيم ، فهي من الكثرة أن مجموعها يدل الواقف عليها أن مضمونها الذي اتفقت عليه متونها وهو التحريم ثابت عنه ﷺ يقيناً "[2] .

ـ أسماء الغِنَاء :

يقول الإمام ابن القيم في كتابه النفيس " إغاثة اللهفان " :

---

(١) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (٣٩ ـ ٤٠) .

(٢) تحريم آلات الطرب (٣٦) .

" هذا السماع الشيطاني المضادّ للسماع الرحماني ، له في الشرع بضعة عشر اسماً :

فالاسم الأول : اللهو ، ولهو الحديث ، قال تعالى : وَمِنَ النّاسِ مَن يَشتَرِي لَهْوَ الحَدِيث . . ﴾[*] الآية قد سبقَت معنا .

الاسم الثاني والثالث : الزور ، واللغو ، قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ لاَيَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإذَا مَرُّوا باللّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾[1] وهذه الآية ـ وإن كان سبب نزولها خاصاً ـ فمعناها عام ، متناول لكل مَن سَمِعَ لغواً فأعرَض عنه ، وتأمّل كيف قال سبحانه : ﴿ لاَيَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ ولم يقل : بالزّور ، لأن [يشهدون] بمعنى : يحضرون ، فمدَحهم على ترك حضور مجالس الزور فكيف بالتكلُّم به وفعله ؟! والغناء من أعظم الزور .

الاسم الرابع : الباطل ، فالباطل إما معدوم لا وجود له ، وإمّا موجود لانفع حقيقي له ، فالكُفر والفسوق والعصيان والسِّحر والغناء واستماع الملاهي : كله من النوع الثاني .

وأما اسم : المُكاء والتصديَة ، فقال تعالى في الكفار : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهمْ عِندَ البيْتِ إلاّ مُكاءً وَتصْدِيَةً ﴾[2] ، وا لله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمر ، بل أُمروا

(*) لقمان (٦) .

(١) الفرقان (٧٢) .

(٢) الأنفال (٣٥) .

بالعُدول عنه إلى التسبيح ، لئلاّ يتشبّهوا بالنساء ، فكيف إذا فعلوا لا لحاجة ، وقرنوا به أنواعاً من المعاصي قولاً وفعلاً ؟! .

وأما تسميته [رُقية الزِّنَا] : فهو اسم موافق لِمُسمّاه ، ولفظٌ مُطابق لمعناه ، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل ابن عياض قال : (الغناء رُقية الزّنا)[1] .

ومن الأمر المعلوم عند القوم : أن المرأة إذا استصعبَت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء ، فحينئذٍ تعطي الّليان ، وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً .

وأما تسميته : [منبت النّفاق] ، ذلك لأنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبّره والعمل بما فيه ، فإن القرآن والغناء لايجتمعان في القلب أبداً ، لِما بينهما من التضادّ ، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ، ويأمر بالعفّة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغيّ ، وينهى عن اتّباع خطوات الشيطان ، والغناء يأمر بضد ذلك كله ، فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق .

---

(١) قال شيخنا الدكتور أحمد علاء : وأرى أن التعبير برقية الزنى تركه أولى ، لأن الرُّقية شفاء ، فإذا قلتَ رُقية صُداع أي الشافية منه ، والغناء يوقع في الزنا ولا يشفي منه .

وأما تسميته : [قرآن الشيطان] ، فمأثور عن التابعين ، قال قتادة : " لما أُهبط إبليس قال : يارِبِّ لعنتَني فما عملي ؟ ، قال : السِّحر ، قال : فما قرآني ؟ قال : الشعر ، قال : فما صوتي ؟ قال : المزامير . . " .

وشواهد هذا الأثر كثيرة ، فكل جملة منه لها شواهد من السنّة أو من القرآن .

وأما تسميته بـ : [الصوت الأحمق ، والصوت الفاجر] ، فهي تسمية الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى .

وأما تسميته : [صوت الشيطان] ، لأنه من المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ، ولهذا فُسّر صوت الشيطان به .

وأما تسميته : [مزمور الشيطان] ، فهي تسمية أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ وأقرّها رسول الله ﷺ .

وأما تسميته بـ : [السّمُود] ، قد سبق ذلك معنا .

فهذه أربعة عشر اسماً ، سوى اسم الغناء "[1] .

فهذه الأسماء البغيضة وحدها حريّة أن تصدّ قلب كل امرئٍ يؤمن با لله عنه ، ويفرّ منه ، ويجزع من صوته ، كيف لا وهو يحمل في طيّاته كل هذا الفسق والدعوة إلى الشهوات المحرّمة بكل جرأة وسفور .

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٦٧ ـ ٢٨٩) بتصرف شديد .

- الإنشاد بين التحريم والإباحة :

ربما يستهويكَ الشيطان ، بعدما رأى باب الغناء المثير للغرائز قد غُلّق في وجهه ، إلى مجال الإنشاد الإسلامي الذي يخرج عن ضوابطه إلى لحون أهل الفسق والفجور لصدّك عن الحق ، وذلك بالتدرّج معك في المغالاة بالأناشيد الدينية ، حتى يصبح الحال كما هو الآن ، من أن هناك أشرطة تسمّى بالأناشيد الحماسية للجهاد أو غيره ، فإذا ما سمعتها حسبتها أُغنية لأحد المغنّين ، وذلك لأن إيقاعات الصوت ورنّة الدُّف لافرق في ذلك بينها وبين الأغاني الأخرى ، اللهمّ إلاّ الموسيقى فقط .

وقد جلّى لنا الدكتور عمر سليمان الأشقر هذه القضية فقال :

" تواترَت الأخبار عن أصحاب المصطفى المختار ﷺ ، أنهم كانوا يُنشدون الأشعار في حضرته في الحضَر وفي الأسفار تنشيطاً لكلال النفوس ، وتنبيهاً للرواحل أن تنهض في أثقالها ، وكانوا مّما يقولونه وهم يحفرون الخندق :

نحن الّذينَ بايَعُوا محمّدا   على الجِهادِ ما بَقينا أبدا

فيجيبهم الرسول ﷺ بقوله : " اللهمّ لا خير إلاّ خير الآخرة فاغفِر للأنصار والمهاجِرة "[1] ، وجمد أقوامُ فمنعوا مثل هذا الإنشاد ومثل هذا الحداء ، الذي يروح النفوس ويجمّها .

---

(١) البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب التحريض على القتال ، رقم (٢٨٣٤) ، الفتح (٥٧/٦) .

وجاوزَ أقوامٌ الطريق فأصبح الإنشاد والغناء شغلهم الشاغل ، وأحدثوا له أنغاماً ، ورقّقُوا أصواتهم حتى أصبح فناً ، لا أقول هذا عن الفُسّاق من المغنّين والمغنّيات ، وإنما مُرادي أولئك الذين اتخذوا هذا ديناً وقُربة إلى الله تعالى ، وشَغلوا بذلك أوقاتهم ، وهجروا قرآن ربّهم .

والفريق الوسط يتمثّل في أولئك الذين يروّحون عن النفوس بمثل حداء العرب في بعض أوقات الفراغ ، وفي الأسفار ، وحين القيام بشيء من الأعمال ، يحدون وينشدون على السجيّة ، وتكون أبيات النشيد تحبيباً في الزهد ، وترك الغرور والباطل ، أو حثّاً على طلب العلم والرغبة فيما عند الله "[1] .

(١) جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة (٥٧ ، ٥٨) .

الفصل السابع

عدم التفكير المهيّج للشهوة

تمهيد :

وهذا العلاج من أهم العلاجات التي لايتسنّى للمسلم المُبتَلَى بهذا البلاء الجنسي أن يتخلّى عنه ، وهو عند الشباب أشد منه عند الشيوخ .

بل قد لا أبالغ إذا ما قلت أن هذا التفكير الملتوي الأخّاذ تسبب في إقبال كثير من الشباب على مقارفة الفواحش الغليظة ، كيف لا ، وذلك لأنك تجد هذا الشاب الغرّ قد طار عقله هنا وهناك في عالم الفتيات والنساء ، وفي كل لحظة من اللحظات تجده غارقاً بل ومتفانٍ في عالم اللّذة البهيمية بأوضاعها وأشكالها ، حتى يصبح ذلك الحال سجيّة عنده ، قد أدمنَها ولايستطيع التخلّص منها إلاّ بالتنفيس عن نفسه في أي موطن كان ، إمّا " بجلد عميرة " أي الاستمناء حتى تُنهك قواه ، وإمّا في حانة من حانات الجرائم المغلّظة .

وياليته ينتهي بعد ذلك عن ارتكاب مثل هذه الفواحش المنحطّة ! بل يتعدّاها إلى مراحل الإدمان ، حتى يستحكم الهلاك . .

إذن ، فالعلاج الأمثل هو الامتناع عن خطوات الشيطان الأولى المبتدئة بالتفكير الشهواني من جميع الجوانب ، وهذه هي السلامة من العطب المزري بالسعادة في الدنيا والآخرة .

ولكن اعلم أيها المسلم أن ذلك لابد له من الجهاد والورَع ، وذلك أن كل امرئٍ أعرف بنفسه ، فاحذر أخي أن تتمادى في السير وراء كل نزعة هوائية تحسّها من نفسك ، بل لابد من الحزم الشديد عند ذلك ، وأن تستعين با لله في ترويض نفسك بصرفها إلى التفكّر فيما يسكّن ثورتها ، ويقوّم اعوجاجها ، ويقودها إلى التفكّر في كل ما يجلب لها السعادة بالفوز بالجنة والنجاة من النار .

ـ الإثم ما حاكَ في صَدْرِك :

إن العبد الذي يريد أن يستأصل شأفة هذا المرض من قلبه لابد له أولاً أن يعرف حقيقة ما يجول بخاطره ، لأن البعض يشغل قلبه بأشياء ، ثم يعلّل ذلك بعلل واهية ، كإقباله على قراءة جرائد ومجلاّت هابطة ، وكُتب جنسية هدفها الرواج ، وغير ذلك من الأشياء الخاصة بهذه الحياة الجنسية ثم يعلّل ذلك بأنه ما أقبل على مثل هذه الأفعال إلاّ لتزداد خبرته في مجال الحياة الخاصة والسرّية من الحياة الزوجية ، إلى غير ذلك من عِلَل واهية .

أقول : لابد وأن تعرف الحقائق مجرّدة عن أهوائك وحظوظ نفسك حتى لاتنخدع فتقع في مستنقع الخواطر المهيجة للغريزة الجنسية ، والعُذر

في ذلك هو " زيادة الخبرة " والحقيقة أنها زيادة الفجور والاستهتار ليس إلاّ ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1] .

فلا تخادع نفسك أيها المسلم ، واعلم أن الحقيقة جنّة أو نار ، وأن إبليس الرجيم قد أخذ على عاتقه عهداً فقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[2] .

فالحرب بيننا وبينه قائمة مادام هناك عرق ينبض ، فالقضية لاتحتاج لمراوغة ومخادعة ، لأن الدائرة على هذا النمط لابد وأن تكون عليك ، فالحذر الحذَر .

عن النواس بن سمعان ـ رضي ا لله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " البِرُّ حُسنُ الخلُق ، والإثمُ ما حَاكَ في نفسك وكَرِهتَ أن يطّلعَ عليه الناس "[3] .

قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه "جامع العلوم والحِكَم" : أن في الحديث " إشارة إلى أن الإثم ما أثّر في الصدر حرجاً وقلقاً واضطراباً ، فلم ينشرح له الصدر ، ومع هذا فهو عند الناس مستنكَر ،

(١) الشمس (٩ ـ ١٠) .

(٢) الأعراف (١٧) .

(٣) مسلم : كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم ، رقم (٢٥٥٣) ، نووي (١١٠/١٦) .

بحيث يُنكرونه عند اطّلاعهم عليه ، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه ، وهو ما استنكره الناس على فاعله وغير فاعله "[1] .

قال ابن مسعود رضي ا لله عنه : " فما رأى المسلمون حسناً فهو عند ا لله حسَن ، وما رأَوْه سيّئاً فهو عند ا لله سيّئ "[2] .

قال الحافظ ابن رجب : " فهذا يدل على أن الحق والباطل لايلتبس أمرهما على المؤمن البصير ، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه ، فيقبله قلبه ، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه "[3] اهـ .

وعن الحسن بن عليّ سِبط رسول ا لله ﷺ وريحانته - رضي ا لله عنه - قال : حفظتُ من رسول ا لله ﷺ : " دَعْ ما يُريبكَ إلى ما لايُريبُكَ "[4] .

قال الحافظ ابن رجب : " ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتّقائها ، فإن الحلال المَحض لايحصل للمؤمن في قلبه منه رَيب ،

---

(١) جامع العلوم والحِكَم (٢/١٠١) .

(٢) إسناده صحيح : رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٣٦٠٠) ، وقال العلاّمة أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وهو موقوف على ابن مسعود .

(٣) جامع العلوم والحِكَم (٢/١٠٠) .

(٤) صحيح : رواه النسائي (٥٠) ، الحث على ترك الشّبُهات ، رقم (٥٧١١) سنن النسائي وحاشية السندي (٣٢٧/٨) ، ورواه الدارمي في سننه كتاب البيوع ، باب دع مايريبك إلى مالا يريبك ، رقم (٢٤٣٧) وصحّحه الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (٥٢٦٩) والإرواء رقم (٢٠٧٤) وغاية المرام رقم (١٧٩) .

والريب بمعنى : القلق والاضطراب ، بل تسكن إليه النفس ، ويطمئنّ به القلب ، وأما المشتبهات فيحصُل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجِب للشكّ "[1] اهـ .

إلى غير ذلك من الأخبار كثير .

فالحاصل أنه ينبغي على مَن أراد النجاة أن يقطع تلك العلائق والعوائق التي تصده عن الله ، وما سعد مَن سعد إلاّ بجمعية قلبه على ربّه ، وما تعس مَن تعسَ إلاّ بتفرّق قلبه وتشتته وانزلاقه عن طريق الاستقامة إلى دروب الحيرة والدهشة وسط هذه المغريات الجنسية ومتعلّقاتها ، حتى صار القلب هشاً خاوياً إلاّ مِن حب الشهوات ودواعيها ، تحرّكهُ أدنى زوبعة وتزجّ به في نيران شهوة الفرج ! نسأل الله الثبات .

ـ دفع الخواطر والأفكار الشهوانية والرديّة بدايةً :

وللإمام ابن القيم في هذا الفصل تفصيل يُكتب بماء الذهب ، فقال ـ رحمه الله ـ في كتابه الفائد " الفوائد " :

" واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلّقاتها إلى الفكر ، فيأخذها الفِكر فيؤديها إلى التذكّر ، فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة ، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل ، فتستحكم فتصير عادةً ، فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوّتها وتمامها ، ومعلوم أنه لم يُعطَ الإنسان

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠) .

إماتة الخواطر ، ولا القوة على قطعها فإنها تهجم عليه هجوم النفس ، إلاّ أن قوة الإيمان والعقل تُعينُه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكَنته له ، وعلى رفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه .

فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبّ الذي يوضع في الرّحى ولا تبقى تلك الرّحى معطّلة قط ، بل لابد لها من شيء يوضع فيها ، فمن الناس مَن تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره ، وأكثرهم يطحن رملاً وحصىً وتِبناً ونحو ذلك ، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيّن له حقيقة طحينه .

فإذا دفعتَ الخاطر الوارِد عليكَ اندفع عنك ما بعده ، وإن قبلته صار فِكراً جوالاً ، فاستخدِم الإرادة فتساعدكَ هي والفكر على استخدام الجوارح ، فإن تعذّر استخدامها رجعا إلى القلب بالمنى والشهوة ، وتوجهه إلى جهة المراد .

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار ، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات ، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارُك فساد العمل ، وتداركه أسهل من قطع العوائد ، فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لايعنيك ، فالفكر فيما لا يعني باب كل شرّ ، وإيّاك أن تمكّن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك ، فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه ، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار

المضرّة ، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعكَ ، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك "[1] .

ـ كيف يتمكن الشيطان من قلب المسلم :

قال شيخنا الفاضل وحيد عبد السلام بالي حفظه ا لله :

" واعلم أخي المسلم أن الشيطان لايدخل إلاّ على ذي القلب الخالي من الذكر والتقوى والإخلاص واليقين ، فيلقي وساوسه ، فتجد المحل خالياً فتتمكن منه وتستقر فيه ، كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

وأما إذا كان القلب عامراً بالإيمان ، مُسربلاً بالتقوى ، محصّناً بالذكر ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، ولا إليه سبيل .

والطامّة الكبرى فيما إذا كان محشواً بالهوى والشهوة ، فهما قُوت الشيطان ، فلا يمكن دفعه ، وهذا كمثل كلب جائع مرّ برجل بين يديه لحم ، فكلّما زجَره لم ينتهِ ، فإذا رفع اللحم من بين يديه يئسَ الكلب وانصرف ، كذلك صاحب القلب المليء بالشهوات ، فلابد أن يطهّره أولاً منها ، ثم يعمّره بالتقوى ، وفي هذه الحالة عندما يقول : [أعوذ با لله من الشيطان الرجيم] انصرَف عنه الشيطان .

(١) الفوائد (١٩٨ ، ١٩٩) .

ومَن فهم هذا عرف سبب قلّة جدوى الاستعاذة عند كثير من الخلق فليست الاستعاذة مانعة للشيطان إلاّ إذا كان قلب المستعيذ خالياً من قوت الشيطان وعامراً بالتقوى والإيمان ، ﴿ إنَّ الّذينَ اتّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإذَا هُم مُبصِرُونَ ﴾[1] فهذه الآية خاصة بالمتقين دون غيرهم "[2] اهـ .

ـ كيف تروّض خواطرك وتطرد شيطانَك ؟ :

إن كانت نفس العبد محبّة لهذه الخواطر والهواجس الدنيئة ، فعلى العبد أن يروّضها ويقودها ويسوقها ويجلدها بالمواعظ ، والموت يذكّرها إياه ، والقبر يخوّفها من عُقباه ، ويظل وراءها ثابت الجأش ، لاتهوله الفتن حتى يردّها إلى ا لله ، ويصلح تشرّدها ، ويأخذ بزمامها إلى ربّ العالمين .

يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر في كيفية ردّ هذه النفس الشهوانية إلى ا لله : " وإذا كانت النفس عصيّة تأبى الانقياد فعليه أن يذكّرها الموت والقبر والبعث والنشور والجنة والنار ، ذلك أن القلب إذا تذكّر الأهوال والعقَبات التي سيمر بها في الموت وما بعده شدّته كثيراً ودَعَتْه إلى تدارك مافات ، والزهد في الدنيا ، والشغل بأعمال الآخرة .

---

(١) الأعراف (٢٠١) .

(٢) وقاية الإنسان من الجن والشيطان (١٧٠) .

وقد حدّثنا كتاب ربّنا كما حدّثنا رسولنا ﷺ عن الموت وسكراته ، والقبر وآفاته وفتنته ، وكيف يكون روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حُفَر النار ، وحدّثَنا عن فَناء هذا الكون حيث تُخسَف شمسه ، ويُكسف قمره ، وينفرط عقد نجومه ، وتُدكّ الأرض والجبال ، وتُسجَر البحار ، وغير ذلك من الأهوال العِظام ، ثم يقوم الناس لرب العالمين ، عندما يُنفَخ في الصور النفخة الثانية ، حيث يُحشرون حُفاةً عُراةً غُرلاً بهما ، يجمع الله الأوّلين والآخرين في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ، يقع فيه للعباد من الأهوال ما يجعل الناس سُكارى وما هم بِسُكارى ولكن عذاب الله شديد .

وتُنصَب الموازين للحساب ، ويُساق الناس بعد ذلك إلى نار لايخبو سعيرها ، ولايرجو أهلها الخروج منها ، أو إلى جنة الخلد التي وُعِد المتّقون أُكُلُها دائمٌ وظِلُّها ، شبابها دائم ، وخيرها عميم ، وأفراحها متصلة ، ﴿ لاَيَسْمَعُون فِيهَا لَغْواً وَلا تأْثِيماً . إلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاماً ﴾[1] ، ولذلك يحسُن بالمسلم أن يقرأ كثيراً فيما حدّثَنا الله به عن اليوم الآخر ، فإنه يزكّي القلوب ،ويدفعها إلى فعل الخيرات وترك المنكرات ، وتقوية الصلة بالله "[2] اهـ .

---

(١) الواقعة (٢٥ ، ٢٦) .

(٢) منهاج تزكية النفس في الإسلام (٤٥ ، ٤٦) .

الفصل الثامن

الرُّفقة الصالحة

تمهيد :

كثيراً ما نسمع أن الإنسان لو استحيا من ا لله حياءه من رجل صالح لنَجا ، وهذه حقيقة ، فهناك من العُصاة مَن يتغيّر وجهه خجَلاً إذا ما رآه بعض الصالحين متلبّساً بصغيرة من الصغائر ، فما هو القول إن رآه أي إنسان وهو يرتكب بعض الكبائر ، لاشك أن هذه مصيبة من المصائب .

بل ربما يستفيق هذا المذنب ويرجع إلى ا لله إذا ما استشعَرَ عظمة ا لله عند حيائه ممن لايملك له ضراً ولا نفعاً ، ورأى أن ا لله أحقّ بهذا الحياء ، والخوف من هذا العبد الصالح المسكين .

بل لو أننا سألنا أي شاب من الشباب الملتزم بدين ا لله ، ما سبب الْتزامك ؟ وما هي أقوى العوامل التي جعلَتْكَ تضع أول قدم على درب الهداية ؟ ، سيُخبرُكَ بلا تردّد أن السبب في ذلك ا لله أولاً ، ثم فلان الرجل الصالح فإنه ما فَتِأَ[1] يدعوني إلى ا لله بالنصيحة تارةً وبالشريط أخرى ، حتى فتح ا لله على قلبي بالهداية .

---

(١) ما فتأ : ما زال ، القاموس المحيط (٦٠) .

وإنني أذكر سؤالاً طُرح ذات مرة على فضيلة العالِم محمد صفوت نور الدين ـ حفظه الله ـ عندنا في مصر ، ومضمون السؤال على حسَب ما أذكر جيداً : " إنني شاب قد وقعت في ذنب من الذنوب ، وقد تُبت إلى الله ، ولكن سرعان ماأعود إلى هذا الذنب مرة أخرى فأتوب ، وأعود ، وهكذا . . فما هو العلاج ؟! " فأجاب فضيلته وكان ذلك في محاضرة عامة : " عليكَ بالرفقة الصالحة " ثم استطردَ فضيلته في الإجابة ، هذا ما أذكره جيداً .

فالحاصل أن الرفقة الصالحة تُعين العبد على التخلّص مما أرهقه وأتعبه من كبار الذنوب وصغارها ، وذلك لأن الإنسان العاصي سوف يرى من أصدقائه الصالحين الطُّهر والعفاف وشفافية الروح ونقاءها من الدّغَل وصلاح علانيتهم ، ونصائحهم الصادقة ، ما يجعله يفكّر ألف مرة ما بالهم هكذا وأنا عاثٍ في الأرض فساداً ، مع أن السنّ واحد ، والهدف الدنيوي واحد والغرائز واحدة ، سوف يفكر دائماً في هذه الخواطر وغيرها حتى يتم العلاج بإذن الله تعالى .

ـ الحثّ على صحبة الصالحين :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَالمؤمنونَ وَالمؤمِنَاتُ بَعضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعضٍ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ

(١) لقمان (١٥) .

المُنكَرِ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾[2] وها هو رسول الله ﷺ يُنذِر ويحذّر من مغبّة المصاحبة والمجالسة لأصدقاء السوء ، ويحثّنا ﷺ على مُصاحبة الأخيار الأطهار ، فعن أبي موسى عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " مثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كمَثل صاحب المِسك وكير الحدّاد ، لايعدمك من صاحب المسك إمّا تشتريه أو تجد ريحَهُ ، وكير الحدّاد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة "[3] .

يقول الحافظ ابن حجر : " وفي الحديث النهي عن مجالسة مَن يتأذّى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب في مجالسة مَن ينتفع بمجالسته فيهما "[4] .

ويقول صاحب [عون المعبود] : " وفي الحديث إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم ، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة ، وإلى الاجتناب عن صُحبة الأشرار والفُسّاق فإنها تضرّ ديناً ودنيا "[5] .

(١) التوبة (٧٠) .

(٢) آل عمران (١٠٣) .

(٣) البخاري : كتاب البيوع ، باب في العطّار وبيع المسك ، رقم (٢١٠١) ، الفتح (٤/٤٠٦) .

(٤) فتح الباري (٤/٤٠٧) .

(٥) عون المعبود (١٣/١٢٢) .

فعليك أيها العبد بصحبة الصالحين ، كما وصّاك بذلك رسول الله ﷺ والفرار الفرار من الخُبَثاء والفُسّاق وشياطين الإنس ، فإن الهلاك كله في مصاحبتهم ومخالطتهم ، والشفاء التام في البُعد عنهم وهجرهم .

ـ شروط مَن تختار صُحبتَهُ :

اعلم أخي المسلم أنه ليس كل شخص يصلح للمصاحبة والمؤانسة والمشاورة ، بل لابد لِمَن تصاحبه أن تتوفر فيه شروط وضوابط ، لكي يكون نِعم العون ـ بعد الله تعالى ـ ومن هذه الشروط والخصال مايلي :

" الأولى : أن يكون مسلماً متمسكاً بدينه ، عاملاً بمقتضاه من الأوامر والنواهي ، متّبعاً لمنهجه من الكتاب والسنّة ، بعيداً عن البِدَع والأهواء .

الثانية : أن يكون متخلّقاً بأخلاق الإسلام ، محافظاً على مكارم ومحاسن الشّيَم والأخلاق ، قال ﷺ : " إنما بُعِثتُ لأُتّمم مكارم الأخلاق "[1] ، فاحرِص على مؤاخاة مَن يكون دليلك إلى أرض النجاة ومرآتك إلى الخير .

الثالثة : أن يكون نظيف النفس من أدران النقص ، بعيداً عن الرّذائل ، مستقيماً كما يريد الله ورسوله ، متطهّراً بالقول والفعل ، إذ لا فائدة من مؤاخاة الفاسِق ، اللهمّ إلاّ أن يخالَط لإصلاحه ، إذ أن الفاسِق لاتُؤمَن

---

(١) صحيح : رواه مالك في الموطأ ، كتاب حُسن الخلُق ، باب ماجاء في حُسن الخلُق ، رقم (٨) ، (٢/٩٠٤) ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٢٠٧) ، والحديث عن أبي هريرة .

غائلته ، ولا يُوثق بصداقته ، كما أن صُحبة الفُسّاق ومشاهدة الفسق تهوّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها ، ثم إن مصاحبتهم ومجالستهم بغير قصد الدعوة إنما هو كمجالسة جليس السوء الذي نهانا عن مجالسته الرسول ﷺ .

الرابعة : ألاّ يكون حريصاً على الدنيا يعضّ عليها بالنواجذ ، إذ أن هذه من صفات إخوان الدنيا ، أُخوّة وقتية ولغاية معيّنة ، تنتهي بانتهاء المصلحة المادية التي يرجوها من خلال أُخوّته لك " [1] .

قال الماوردي : " الإنسان موسوم بسيماء من قارب ، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الصاحب مُناسب ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ما من شيءٍ أدلّ على شيء ، ولا الدخان على النار ، من الصاحب على الصاحب .

وقال بعض الحكماء : اعرف أخاك بأخيه قَبلك .

وقال بعض الأدباء : يظنّ بالمرء مايظنّ بقرينه .

وقال عديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قومٍ فصاحِب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردَى مع الرّدي

---

(١) الأخوّة (٩ ـ ١١) بتصرّف .

فلزم من هذا الوجه أيضاً أن يتحرّز من دُخلاء أهـل السـوء ، ويجـانب أهـل الرّيـب ، ليكـون موفـور العِرض ، سـليم الغيـب ، فـلا يُـلام بملامـة غيره "[2] .

(٢) أدب الدنيا والدين (١٦٦ ، ١٦٧) .

الفصل التاسع

مع النّفْس

تمهيد :

وهنا تتجلّى الصورة الحقيقية لرسوخ الإيمان أو عدم رسوخه ، وتظهر أمارات النجاة أو عدمها ، وسنعلم أن النفس مازالت سوداء مظلمة كالكوز مجخياً لاتعرف معروفاً ولا تُنكِر مُنكَراً ، أو بيضاء نيّرة لاتضرّها فتنة ما دامت السموات والأرض أو لا .

ففي هذا الموطن سيكون المعيار الدقيق للإيمان ، ذلك لأن التعامل سيكون مع النفس ، والحرب هنا ضَروس لارحمةَ فيها ولا هوادة ، لأن الخاسر في هذه المعركة سيخسر بخُسرانها الدنيا والآخرة ، اللهمّ إلاّ إذا كان الانتصار على النفس وردّ رعونتها وخساستها ، ثم تزكيتها ، فليس معنى ذلك أنها خاسرة ، بل الخاسر هنا الشيطان . .

نريد هنا التشمير عن ساعد الجِدّ والمُنازلة ، والاستعانة بالمُعين جلّ وعلا ، وعدم اليأس ، وشدّة البأس ، وطول النفَس ، في محاورة النفس وترويضها إلى ما فيه صلاحها ، وليس وا للهِ هذا بالأمر الهيّن .

كيف يهون ، والثمن جنّة أو نار ؟! .

هنا موطن الورع والصبر والإرادة والعزيمة وصدق الاستعانة والاستغاثة ، والتوكل العملي على الله .

لابد وأن تقود أيّها العبد المشفق على نفسه من عذاب الله ، هذه النفس إلى مواطن النجاة ، لابد وأن تعرّفها خطورة موقفها إن هي أصرّت على فجورها وإثمها وعدوانها ، ولابد من محاسبتها والأخذ بزمامها ، فإن حرنت ينبغي مجاهدتها وعقابها .

لابد وأن تسوقها بسوْط الخوف والترهيب من عذاب الله ، وتستدرّ دمعها بين منازل الخوف والرجاء .

والحذَر الحذَر من التساقط على الطريق ، فتهلك مع مَن هلَكوا ، بل عليك بنفسِك ومداواتها ، وإشعارها بسلطان الله عليها ، ومراقبتها له سبحانه ، تكون النجاة إن شاء الله .

ـ مراقبة الله تعالى :

وهذه المراقبة من أعظم أبواب الحفظ للعبد بعد حفظ الله تعالى ، فلابد أيها المسلم أن تُشعِر نفسك بمراقبة الله لها في جميع الأحوال ، وسائر الأوقات ، قال تعالى : ﴿ الّذي يَراكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِينَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَمَا كُنتُمْ ﴾[2] ، وقال

(١) الشعراء (٢١٩ ، ٢٢٠) .

(٢) الحديد (٤) .

تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَخفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأرضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَبالمِرْصَادِ ﴾[2] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل . . قال : ما الإحسان : قال : " أن تعبدَ اللهَ كأنّكَ تراه فإن لم تكُن تراه فإنّه يراك . . "[3] .

قال النووي : " هذا من جوامع الكلِم التي أُوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربّه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً مّما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحُسن السَّمت ، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلاّ أتى به ، فقال ﷺ : اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العِيان .

وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ، ليكون ذلك مانعاً من تلبّسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم ، فكيف بمن لم يزل ـ الله تعالى ـ مطّلعاً عليه في سرّه وعلانيته "[4] اهـ .

---

(١) آل عمران (٦) .

(٢) الفجر (١٤) .

(٣) مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان . . رقم (٩) ، نووي (١٦١/١) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥٧/١ ، ١٥٨) .

قال صاحب [مختصر منهاج القاصدين] : " وينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وفي العمل ، هل حرّكه عليه هوى النفس ، أو المحرّك له هو الله تعالى خاصةً ؟! .

فإن كان الله تعالى أمضاه ، وإلاّ تركه ، وهذا هو الإخلاص ، قال الحسن : رحم الله عبداً وقف عند همّه ، فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخّر ، فهذه مراقبة العبد في الطاعة ، وهو أن يكون مخلصاً فيها ، ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع ، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب ، والشكر على النعم .

وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود : حقٌّ على العاقل أن لايُشغَل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذّاتها فيما يحلّ ولا يُحرَّم .

فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات ، وإجمام للقوة ، وهذه الساعة التي هو مشغول فيها بالمطعم والمشرب لاينبغي أن تخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر "[1] .

وقد قيل :

إذا ماخلَوْت يوماً فلا تقُل ... خلوتُ ولكن قُل عليَّ رقيبُ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٣٥٣ ، ٣٥٤) .

ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعةً ولا أن ماتخفيه عنه يغيبُ
ألم ترَ أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنّ غداً للنّاظرين قريبُ[1]

ـ محاسبة النفس :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَتْ مِن خَيرٍ مُحضَراً وَمَا عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أنَّ بَينَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعيداً ﴾[2] .

فمَن حاسَب نفسه الآن خفّف عنه غداً وطأةَ هذا الحساب الشديد .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفسٌ ما قَدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أفْلَحَ مَن زَكّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[4] .

يقول سيد قطب رحمه الله : وهذه الآية " تُشعِر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة ، ليظلّ على يقين أن هواه لم يخدعه ولم يضلله ، كي لايقوده الهوى إلى المهلكة ، ولا يحق عليه قدر الله فيمن يجعل إلهه هواه "[5] .

(١) إحياء علوم الدين (٤/٦٠٩) .

(٢) آل عمران (٣٠) .

(٣) الحشر (١٨) .

(٤) الشمس (٩ ، ١٠) .

(٥) في ظلال القرآن (٦/٣٩١٨) .

قال تعالى : ﴿ إنَّ ا للهَ لايُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حَتّى يُغيّرُوا مَا بأنفُسِهِمْ ﴾[1] .

وقال الحسن رضي ا لله عنه : " إن المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله ، وإنما خفّ الحساب يوم القيامة على قومٍ حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنّما شقّ الحساب يوم القيامة على قومٍ أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة .

إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول : وا للهِ إني لأشتهيكَ وإنك لمن حاجتي ، ولكن وا لله ما من وصلة إليك ، هيهات ، حِيلَ بيني وبينِكَ ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردتُ إلى هذا ، مالي ولهذا وا للهِ مالي عُذر بها ، وا لله لاأعود لهذا أبداً إن شاء ا لله .

إن المؤمنين قومٌ أوثقَهم القرآن ، وحالَ بينهم وبين هلَكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فِكاك رقبته ، لايأمن شيئاً حتى يلقى ا لله ـ عز وجل ـ يعلم أنه مأخوذٌ عليه في ذلك كله "[2] .

يقول ابن قدامة رحمه ا لله : " واعلم أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه ، كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار ، ويحاسبها على جميع ماكان منها ، كما يفعل التجّار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم .

---

(١) الرعد (١١) .

(٢) الزهد (٥١) .

ومعنى المحاسبة أن ينظر في رأس المال ، وفي الربح ، وفي الخسران ، لتتبيّن له الزيادة من النقصان ، فرأس المال في دينه الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وخُسرانه المعاصي ، وليحاسبها أولاً على الفرائض ، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوفي منها ما فرّط .

فينبغي للعبد أن يحاسب نفسه على الأنفاس ، وعلى معصية القلب والجوارح في كل ساعة ، فإن الإنسان لو رمى بكل معصية يفعلها حجراً في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة ، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي وهي مثبتة ﴿ أحْصَاهُ ا للهُ وَنَسُوهُ ﴾[1] . . "[2] .

أنا العبدُ الذي كسَب الذّنوبا	وصدّتهُ الأماني أن يتُوبا
أنا العبد الذي أضحى حزيناً	على زلاّته قَلِقاً كئيبا
أنا العبد الذي سُطِّرَت عليه	صحائف لم يخف فيها الرّقيبا
أنا العبدُ المُسيءُ سراً	فمالي الآن لا أُبدي النّحيبا
أنا العبد المفرّط ضاع عُمري	فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بِلُجٍّ بحرٍ	أصيحُ لَرُبّما ألقَى مُجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا	وقد أقبلتُ ألْتمسُ الطّبيبا
أنا العبد المخلّف عن أُناسٍ	حَوَوْا مِن كل معروفٍ نَصيبا

(١) المجادلة (٦) .

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٣٥٤ ، ٣٥٥) .

أنا العبد الفقير مددتُ كفّي إليكم فادفعوا عنّي الخُطوبا
أنا الغدّار كم عاهَدتُ عهداً وكنتُ على الوفاءِ به كذوبا
أنا المقطوع فارحمني وصِلني ويسِّر منك لي فرَجاً قريبا
فيا أسفى على عُمرٍ تقَضَّى ولم أكسب به إلاّ الذنوبا[1]

ـ مُجاهدة النفس :

ذلك لأنك إن لم تجاهد نفسك ولم توبّخها وتردعها وتصرفها عمّا وراء هلاكها ، علمت النفس وأيقنَت بحرّيتها ، وآلَمَتْك بجراح الشهوة الجائرة ، بل واسكرَتْكَ سُكرا لا يُرجى بعده فواق إلاّ برحمة الله ، فتعيث على وجهك مثل الذباب يقع على كل منتن مستقذَر ، فلا تترك زمامها ، وكُن خير قائد لها ، تنجو من إفكها ووحلِهَا .

قال تعالى : ﴿ وَالّذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وَإنّ الله لَمَعَ الُمحسِنِينَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَأمّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى . فَإنَّ الجنَّةَ هي المأوَى ﴾[3] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ـ عز وجل ـ قال : " إن الله كتَب الحسنات والسيّئات ثمّ بيّنَ ذلك ، فمَن

(١) صلاح الأمة في علوّ الهمّة (٤/٦٠٩) .

(٢) العنكبوت (٦٩) .

(٣) النازعات (٤٠ ، ٤١) .

همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها ا لله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همَّ بها فعمِلَها كتَبها ا لله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومَن هَمّ بسيّئة فلم يعملها كتَبها ا لله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها ا لله له سيّئة واحدة "[١] .

قال الحافظ ابن حجر : " قال ابن بطال : في هذا الحديث بيان فضل ا لله العظيم على هذه الأمة ، لأنه لولا ذلك كاد لايدخل الجنة أحد ، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات ، وفيه ما يترتّب للعبد على هجران لذّته وترك شهوته من أجل رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه "[٢] .

والهمّ بالسيئة والإقبال عليها بنهَم ثم تركها مخافة ا لله ، والانزواء عنها بعيداً رجاء ثواب ا لله عز وجل ، لاشك أن ذلك من أعظم المجاهدة للنفس وصاحب هذه المجاهدة ، سوف يلامس لذّتها وحلاوتها ، والجزاء من جنس العمل .

وعند البخاري : باب مَن جاهد نفسه في طاعة ا لله عن معاذ بن جبل ـ رضي ا لله عنه ـ قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلاّ آخرة

---

(١) البخاري : كتاب الرقاق ، باب مَن همّ بحسنة أو سيئة ، رقم (٦٤٩١) ، الفتح (٣٩٢/١١) .

(٢) فتح الباري (٣٩٩/١١) .

الرَّحل فقال : " يامعاذ ، قلت : لبّيك يارسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ ، قلت : لبّيك يارسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ بن جبل ، قلت : لبّيك يارسول الله وسعديك ، قال : " هل تدري ما حقّ الله على عباده ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " حقّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " ثم سار ساعة ثم قال : " يا معاذ بن جبل " قلت : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : " هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه ؟ " ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " حقّ العباد على الله ألاّ يعذّبهم "[(١)] .

قال الحافظ في الفتح : " قوله : باب مَن جاهدَ نفسه في طاعة الله عز وجل ، يعني : بيان فضل مَن جاهد ، والمراد بالمجاهدة : كفّ النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة ، وبهذا تظهر مناسبة الترجمة .

وقال ابن بطال : جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل ، قال تعالى : ﴿ وأمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَن الهَوَى ﴾ الآية ، ويقع بمنع النفس عن المعاصي ، قال القشيري : أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات وحملها على غير هواها .

وللنفس صفتان : انهماك في الشهوات ، وامتناع عن الطاعات .

(١) البخاري : كتاب الرقاق ، باب مَن جاهدَ نفسه في طاعة الله ، رقم (٦٥٠٠) ، الفتح (٤١٠/١١) .

فالمجاهدة تقع حسب ذلك ، وأقوى المعين على جهاد النفس ، جهاد الشيطان بدفع ما يلقي إليه من تحسين ما نهى عنه من المحرّمات ، وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقّظاً لنفسه في جميع أحواله ، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات "[1] اهـ .

(١) فتح الباري (١١/٤١٠ ، ٤١١) .

الفصل العاشر

ومِن أعظم وسائل العلاج مايلي :

تمهيد :

وسوف أسلك في هذا الفصل ـ إن شاء الله ـ مسلك الاختصار ما استطعت ، وذلك لأن الوسائل كثيرة ، ولو أسهَبتُ لطال المقام جداً ، لكثرة الآثار والأخبار في سُنن المصطفى ﷺ في هذا الفصل .

وإن هذه المحظورات يشترك في دفعها المجتمع كله ، ليكون هو بدوره أيضاً عوناً لمن أراد أن يستقيم على طريق الله تعالى ، فيجب على كل فرد له رعيّة أن يمنع رعيّته من إفساد البلاد والعباد ، وليضرب على يد كل من يعول ، وليمنعه من أن يكون سبباً في تأجيج هذه الشهوة .

فإنْ تكاتفَ الناسُ وصار كل منهم عنصراً بنّاءً في المجتمع ، فسوف تستأصل شأفة هذه الشهوة المنحرفة ، لتسير في مسارها الطبيعي الذي خلقَها الله من أجله .

وإن كانت هذه التوجيهات يحمل عِبأَها المجتمع ، فأنت يامن تريد النجاة دورُكَ إن فرّط الناس في هذه التعاليم الدينية أن لاتكون ضحية إعراضهم وتفلّتهم عن نهج الله ، بل عليك أن تفرّ من هذه السموم قدر استطاعتك معتصماً بالله وبسنّة رسوله ﷺ .

- أولاً : فرض الحجاب :

وذلك أن تلتزم كل امرأة بالحجاب الذي أمرها ا لله به ، وهو أن تستر جميع بدنها كما أمر ا لله تعالى وكما أمر رسوله ﷺ .

وشروط الجلباب ثمانية كما ذكرها الألباني - حفظه ا لله - وهي :

" ١ - استيعاب جميع البدن (إلاّ ما استثنى) ، وهناك من العلماء من خالف الشيخ - حفظه ا لله - في هذه المسألة وهي كشف الوجه ، أما إن كانت هناك فتنة ستحصل بكشف الوجه فإن الألباني - حفظه ا لله - يرى وجوب الستر عندئذٍ .

٢ - أن لايكون زينةً في نفسه .

٣ - أن يكون صفيقاً لايشفّ .

٤ - أن يكون فضفاضاً غير ضيّق .

٥ - أن لايكون مبخّراً مطيّباً .

٦ - أن لايشبه لباس الرجل .

٧ - أن لايشبه لباس الكافرات .

٨ - أن لايكون لباس شهرة "[1] .

وترك لباس الشهرة : أي أن يكون اللباس غير مخالف لِما اعتاده صُلَحاء الناس في البلد .

---

(١) جلباب المرأة المسلمة (٣٧) .

- ثانياً : منع التبرُّج :

وهو أن تُظهر المرأة من جسدها ما حرّم عليها إظهاره ، وذلك كإظهار عُنُقها وماكياج الوجه والساقين وغير ذلك مما يراه الناس من مظاهر هذا التبرّج الصارخ الذي يثير كوامن الشباب وغرائزهم .

فعلى كل إنسان مسلم أن يمنع ابنته أو أخته أو زوجته أو مَن يعول مِن كل تهتّك وسفور ، وخاصةً في الأفراح المتفسِّخة من كل قيد ، أو المتهاونة في كثير من تعاليم الإسلام .

ولقد تهاون أناسٌ فيهم خير كثير في أمر هذه الأفراح والليالي المِلاح ! وما استبانَ لهم شُنْعِ فعلِهم ، ولا قُبح تهاونهم ، إلاّ بعد أن سُجِّلَت عليهم هذه السيئات التي جنوها من جرّاء هذا التهاون واللامبالاة ، فندموا أشد النّدم ، وتمّنوا أن لو استقبلوا من أمرهم ما استدبروا ، ليصلحوا ما جنوه على أنفسهم من تبِعَات الندم والأسف والأسى ، وهم مع ذلك تائبون نادمون مستغفرون .

والحاصل على كل من يعول امرأة أن يذبّ عنها هذا التبرُّج والسُّفور .

- ثالثاً : تحريم مسّ الأجنبية ومصافحتها :

يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه ا لله :

" وإذا كان الإسلام يطارد الحرام أنَّى وُجد ، ويترصّد المنكر حيثما كان ليقضي عليه ، فلمس المرأة باليد يحرّك كوامن النفس ، ويفتح أبواب الفساد ، ويسهّل مهمة الشيطان ، من أجل ذلك توعَّدَ الله مَن يفعل ذلك بصارمِ عقابه وشديد عذابه "[1] .

فعن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : " لأَن يُطعَن في رأس أحدِكُم بِمخيَط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لاتحل له "[2] .

قال العلامة الألباني حفظه الله :

" وفي الحديث وعيد شديد لِمَن مسَّ امرأة لاتحل له ، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء ، لأن ذلك مما يشمله المسّ دون شكّ ، وقد بُلِيَ بها كثير من المسلمين في هذا العصر "[3] .

رابعاً : منع الخلوة بالأجنبية :

قال الشيخ الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله :

" وحقيقة الخلوة أن ينفرد رجل بامرأة في غيبة عن أعين الناس .

---

(١) عودة الحجاب (٣/٤٣) .

(٢) صحيح : ذكره الألباني في الصحيحة رقم (٢٢٦) ، وانظر الحديث رقم (٥٢٩ ، ٥٣٠) في الصحيحة .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٤٤٨) .

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع ، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى .

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك ، وداعية الإثم والفجور ، وكيف لايكون ذلك ، والفرصة سانحة ، وقد مهدَت الخلوة للغريزة أن تستيقظ "[1] .

وإن من أعظم الشرور على الإطلاق خلوة الخطيب بمخطوبته ، وإن فيها من المفاسد مالا يعلمه إلاّ الله وحده ، وعُذر الناس في ذلك أنهم يثقون في بناتهم وأبنائهم ، وكذبوا وربِّ الكعبة ، كيف لا ؟! وهم يتركونها بين ناب سبع أو ذئب أو كلب ، ولربما نهش عِرضها وتركها قنبلة موقوتة تصطاد ضحاياها في الليالي الحمراء والسوداء .

فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " لايخلوَنَّ رجل بامرأة إلاّ مع ذي محرَم "[2] .

---

(١) عودة الحجاب (٣/٤٥) ، ويلحق بها كل انفراد أدّى إلى مفسدة كالانفراد بالسيارة من غير محرَم .

(٢) البخاري : كتاب النكاح ، باب لايخلونّ رجل بامرأة . . رقم (٥٢٣٣) ، الفتح (٤١٣/٩) .

ـ خامساً : منع سفر المرأة بغير محرَم :

عن ابن عباس ـ رضي ا الله عنهما ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول : " لايخلونّ رجل بامرأة ، ولا تسافرنّ امرأة إلاّ ومعها محرَم " فقام رجل فقال : يارسول ا الله ، اكتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا ، وخرجَت امرأتي حاجّة ، قال : " اذهب فاحجُج مع امرأتِكَ "[١] .

" فتباً لهؤلاء المستغربين ، وسُحقاً سُحقاً لعبيد المدنية الزائفة ، الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان يسافرون دون محرَم ، ويخلون بالرجال الأجانب ، مُدّعين أن الظروف تغيّرَت ، وأن ما اكتسبَتْهُ المرأة من التعليم ، وما أخذَتْهُ من الحريّة يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها ، فما هذا إلاّ فكر خبيث ، دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا ، وما هي إلاّ حجج واهية ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين انعدَمَت عندهم غيرة الرجولة والشهامة ، فضلاً عن كرامة المسلم ونخوته "[٢] .

---

(١) البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب مَن اكتُتب في جيش فخرجَت امرأته حاجّة ، رقم (٣٠٠٦) ، الفتح (١٧٦/٦) .

(٢) عودة الحجاب (٤٩/٣) .

- سادساً : منع خروج المرأة متطيّبة متعطّرة :

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : " كلُّ عينٍ زانية ، والمرأة إذا استعطرَت فمرّت بالمجلس فهي كذا وكذا ، يعني زانية "[1] .

قال المباركفوري رحمه الله : " . . إذا استعطرَت أي : استعملَت العطر ، فمرّت بالمجلس أي : مجلس الرجال ، يعني زانية لأنها هيّجَت شهوة الرجال بعطرها ، وحملَتهُم على النظر إليها ، ومَن نظرَ إليها فقد زنى بعينيه ، فهي سبب زنى العين فهي آثمة "[2] .

- سابعاً : منع الخضوع بالقول :

يقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم حفظه الله :

" فقد يكون صوت المرأة رخيماً ، يحرّك النفوس المريضة ، فيجرّها إلى التفكير في المعصية ، أو يوقعها ويوقع بها في بليّة العشق .

ومن هنا نُهيَت المرأة عن مخاطبة الأجانب بكلام فيه ترخيم ، كما تخاطب زوجها ، وأُمرَت أن تتحرّى الصوت الجاد العاري عن أسباب

---

(١) حسن صحيح : رواه الترمذي أبواب الاستئذان والآداب ، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطّرة ، رقم (٢٩٣٧) ، وقال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح ، تحفة الأحوذي (٥٨/٨) ، ورواه أبو داود كتاب الترجّل ، باب في طيب المرأة للخروج ، رقم (٤١٦٧) ، عون المعبود (١٥٣/١١) ، مشكاة المصابيح : كتاب الصلاة ، باب الجماعة وفضلها ، رقم (١٠٦٥) ، وقال الألباني : إسناده حسن ، ولفظ الحديث للترمذي .

(٢) تحفة الأحوذي (٥٨/٨) .

الفتنة ، ولم يخوّل لها الإسلام إذا نابها شيء في الصلاة أن تسبّح كالرجال بل عليها أن تصفّق ، وهي في الحج لا ترفع صوتها بالتلبية ، ولا يشرع لها أن تؤذّن للصلاة في المسجد ، ولا أن تؤمّ الرجال ، وقد سدّ الإسلام على المرأة كل سبيل للتسيّب في هذا الباب حينما جعل أمّهات المؤمنين محلاًّ للقدوة ، فلم يبقَ هناك عُذرٌ لِمُعْتَذِر ، قال تعالى : ﴿ يانِسَاءَ النَّبيِّ لَسْتُنَّ كَأحدٍ مِنَ النِّسَاءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَولِ فَيَطْمَعَ الّذي في قَلبِهِ مَرَضٌ وَقُلنَ قَولاً مَعرُوفاً ﴾[1] . . "[2] .

- ثامناً : منع الاختلاط المستهتِر :

ومن صور هذا الاختلاط المحرّم :

" ١ - اختلاط الأولاد الذكور والإناث - ولو كانوا إخوة - بعد التمييز في المضاجع ، فقد أمر النبي ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ : " مُروا أولادَكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضرِبوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع "[3] .

---

(١) الأحزاب (٣٢) .

(٢) عودة الحجاب (٣/٥١) .

(٣) صحيح : رواه أبو داود كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، رقم (٤٩١) ، عون المعبود (٢/١١٤) ، وصححه الألباني في الإرواء رقم (٢٩٨) .

" أي فرِّقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشراً ، حذراً من غوائل الشهوة ، وإن كُنّ أخوات "[1] .

٢ ـ اتخاذ الخدَم الرجال ، واختلاطهم بالنساء ، وحصول الخلوة بهنّ .

٣ ـ اتخاذ الخادمات اللاّئي يبقينَ بدون محارم ، وقد تحصل بهنّ الخلوة .

٤ ـ السماح للخطيبين بالمصاحبة والمخالطة التي تجرّ إلى الخلوة ، ثم إلى ما لاتُحمد عُقباه ، فيقع العبَث بأعراض الناس بحجّة التعارف ومدارسة بعضهم بعضاً .

٥ ـ استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب ، أو أصدقائه في حالة غيابه ومجالستهم .

٦ ـ الاختلاط في دور التعليم كالمدارس والجامعات والمعاهد ، والدروس الخصوصية .

٧ ـ الاختلاط في الوظائف ، والأندية ، والمواصلات ، والأسواق والمستشفيات ، والزيارات بين الجيران ، والأعراس والحفلات .

٨ ـ الخلوة في أي مكان ولو بصفة مؤقّتة كالمصاعد ، والمكاتب ، والعيادات ، وغيرها "[2] .

---

(١) عون المعبود (١١٥/٢) .

(٢) عودة الحجاب (٥٦/٣ ، ٥٧) .

- تاسعاً : مشروعية الاستئذان :

إن الله - عز وجل - قد حرّمَ الدخول إلى البيوت إلاّ بعد الإذن ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا لاَتَدْخُلُوا بُيوتاً غَيرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أهلِهَا ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم لَعلَّكُم تَذَكَّرُونَ . فَإن لَم تَجدُوا فِيهَا أحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتّى يُؤذَنَ لَكُمْ وَإن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أزْكَى لَكُمْ وَا للهُ بِمَا تَعمَلُونَ عَليمٌ ﴾[١] .

قال سيد قُطب رحمه الله : " ذلك أن استباحة حُرمة البيت من الداخلين دون استئذان ، يجعل أعينهم تقع على عورات ، وتلتقي بمفاتن تُثير الشهوات ، وتهييّء الفرصة للغِواية الناشئة من اللقاءات العابرة ، والنظرات الطائرة ، التي قد تتكرّر فتتحوّل إلى نظرات قاصدة ، تحرّكها الميول التي أيقظَتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار ، وتحوّلها إلى علاقات آثمة بعد بِضع خطوات ، أو إلى شهوات محرومة ، تنشأ عنها العُقَد النفسية والانحرافات "[٢] .

---

(١) النور (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٥٠٧) .

الفصل الحادي عشر

استحضار نار جهنّم

تمهيد :

إنّ تذكُّر نار جهنّم وما فيها من عذاب دائم ، واستحضارها كلّما همَّت النفس بعصيان الله ، لهو من أنفع الأدوية للقلب على الإطلاق .

فكم سمعنا وقرأنا والله عن أُناس لم يكتحل النوم جفونَهم إلاّ قليلاً ، منهم مَن تكون خروج روحه بآية فيها ذكر لعذاب الله ، ومنهم مَن يعوده الناس في فراشه أيّاماً لسماعه آية فيها ذِكر لِعذاب الله ، ومنهم مَن كان يفرّ في الصحراء هارباً خوفاً من النار ، ومنهم مَن كان دائم السُّهاد والبكاء ، إلى غير ذلك من الأخبار التي نرى فيها الخوف والرجاء من أُناسٍ صالحين أقضَّ الخوف من النار مضاجعهم ! .

فويلٌ لِمن ذكَرها ثم هو راقد في غيِّه لم ينزجر ، ويلٌ لِمن وُعِظَ بها ثم لم يتّعِظ ، وويلٌ لِمن علم حقيقتها ثم هو ماضٍ بجدّ وعزم في سُبل الشهوات يكرع منها ليلاً ونهاراً ، سراً وجِهاراً ، غير عابئ بها ، ولا خائف منها .

أيها العبد المكلوم ، إنها النار ، إنها النار !!! .

حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعها حديد ، مَن دخلَها لايموت فيها ولا يحيى ، نارٌ يشيب الرأس من ذكرِها ، فكيف عند قدومها ، نارٌ

وقودها الناس والحِجارة ، ملائكتها غِلاظٌ شِداد أقوياء لايعصون الله ما أمرهم ويفعَلُونَ ما يُؤمَرُون !! .

أيها العبد ، أدِّب نفسَك الجموحِ بسياط جهنّم ، فكم أدّبَت هذه النار مِن عُصاة ، وكم قوَّمَت والله نفوساً اعوجّت عن الهداية .

فأفٍّ للذة سريعة الانقضاء تعقبها نارٌ لايخبو سعيرها ، ولا ينطفئ أوارها ، فيا أيّتها النفس افعلي ما بدا لكِ ، وتمرّغي في وحل الرّذيلة عمركِ ولكن اعلَمي أنّكِ راحلة لا محالة ، ومُقبلة على نار يشيبُ منها الوليد ، وستُجازِينَ عن فعلكِ إن حسَناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح ، عيشي ما بدا لكِ في ظل إسرافكِ ، وستجدي كل شيء هنالك ، وهناك لاينفع الندم! .

ـ صفة جهنّم وأهوالها وأنكالها :

قال الغزالي رحمه الله :

" يا أيّها الغافل عن نفسه ، المغرور بما هو فيه ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردكَ ، فإنك أُخبِرتَ بأن النار مورد للجميع ، إذ قيل : ﴿ وَإِنْ مِنكُمْ إلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقضياً . ثمّ نُنَجِّي الّذينَ اتّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فِيهَا جِثِياً ﴾[1] ، فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شكّ ، فاستشعِر في قلبكَ هول ذلك المورد ، فعساكَ تستعد للنجاة منه ، وتأمّل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي

(١) مريم (٧١ ، ٧٢) .

القيامة ماقاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعَب ، وأطلّت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطَب ، وجثَت الأُمم على الرُّكَب ، حتى أشفق البراء من سوء المنقلَب وخرج المنادي من الزبانية قائلاً : أين فلان ابن فلان المسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيِّع عمره في سوء العمل ، فيُبادِرُونه بمقامع من حديد ، ويستقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكّسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له : ﴿ ذُقْ إنَّكَ أنتَ العَزيزُ الكَرِيمُ ﴾[1] . فاسكُنوا داراً ضيّقة الأرجاء ، مظلمة المسالِك ، مبهمة المهالك ، يخلُد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرّهم الجحيم ، الزّبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فِكاك ، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي ، واسودّت وجوههم من ظلمة المعاصي ، لايُنجيهم الندم ، ولا يُغنيهم الأسف ، بل يُكَبُّون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن أيْمانهم والنار عن شمائلهم ، فهم غَرقى في النار ، طعامهم نار ، وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطِران ، وضرب المقامع ، وثقل السلاسل ،

(١) الدخان (٤٩) .

فهم يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطمون في دركاتها ، تغلي بهم النار كغلي القُدور ، يتمنّون الموت فلا يموتون "[1] .

- عُمق جهنّم وشدة حرّها :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجْبَةً فقال النبي ﷺ : " أتدرون ما هذا ؟ " قال : قُلنا : الله ورسوله أعلم قال : " هذا حجرٌ رُمي به في جهنّم منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها "[2] .

" وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾[3] قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلَق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدّها للكافرين .

وعن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ إنَّهَا تَرمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ ﴾[4] قال : أما إني لستُ أقول كالشجرة ولكن كالحصون والمدائن "[5] .

---

(١) إحياء علوم الدين (١٦٥/٥ ، ١٦٦) بتصرف .

(٢) مسلم : كتاب الجنة ، باب جهنم أعاذنا الله منها ، رقم (٢٨٤٤) ، نووي (١٧٩/١٧) .

(٣) البقرة (٢٤) .

(٤) المرسلات (٣٢) .

(٥) البحر الرائق في الزهد والرقائق (٣٠٢) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : " ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم " قيل : يارسول الله إن كانت لَكافية ، قال : فُضِّلَت عليهنّ بتسعٍ وستين جزءاً كلّهنّ مثل حرّها "[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " اشتكَت النار إلى ربّها فقالت : ربِّ أكَل بعضي بعضاً ، فأذِنَ لها بنفسين ، نفَس في الشتاء ، ونفَس في الصيف ، فأشدّ ما تجدون من الحر ، وأشدّ ما تجدون من الزمهرير "[2] .

" فانظر الآن في عمق الهاوية ، فإنه لاحدَّ لِعُمقها كما لاحدّ لِعُمق شهوات الدنيا ، فكما لاينتهي أرَب من الدنيا إلاّ إلى أرَب أعظم منه ، فلا تنتهي هاوية من جهنّم إلاّ إلى هاوية أعمق منها "[3] اهـ .

ـ طعام أهل النار وشرابُهم :

يقول الدكتور عمر الأشقر : " طعام أهل النار الضّريع ، والزّقوم ، وشرابهم الحميم ، والغِسلين ، والغساق ، قال تعالى : ﴿ لَيسَ لَهُم طَعَامٌ

---

(١) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، رقم (٣٢٦٥) ، الفتح (٤٠٧/٦) .

(٢) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، رقم (٣٢٦٠) ، الفتح (٤٠٦/٦) .

(٣) إحياء علوم الدين (١٦٧/٥) .

إلاّ مِن ضَرِيعٍ . لايُسمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾[1] ، والضريع شوك بأرض الحجاز يقال له الشبرق ، وعن ابن عباس : الشبرق : نبت ذو شَوْك لاطئ بالأرض ، فإذا هاجَ سُمّيَ ضريعاً ، وقال قتادة : مِن أضرع الطعام وأبشعه وهذا الطعام الذي يأكله أهل النار لايفيدهم ، فلا يجدون له لذّة ، ولا تنتفع به أجسادهم ، فأكلهم له نوعٌ مِن أنواع العذاب "[2] .

وقال تعالى : ﴿ إنّ شَجَرَةَ الزّقُّومِ . طَعَامُ الأثِيمِ ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ . كَغَلْيِ الحَمِيمِ ﴾[3] ، وقال عنها : ﴿ إنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أصْلِ الجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشّيَاطِينِ . فَإنّهُمْ لآكِلُونَ مِنهَا فَمَالِئُونَ مِنهَا البُطُونَ . ثُمّ إنّ لَهُم عَلَيْهَا لَشَوْباً مِن حَمِيمٍ ﴾[4] .

يقول الدكتور عمر الأشقر : " يؤخذ من هذه الآيات أن هذه الشجرة خبيثة ، جذورها تضرب في قعر النار ، وفروعها تمتد في أرجائها ، وثمر هذه الشجرة قبيح المنظر ، ولذلك شبّهه برؤوس الشياطين ، وقد استقرّ في النفوس قُبح رؤوسهم وإن كانوا لايرونهم ، ومع خُبث هذه الشجرة وخُبث طلعِها ، إلاّ أن أهل النار يُلقَى عليهم الجوع بحيث لايجدون مفراً

---

(١) الغاشية (٦ ، ٧) .

(٢) اليوم الآخر ، الجنة والنار (٨٧ ، ٨٨) .

(٣) الدخان (٤٣ - ٤٦) .

(٤) الصافات (٦٣ - ٦٧) .

من الأكل منها إلى درجة ملء البطون ، فإذا امتلأت بطونهم أخذت تغلي في أجوافهم كما يغلي دردي الزيت ، فيجدون لذلك آلاماً مُبرحة .

فإذا بلغت الحال بهم هذا المبلغ اندفعوا إلى الحميم وهو الماء الحار الذي تناهى حرُّه ، فشربوا منه كشُرب الإبل التي تشرب ولا تروى لمرضٍ أصابها ، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم { وَسُقُوا مَاءً حَميماً فقَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ } "[1] ، هذه هي ضيافتهم في ذلك اليوم العظيم ، أعاذنا الله من حال أهل النار بمنِّه وكرمه "[2] اهـ .

ـ وَاحَسْرَتاه كيف أهلَكْنا أنفسَنا ؟! :

عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال : " إن أهل النار لَيبكون حتى لو أُجريَت السُّفُن في دموعهم لجرَت ، وإنهم لَيبكُون الدّم ـ يعني ـ مكان الدمع "[3] .

" فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنّة ، وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه ، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمنٍ بَخسٍ دراهمَ معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلاّ بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة ، وكانت غير صافية ، بل كانت مكدّرة منغّصة ،

---

(١) محمد (١٥) .

(٢) اليوم الآخر ، الجنة والنار (٨٧ ، ٨٨) .

(٣) حسن : حسّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٧٩) .

فيقولون في أنفسهم : واحسرَتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربّنا ؟! ، وكيف لم نكلّف أنفسنا أياماً قلائل ؟! ولو صبرنا لكانت قد انقضَت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين ، متنعّمين بالرّضا والرضوان ؟! ، فيالَحسرة هؤلاء ، وقد فاتهم وبُلوا بما بُلوا به ، ولم يبقَ معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها "[1] اهـ .

فاهرَب الهرَب من النار ، فعذابُها لايُطاق ، اشترِ نفسَكَ أيها المسكين تفكَّرْ فيها على الدوام ، وسربِلْ نفسَك بالحزن والخوف منها ، عساك أخي أن تنجو من نفسك التي تؤزُّكَ على محاربة الله بأقبح الذنوب التي قرنها بالشِّرك ، فأين الدمعة والزفرة ، أين الحزن والقلق والخوف ، أين المبادرة في فِكاك الرقاب من النار ، كأننا والله أخذنا منشوراً بالأمان .

يقول الحسن البصري رحمه الله : " والله إن أصبح فيها ـ أي الدنيا ـ مؤمنٌ إلاّ حزيناً ، وكيف لايحزن المؤمن وقد حُدِّث عن الله ــ عز وجل ــ وعن أنه وارد جهنّم ، ولم يأتِه أنه صادر عنها ، والله ليلقينّ أمراضاً ومُصيبات وأموراً تغيظه ، ولَيُظلَمنَّ فما ينتصر ، يبتغي بذلك الثواب من الله عز وجل ، وما يزال فيها حزيناً خائفاً حتى يفارقها ، فإذا فارَقَها أفضى إلى الراحة والكرامة "[2] .

---

(١) إحياء علوم الدين (١٧٢/٥) .

(٢) الزهد (٥٥) .

وهذا هو حال المؤمن ، فكيف بعبدٍ يعلم من نفسه ما يعلم ، ألاَ يكونُ أكثرُ خوفاً ؟! .

- استحكام عَذاب جهنّم :

وهذه هي المرحلة الأخيرة التي تكون بمثابة إغلاق هذه الأبواب الضخمة على نار جهنّم ، ويُترك أهلها فيها يلاقُون من العذاب أشدّه وأخزاه ، وأعتاهُ وأنكاه ، بلارحمة ولا هوادة ، وتبدأ رحلة الجزاء القاسي في نار خُلِقَت من أجل ذلك ، وياها من دهور وقرون لاتنتهي أبدَ الآباد ! رُحماك اللهمّ رُحماك .

وأول هذه المراحل التي ينقطع بعدها الرجاء في الخروج من النار هو ذبح الموت أمام أهل الجنة وأهل النار وهم يُبصرون ذلك .

فعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : " يُجاءُ بالموت يوم القيامه كأنّه كَبش أملح[1] - زاد أبو كريب - فيُوقف بين الجنة والنار - واتّفقا في باقي الحديث - فيُقال : ياأهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبُّون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : ويُقال : ياأهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبُّون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : فيُؤمر به فيُذبح ، قال : ثم يُقال : يأهل الجنة خُلودٌ فلا موت ، ويأهل النار خُلودٌ

(١) أملح : الذي يكون بطنه وأرجله سواداً وظهره بياضاً .

فَلا موت ، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْهُم يَومَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفلَةٍ وَهُمْ لايُؤمِنُونَ ﴾[١] وأشار بيده إلى الدنيا "[٢] .

فإذا ما سمعوا هذا النداء : " ياأهل النار خُلودٌ فلا موت " يَئسوا من كل خير وأيقنوا بالخلود فيها .

قال القرطبي :

" قلت : هذه الأحاديث مع صحتها نصٌّ في خلود أهل النار فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد ، مُقيمين على الدوام والسّرمَد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال الله في كتابه الكريم وأوضحَ فيه من عذاب الكافرين : ﴿ وَالّذينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهنَّمَ لايُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلايُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِن عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾[٣] . . "[٤] .

ثم بعد أن يشاء الله يُخرج من النار العُصاة من أمّة محمد ﷺ بالشفاعة ، ولكن قُل لي بربِّك : أَلَكَ طاقة أن تتحمّل غضب الله وليس عذابه الذي يطول إلى أمدٍ لايعلمه غيره ؟! .

---

(١) مريم (٣٩) .

(٢) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبّارون والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٢٨٤٩) ، نووي (١٨٤/١٧) .

(٣) فاطر (٣٦) .

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢١١/٢) .

الفصل الثاني عشر

استحضار الجنّة ونعيمها

تمهيد :

إذا ما عَلِمَ العاصي أنه بحفظه لفرجه وغضِّه الطّرف عن كل حرام ، سينال هذا النعيم الأزلي السّرمديّ ، الذي لايُقارن أصلاً بنعيم الدنيا ، فشهوات الجنّة خالية من جميع المنغّصات والمكدّرات ، بخلاف شهوة العاصي في دنياه ، فإنه بعد قضاء لذائذه يحضر لديه كل همّ وغمّ وخوف من المستقبل وتَبِعاته الأسريّة والبدنية ، كل هذا يختلج قلبه قبل أن يفارق فراش المعصية .

أما الجنّة ـ رزَقَنا الله إيّاها ـ فهي مُبرّأة من كل نقص على الإطلاق ، فإذا ما عاينَ العاصي بقلبه هذا النعيم العظيم ، واستشفّ بروحه نساء الجنّة وحورها ، وعَلِم أنه إن أعرض عنها إعراضه ازدادت في عينيه أضعاف أضعاف ماكانت معه ، وعَلِم أنها منزّهة عمّا أصاب نساء الدنيا ، بَدَنياً أو معنوياً ،وعلم ما انطوَت عليه من حُسن وبهاء وعذوبة صوت ، وسائر ما يُسَرُّ به منها ، إن عَلِمَ الذي يريد النجاة هذه السعادة الحقيقية لهانَ عليه الرجوع إلى الله ، ولاستعذَب كل ما يعانيه في مجاهدة نفسه رجاء راحتها وسعادتها .

إن الجنة وا للهِ غاليةُ الثمن ، فلماذا لانكدّ ونتعب ونجاهد الحياة وشهواتها ، لكي نجمع ثمنها ، مع أننا نكابد الأهوال من أجل شظَف الحياة ودنيئِها ، ونبذل الغالي والرخيص لاحتوائها ، مع أنها رخيصة الثمن لاتستحق ، فما بالنا نعضّ على الرخيص البالي بالنّواجِذ ، ونركل باستخفافٍ سعادة فيها مالا عينٌ رأَت ولا أُذنٌ سَمِعَت وَلا خطَر على قلب بشر ، فلاحول ولاقوة إلاّ با لله العلي العظيم !! .

لماذا هذا ؟! أمِن أجل لذّة سرعان ما تفتر ؟ ، أم مِن أجل شهوة حيوانية ضالّة ؟ ، أم مِن أجل عاهرة فاجرة مخمورة ؟ ، أم مِن أجل نفسٍ أمّارة بالسوء شرِّيرة ؟ ، أمِن أجل هوىً لايرتوي ولو شرب خمر الدنيا واستمتع بنسائها ؟ ، من أجل أي شيء أيها العبد تقيّد نفسك وتغلّها هكذا ؟! أَلِتُسعَّر بها النار وتُحرَم من الجنان ؟!! أفِق ايَها المسكين ، وتفكّر في دار تُشدّ الأفئدة إليها ، فالحياة الطيبة وصنوف الراحة أبَت أن تجتمع إلاّ في الجنّة العليّة الرضيّة الأبديّة .

ـ صفة الجنة وأصناف نعيمها :

قال الغزالي :

" اعلَم أن تلك الدار التي عرفت هموهما وغمومها تقابلها دار أخرى ، فتأمّل نعيمها وسرورها ، فاستثِر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم ، واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم لأهل الجِنان ، وسُق نفسَك

بسوط الخوف وقُدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم ، فبذلك تنال الملك العظيم ، وتسلم من العذاب الأليم ، فتفكّر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النّعيم ، يُسقَون من رَحيقٍ مَختُوم ، متّكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطّردة بالخمر والعسل ، ومحفوفة بالغلمان والولدان ، مزيّنة بالحور العِين من الخيرات الحِسان كأنّهنّ الياقوتُ والمَرجانُ ، لم يطمثهُنَّ إنسٌ قبلهم وَلاَ جانٌّ ، آمنات من الهِرَم ، مقصورات في الخيام .

ثم يُطاف عليهم وعليهنّ بأكواب وأباريق ، وكأسٍ مِن مَعين ، بيضاءَ لذَّةٍ للشّاربين ، ويطوف عليهم خُدّام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاءً بما كَانُوا يعملُون ، في مقامٍ أمين ، في جنّاتٍ وعُيون ، في جنّاتٍ ونهَر ، في مَقعدِ صِدق عِندَ مَليكٍ مُقتَدِر ، ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم ، وقد أشرقَت في وجوههم نضرة النّعيم ، فهُم فيما اشتهَت أنفسُهم خَالِدُون ، لا يخافون فيها ولا يحزنون ، وهم مِن رَيبِ المَنون آمنون ، فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ، ويوقن بأنه لايموت أهلها ، ولا تحلّ الفجائع بِمَن نزل بغنائها ، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها ، كيف يأنس بدار قد أذن الله خرابها ، ويهنأ بعيشٍ دونها ؟! .

والله لو لم يكن فيها إلاّ سلامة الأبدان ، مع الأمن من الموت والجوع والعطش ، لكَان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها ، وألاّ يؤثر عليها ما

التصرّم والتنغّص من ضرورته ، كيف وأهلها ملوك آمنون ، وفي أنواع السرور متمتّعون ، لهم فيها مايشتهون ، وهم بفناء العرش يحضرون ، وإلى وجه الكريم ينظرون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النِّعَم يتردّدون ، وهم من زوالها آمِنون "[1] اهـ .

- الجنّة لا مثل لها :

عن سهل بن سعد الساعدي يقول : شهدتُ مع رسول الله ﷺ مجلساً وصفَ فيه الجنة حتى انتهى ثم قال ﷺ في آخر حديثه : " فيها ما لاعينٌ رأَت ولاَ أُذُنٌ سَمِعَت وَلا خطَر على قلبِ بشَر " ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَتجافَى جُنُوبُهمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ . فلاَ تَعْلَمُ نَفسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِن قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] . . "[3] .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن في الجنّة لَشجرة يسير الراكب في ظلّها مائة سنة "[4] .

---

(١) إحياء علوم الدين (١٧٣/٥ - ١٧٤) .

(٢) السجدة (١٦ ، ١٧) .

(٣) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، رقم (٢٨٢٥) ، نووي (١٦٧/١٧) .

(٤) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها ، رقم (٢٨٢٦) ، نووي (١٦٧/١٧) .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " لَقاب قوسٍ في الجنّة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب "[1] .

يقول الحافظ ابن حجر : " ومن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لايساوي ذرّة مما في الجنة . . وأن مَن حصل له من الجنة قدر سوطٍ يصير كأنه حصل له أمرٌ أعظم من جميع ما في الدنيا ، فكيف بِمن حصَّل منها أعلى الدرجات "[2] .

ويقول ابن القيّم : " وكيف يقدّر قدرَ دار غرسها الله بيده ، وجعلَها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه . ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، ومُلكها بالمُلكِ الكبير ، وأودعَها جميع الخير بحذافيره ، وطهّرها من كل عيبٍ وآفةٍ ونقص "[3] اهـ .

ـ طعام أهل الجنّة وشرابُهم :

قال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحمِ طَيرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[4] .

---

(١) البخاري : كتاب الجهاد والسير ، باب الغدوة والروحة في سبيل الله ، رقم (٢٧٩٣) ، الفتح (١٦/٦) .

(٢) فتح الباري (١٧/٦) .

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤٧٢) .

(٤) الواقعة (٢٠ ، ٢١) .

وقال تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أسْلَفْتُمْ فِي الأيَّامِ الخَالِيَةِ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ الأبرارَ يَشْرَبُونَ مِن كأسٍ كَانَ مِزاجُهَا كَافُوراً . عَيناً يَشْرَبُ بهَا عِبادُ اللهِ يُفجِّرونَهَا تَفجِيراً ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فيها كأساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجبِيلاً . عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِزاجُهُ مِن تَسنِيمٍ . عَيناً يَشرَبُ بِهَا المُقرَّبُونَ ﴾[5] .

وعن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " إنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون " قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : " جشاء ورشح كرشح المسك ، يُلهَمون التسبيح والتحميد كما تُلهَمون النّفَس "[6] .

وعن أنس بن مالك قال : سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثَر ؟ قال : " ذاك نهرٌ أعطانيه الله ، يعني في الجنة ، أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من

(١) الزخرف (٧١) .

(٢) الحاقة (٢٤) .

(٣) الإنسان (٥ ، ٦) .

(٤) الإنسان (١٧ ، ١٨) .

(٥) المطففين (٢٦) .

(٦) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرةً وعشياً ، رقم (٢٨٣٥) ، نووي (١٧/١٧٣) .

العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر " قال عمر : إن هذه لناعمة ، فقال ﷺ : " أكَلَتُها أنعم منها "[1] .

وقال النووي : " مذهب أهل السنّة وعامة المسلمين أن أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ، يتنعّمون بذلك وبغيره من ملاذٍ وأنواع نعيمها تنعُّماً دائماً لا آخِر له ، ولا انقطاع أبداً ، وأن تنعّمهم بذلك على هيئة تنعّم أهل الدنيا إلاّ ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لايشارك نعيم الدنيا إلاّ في التسمية وأصل الهيئة ، وإلاّ في أنهم لايبولون ولا يتغوّطون ، ولا يتمخّطون ، ولا يبصقون ، وقد دلّت دلائل القرآن والسنّة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره ، أن نعيم الجنّة دائم لا انقطاع له أبداً "[2] اهـ .

ـ أدنى أهل الجنّة منزلةً :

عن المغيرة بن شُعبة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " إنّ موسى ـ عليه السلام ـ سأل ربّه ما أدنى أهل الجنّة منزلةً ؟ فقال : رجل قد يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيُقال له : ادخُل الجنّة ، فيقول : ربِّ كيف وقد نزلت الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون

---

(١) حسن : رواه الترمذي ، أبواب صفة الجنة ، باب ماجاء في صفة طير الجنة ، رقم (٢٦٦٥) ، تحفة الأحوذي (٢١١/٧) ، قال الترمذي : هذا حديث حسَن .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧٣/١٧) .

لك مثل مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربِّ ، فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله . . فقال في الخامسة : رضيتُ ربِّ ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك مااشتهَت نفسُك ولذّت عينُك ، فيقول : رضيت ربِّ ، قال : ربِّ فأعلاهم منزلةً ؟ قال : أولئك الذين أردتُ غرسَ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها ، فلم ترَ عينٌ ولم تسمع أذُن ، ولم يخطُر على قلب بشر "[1] .

وهذا أدنى أهل الجنّة منزلةً ؟!! فوا للهِ الذي لاإله إلاّ هو ، لو أن أحدنا يُسحب على وجهه منذ نعومة أظفاره وإلى أن يصير شيخاً في طاعة الله ، لاستقلَّها في هذا اليوم ، كيف لا ؟! وإن العبد المُعدم في الدنيا ينسى ما جالدَه وكابدَهُ فيها بغمسة واحدة يُغمَسها في الجنة . فلْتكُن هذه الدار في خَلَد مَن يريد النجاة ، فوا للهِ إنها لكافية في طرد الوساوس والأفكار والشهوات ، إذا ما لاحَ نسيمها في القلب المشفق على نفسه من مصائبه وبلواه .

- الحُور العِين :

قال تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ . كأمْثَالِ اللّؤلُؤِ المكْنونِ . جَزاءً بِما كَانُوا يَعملُونَ ﴾[2] .

---

(١) مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً فيها ، رقم (١٨٩) ، نووي (٤٦/٣) .

(٢) الواقعة (٢٢ - ٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أبْكَاراً . عُرُباً أتراباً . لأصْحابِ اليَمِينِ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ في الخِيامِ . فَبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُم وَلا جَانٌّ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَكَواعِبَ أتْرَاباً ﴾[3] .

يقول ابن كثير : " أي أن ثديهنّ نواهد لم يتدلّين لأنهنّ أبكار عُرب أتراب أي في سنّ واحد "[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾[5] .

يقول ابن كثير : " أي من الدّنس والخبث والأذى والحيض والنّفاس ، وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا "[6] .

وكذا سوء الخلُق وفظاظة الطباع إلى غير ذلك .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " . . ولو أن امرأة من نساء أهل الجنّة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت

(١) الواقعة (٣٥ ـ ٣٨) .

(٢) الرحمن (٧٢ ـ ٧٤) .

(٣) النبأ (٣٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٦٥) .

(٥) آل عمران (١٥) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٣) .

مابينهما ، ولملأت مابينهما ريحاً ، ولَنصيفها ـ يعني خمارها ـ خير من الدنيا وما فيها "[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " إنّ أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرّي في السماء ، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخّ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنّة أعزب "[2] .

قال ابن القيّم :

" ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لِما في حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن للعبد المؤمن في الجنّة لَخيمة من لؤلؤة مجوّفة طولها ستّون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لايرى بعضهم بعضاً "[3] . . "[4] .

---

(١) البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، رقم (٦٥٦٨) ، الفتح (١١/٥١٠).

(٢) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم ، رقم (٢٨٣٤) ، نووي (١٧/١٧٠) .

(٣) البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في صفة الجنة وأنّها مخلوقة ، رقم (٣٢٤٣) ، الفتح (٦/٣٩١) .

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٩٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : " والذي يظهر أن المراد أن اقلّ ما لِكل واحد منهم زوجتان "[1] .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " إنّ الحُور العِين لَتُغنّينَ في الجنّة يقُلنَ :

نحن الحورُ الحِسان | خُبِّئنا لأزواجٍ كرام "[2] .

فـ ياعاشقاً للغواني مُغرماً بهوى | دار الغرور وعيشٍ شِيب بالكدرِ
إن الغواني الحِسان الحور مسكنُها | دار السرور على فرُشٍ على السُّرُرِ
في سُندس الفُرش أقمارٌ على سُررٍ | من اليواقيت في قصرٍ مِن الدُّرَرِ
يُشاهد المخّ في الساقين ناظرها | من فوق سبعين ملبوساً من الحِبَرِ
قد طِلنَ شوقاً إلى أزواجهنّ كما | يشتاقُ للغائب المحبوب في السفرِ[3]

ـ أخي : هذا هو النعيم والسِّحر الحلال :

يصف ابن القيّم نساءَ أهل الجنّة فيقول :

" فَهُنّ الكواعب الأتراب الّلاتي جرى في أعضائهنّ ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرّمان ما تضمنته النّهُود ، وللّؤلؤ المنظوم ما حوَته الثُّغور ، وللدّقّة واللطافة ما دارَت عليه الخصُور ، تجري الشمس

(١) فتح الباري (٦/٤٠٠) .

(٢) صحيح : صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٦٠٢) .

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان (د/٥٦٦) .

في محاسن وجهها إذا برزَت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمَت ، إذا قابلَت حِبَّها فقُل ماشئتَ في تقابل النيّرين ، وإذا حادثَتْه فما ظنُّكَ بمحادثة الحبيبين ، وإن ضمّها إليه فماظنُّك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدّها ، كما يرى في المرآة التي جلاّها صقيلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها .

ولو اطّلعَت على الدنيا لملأَت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولاستنطقَت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولَتَزَخرَفَ لها مابين الخافقين ، ولأُغمِضَت عن غيرها كل عين ، ولَطمسَت ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمَن مَن علي وجهها با لله الحيّ القيّوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها .

لاتزداد على طول الأحقاب إلاّ حُسناً وجمالاً ، ولايزداد لها على طول المدى إلاّ محبّةً ووِصالاً ، مُبرّأةً من الحبَل والولادة والحيض والنِّفاس ، مُطهّرة من المخاط والبُصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لايفنى شبابها ، ولا تُبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يملّ طيب وصالها ، قد قصرَت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحدٍ سواه ، وقصر طرفه عليها فهي غاية أُمنيته وهواه ، فهو معها في غاية الأماني والأمان "[1] اهـ .

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤٧٦) .

فتباً وسُحقاً لشهوة عاجلة تكون عاقبتها الحرمان من هذا النعيم ، والتقلّب في دركات الجحيم ، والحجاب عن ربّ العالمين ! .

الفصل الثالث عشر

الخِتَـان[1]

تمهيد :

" لقد كثر اللغَط والجدل حول مشروعية خِتان الإناث ، وكثرت فيه الأقوال ما بين مُعارضٍ ومؤيِّد ، وبدا ذلك واضحاً أثناء فترة انعقاد مؤتمر السكّان الأخير ، وازداد ذلك حِدّة بعد أن انفضّ ذلك المؤتمر بما انطوى عليه .

ولقد اثار المُعارِضون للختان الكثير من الشُّبَه والشكوك حول مشروعيّته ، وبلغ ذلك مداه إلى حد التصريح بعدم مشروعيّته ، وأنه ليس فيه سنّة تُتّبَع ، إلى القول بعدم وروده في كُتب الفقه ، وتجاوز بعضهم ذلك ـ تطاولاً وتسفّهاً ـ فوصفَه بأنه عادة مرذولة توارثَها الناس عن قُدَماء المصريين .

وغير ذلك مما أثاروه ، وأعرضنا عنه تعفّفاً وترفقاً .

هذا ، وما أثاره هؤلاء أقل من أن يُردّ عليه أو حتى يُلتفَت إليه "[2] .

---

(١) لقد كتبتُ هذا الفصل بعد تقديم الشيخ : أبو بكر الجزائري ، وهذا للأمانة العلمية .

(٢) مجلة التوحيد : مقالة بعنوان الختان ، أ.د علي الشريف ـ العدد الثامن ، شعبان ١٤١٥هـ السنة الثالثة والعشرون .

بل إن العاقل لَيتّضح له من أول وهلة أنّ طرح هذه القضية وبهذا الحجم الكبير ، أن وراءها ما وراءها من أهداف وغايات لايمكن الوصول إليها إلاّ بتحقيق هذا المأرَب الدقيق ، للوصول إلى الهدف المنشود من إغراق البلاد والعِباد بالشهوات التي لاتُساق غالباً إلاّ عن طريق المرأة أولاً .

وذلك لايكون إلاّ بتزويد المرأة بكل ما من شأنه مساعدتها على نشر الفساد بدون تعب أو ملل .

وإنّ ترك الأنثى بدون خِتان ، يجعلها في حالة ثورة إذا ما اصطدَمَت بأدنى مُغازلة ، ولو حتى من ثيابها الضّيّقة .

ومن هنا برزَت أيدي الأعداء في استغلال هذا السلاح أسوأ استغلال ، زعماً منهم أن تركها بدون ختان مَكْرمة لها أي مَكْرُمَة ، وحفظاً لها من العبَث بذلك الجزء الذي إن اقتُرِبَ منه لتهذيبه ربما أدّى إلى نزيف حادّ يُشرف بها على الموت . . إلى غير ذلك من الأوهام والترّاهات التي لاتنطلي إلاّ على مَن هذا فهمه وفكره .

أما دُور الدّعارة ، وكل مكان يزدحم بالنساء الكاسيات العاريات مع الرجال ، وما ينتج عن ذلك من مصائب ، كل ذلك هو الحرية التي يعترف بها الغرب ويتزعّمها وينادي إليها ، وياَلَلخجل أن سَرى وانتشر هذا الفكر في بلاد الإسلام ! .

- مشروعية خِتان الإناث من كتاب الله تعالى :

والكلام في أمر الخِتان هنا ، إنما هو خاص بالإناث لا الذكور ، ذلك لأن هذا الأمر معلوم لدى الجميع أن الختان واجب على الذكور ، وبه قال أكثر أهل العلم ، ومنهم " الشعبي ، وربيعة ، والأوزاعي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وشدّد في أمر الختان الإمام مالك حتى قال : " مَن لم يختتن لم تجُز إمامته ولم تُقبل شهادته . . "[1] .

ولشهرة هذا الحكم أو الأمر عند الناس وتواتره زمناً بعد آخر ، ضربتُ صفحاً عنه ، وجعلتُ حديثي فيما اختلفوا .

ويستدلّ على مشروعية الخِتان من القرآن الكريم بأدلّة عامة أذكر منها مايلي :

أولاً : قوله عز وجل : ﴿ وافْعَلُوا الخَيرَ لَعلَّكُمْ تُفلِحُونَ ﴾[2] ، ومما لاشكّ فيه أن بالختان يتحقق الخير للفتاة ، وذلك بتقويم شهوتها ، ووقايتها من الأمراض الخطرة[3] التي حذّر منها كثير من الأطباء المسلمين .

ولو لم يكن في الختان إلاّ ذلك لكفاه مَكرُمَة للمرأة ، كيف وهو من أهم الأسباب التي تحافظ على أغلى شيء لديها ، ألا وهو عفّتها .

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/١١١) .

(٢) الحج (٧٧) .

(٣) انظر ما يأتي بعنوان " الأضرار الطبية لعدم الاختتان "

ثانياً : قوله عز وجل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1] ، والختان مما آتانا الرسول ﷺ وجاءنا به كما سنذكر ذلك فيما بعد .

ولقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ في كثير من الآيات ، وهناك في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحثّ على الخير ، والختان كما تقرّر من الخير .

والذي أعتقده وأدينُ الله به ، أن ختان الإناث إذا ما فعله الوليّ بمواصفاته الطبية الصحيحة لِمَن يرعى أمرها ، قاصداً بذلك إبعادها عن الآفات والمزلاّت ، أنه بذلك قد فعل عملاً صالحاً وقُربة تُقرّبه إلى الله عز وجل ، في هذه الأيام التي انتشر فيها الفساد ، وعمَّ وطمَّ جميع البلاد ، وكذا العباد ، إلاّ مَن رحم الله ، وقليلٌ ماهُم !! .

ـ مشروعية ختان الإناث من حديث رسول الله ﷺ :

أولاً : ماروِاه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : " خمسٌ من الفِطرة : الختان ، والاستحداد[2] ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، وقصّ الشارب "[3] .

---

(١) الحشر (٧) .

(٢) الاستحداد : حلق العانة . المغني (١/١١٧) .

(٣) البخاري ، كتاب اللباس ، باب : قصّ الشارب ، رقم (٥٨٨٩) .

يقول الأستاذ الدكتور علي الشريف حفظه الله :

" والمراد بالفطرة الواردة في الحديث : الدّين كما أخبر بذلك في قوله : ﴿ فَأَقِمْ وَجهَكَ للدِّينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1] الآية ، ويجوز أن يُراد بالفطرة أيضاً : السنّة التي هي بمعنى الطريقة والملّة والشريعة ، وعليه فإن الختان إنما هو من دِين الله وشرعِه كما هو منصوص عليه في الحديث ، لأنه من الفطرة .

وكذلك هو من سنّة رسول الله ﷺ أي : من شريعته وملّته وطريقته ، إذ إنه من الفطرة ، ولا يُعترَض على ذلك بأن الختان الوارد في الحديث للرجال فقط دون الإناث ، ويردّ هذا الاعتراض بأن هذا تخصيص للحديث دون دليل ، والعام يبقى على عمومه مالم يرد له نص مخصّص كما يقول علماء الأصول ، ولا مخصص هنا لهذا الحديث ، فهو باقٍ على عمومه ، فيتناول الذكور والإناث "[2] .

ثانياً : قال ابن قدامة في " المغني " :

" قال أبو عبد الله : حديث النبي ﷺ : " إذا الْتقى الخِتانان وجب الغُسل "[3] فيه بيان أن النساء كُنَّ يختَتِنَّ . . "[4] .

---

(١) الروم (٣٠) .

(٢) مجلة التوحيد : السنة الثالثة والعشرون ، العدد الثامن ، ١٤١٥هـ .

(٣) صحيح : صححه الألباني في الصحيحة رقم (١٢٦١) .

(٤) المغني (١/١١٦) .

ثالثاً : ما روَتْه أم عطيــة أن رسـول ا لله ﷺ أمـرَ ختّانـة تَختِـن فقـال " إذا ختنتِ فلا تُنهكي ، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحبّ للبَعل "[1] .

قال ابن القيم رحمه ا لله تعالى : " ومعنى هذا ان الخافضة إذا استأصلَت جلدة الخِتان ضعفَت شهوة المرأة ، فقلّت حظوتها عند زوجها ، كمـا أنهـا إذا تركَتْها كما هي لم تأخذ منها شيئاً ازدادَت غُلْمَتُهـا ، فإذا أخذَت منهـا وأبقَت كان في ذلك تعديلاً وتقويماً للشهوة . . "[2] .

ـ الأضرار الطبيّـة لعدم الاختتـان :

قال بعض الأطبـاء : " إن عـدم الاختتـان يجعـل الإفـرازات والبكتيريـا والفيروسات تتراكم في هذا المكـان ، ويسـبب ذلـك الالتهابـات وسـرطان الفرج ، وتنتقل هذه الالتهابات إلى الداخل فتُحـدِث بذلـك عُقمـاً أوليـاً ، ولذلك فإن سرطان الفرج في بلادنا أقل بكثير من البلاد الأخرى التي ليس بها خِتان ، كما أن الخِتان لايؤثر على الاستجابة بين الزوجـين ، وأي قـول غير ذلك لا أساس له من الصحة "[3] .

---

(١) صحيـح : أبو داود ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في الخِتان ، رقم (٥٢٧١) ، وصححـه الألبـاني في صحيح أبي داود رقم (٥٢٧١) ، والصحيحة رقم (٧٢١) .

(٢) تحفـة المودود بأحكـام المولـود (١١٥) ، تحقيق بشـير محمد عيـون .

(٣) مجلة لواء الإسـلام ، عدد (٩) السنة (٤٨) جمادى الأولى ١٤١٥هـ / أكتوبر ١٩٩٤م ، صـ٤٦ ، نقلاً عن مجلة التوحيـد .

وتقول إحدى الطبيبات المتخصصات في أمراض النساء والتوليد :

" إن الخِتان بالشكل الذي أوصى به الرسول ﷺ يعتبر عملية تجميل تستكمل الأنوثة ، كما تساعد على النظافة والصحة ، وقد أظهرَت الدراسات العلمية أن معدل حدوث سرطان الفرج يقل كثيراً في مصر عنه في البلاد الأوروبية بفضل انتشار خِتان الإناث ، حيث إن قطع الجزء الزائد يمنع تراكم الإفرازات الضارّة التي يؤدي وجودها إلى نمو البكتيريا وحدوث الالتهابات المزمنة "[1] .

" كما أن الخِتان من الناحية الأخلاقية تكريم للمرأة وصيانة لعِرضها وعفّتها ، فتركه يهيج الشهوة ويُثير الغريزة عندها ، ويُكثر من ممارسة المراهقات للعادة السرّية التي تشكّل خطراً على عُذريّتهنَّ ـ كما تقول الطبيبة سابقة الذّكر ـ ويؤدي ذلك كله إلى إشاعة الفاحشة ، وإثارة الفتن ، وانتشار الرّذيلة ، ومن ثَمَّ يتبيّن لذوي البصائر أن الخِتان خيرٌ تتحقق به المنافع والمصالح للفرد والمجتمع رِجالاً وإناثاً "[2] اهـ من كلام أ . د علي الشريف .

(١) جريدة الشعب ، عدد الثلاثاء ، ٤ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤/١١/٨م ، صـ١١ ، في نصف الصحيفة العلوي نقلاً عن مجلة التوحيد من مقال الخِتان .

(٢) مجلّة التوحيد .

- الخِتان تكريمٌ للمرأة :

ومجمل القول :

" إن الختان بالنسبة للإناث ثابت ومشروع ، دلّت عليه وأقرّته وأكّدَته آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ﷺ الحِسان والصِّحاح ، ودلّت عليه أقوال الفقهاء والمحدِّثين من علماء الأمّة ولم يُنكِر ذلك منهم أحد ، وأن حُكمَهُ يدور بين الوجوب والنّدب للرجال والنساء .

والراجح من أقوال العلماء أنه واجب في حقّ الرجال ، ومندوب في حقّ النساء ، وأنه لهنّ مكرمة وحظوة عند أنفسهنّ وعند أزواجهنّ ، وثبتَت هذه المشروعية وتقرّرَت منذ أن شرعها ا لله ورسوله ﷺ وإلى أن تقوم الساعة ، وتلقّتْها الأمّة بالقبول والتسليم والرّضا ، ثم العمل بذلك والالتزام به عبر العصور والأجيال ، ينقلها العدول من العلماء خلَفاً عن سلَف ، وستظلّ كذلك إلى ماشاء ا لله تعالى ، ينافح ويذبّ عنها العدول من أهل العلم في كل عصر ومصر .

ولا يصحّ لأحدٍ كائناً مَن كان أن ينكر أو يمنع أو يحدّ من هذه السنّة الثابتة المشروعة بأي وسيلة ، فأحكام ا لله تعالى لاتخضع لأهواء الناس ، وإنما نحن البشر الذين يجب علينا الخضوع لأحكام ا لله .

وليس هناك أدنى مبرّر لإثارة هذه الصيحات التي تطايرَ وتناثرَ شررها تريد النّيل من الإسلام وأحكامه الشرعية ، وليس هناك مِن غاية تُبتَغى من

وراء ترك الخِتان سوى محاربة الخُلق والفضيلة ، وإشاعة الانحلال والرّذيلة والفحشاء والمنكر ، بالدعوة إلى ترك أحكام الشريعة السامية . . "[1] .

ـ كيفية الخِتان :

سبق معنا كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في توضيحه لحديث أمّ عطية ـ رضي الله عنها ـ ووصية الرسول ﷺ للخاتِنة ، أن لاتستأصل جلدة الخِتان ولا تتركها كما هي ، بل تأخذ منها وتُبقِي ، وفي ذلك وردَت آثار وأقوال للفقهاء كثيرة ذكَرها ابن القيم في أحكامه .

وإذا ما ذكرنا الأحاديث التي تدعو إلى الرفق حتى بالحيوان ، وإلى التوسط في كل شيء دعانا إليه الإسلام ، وإلى أخذ الحيطة والحذَر في إجراء هذه العملية على أيدي أهل الاختصاص ، وإلى غير ذلك مما يساندُ هذه القضية ، لَسَدَدْنا بذلك جميع الأبواب في وجه هؤلاء المُغرِضينَ الذين يريدونها حرباً مستعرة تأتي على ما بقي من خير في الشعوب الإسلامية التي يكفيها مافيها من وسائل الفساد الظاهرة والباطنة .

وإذا ما نظرنا إلى البلاد الإسلامية التي تُحيي هذه السنّة على مرّ الأزمان ، لوجدنا أن هذه السنّة كانت تسير فيما بينهم بشكل طبيعي جداً حتى لاتكاد تجد مَن يعترض على ذلك .

---

(١) المرجع السابق .

وذلك لسهولة إجراء هـذا الخِتـان ، ويُسـره ، وانعـدام الحـالات الـتي تهدّد حياة مَن يُجرَى لها الخِتان ، اللهمّ إلاّ إذا تمّت على أيدٍ غير متخصصة مثلها مثل أي عملية أُخرى .

فلْيتّجه الغرب إلى بلاده ، ولْيُصلـح مافيـه مـن فجـور وخمـور وإفسـاد وإرجاف وأمراض استحال علاجها ، إلى غير ذلك من الأوبئـة المزمنـة التي أصبحَت شبحاً يطاردهم ليل نهـار ، بسـبب انتشـار الفوضـى الجنسيـة ، والتي أصبح عدم الخِتان يؤزّها على التمادي في غيِّها أكثر وأكثر .

وإليك بعض الشروط التي ينبغي أن لايستغني عنها الخـاتِن أو الخافضـة حتى تتم هذه العملية بنجاح :

" ١ ـ أن يبـدأ الخـاتِن أو الخافِضـة بالبسـملة وحمـد ا لله تعـالى والصـلاة والسلام على رسول ا لله ﷺ .

٢ ـ أن يقوم بإجراء هذه العملية طبيب أو طبيبة يُشترَط في كل منهما :

أ) الإسلام وظاهرية الصلاح ، ولا يكفي الإسلام وحده ، بل لابـد أن يكون الطبيب متديّناً .

ب) أن يكونا متخصصين في الجراحة الطبية وأصولها المبنية على العلم .

جـ) أن يكونا فاهمين لتعاليم رسول ا لله ﷺ في هذا الشـأن .

د) أن يستخدما أحسن الوسائل الطبية في ذلك لتخفيف الألَم .

٣ ـ أن تتم عملية خِفاض البنت في سرّية تامة ، ولا يحضرها إلاّ وليّ البنت ـ أو مَن يقوم مقامه ـ أو مَن هو أكثر شفقة عليها ، لأن حال النساء مبني على الستر في التشريع الإسلامي .

٤ ـ ألاّ يقل سِنّ البنت عن سبع سنوات إذا كانت بصحة جيدة ، وإلاّ فعشر حتى تستطيع أن تتحمل إجراء هذه العملية بخلاف الذّكَر فإنه يجوز يوم السابع من ولادته .

٥ ـ ينبغي أن تتم عملية خِفاض البنات بالذات نهاراً بحيث يستطيع الطبيب إجراءها بطريقة صحيحة على ضوء النهار "[١] .

وبذلك فلايكون هناك أدنى ثغرة لأيّ متغرِّب أو متفلسِف يدخل منها لِيُشوِّش على المسلمين مبادِئَهم وأفكارهم ، والتي يسعى وراءها كل حاقد وحاسِد لمحوها من الوجود .

---

(١) ختان الذّكَر وخِفاض الأنثى من منظور إسلامي (٨٦) ، د . عبد السلام السكّري .

وبعــد :

فهذا جهد المقلّ ، ما أُراني أقدمتُ عليه إلاّ ابتغاء مرضاة ا لله ، فإن أكُ أصبتُ فذاك فضــل ا لله يؤتيـه مَـن يشــاء ، و لله الحمـد والمنّـة ، وإن تكـن الأخرى فمنّي ، وأستغفر ا لله من كل ذنب وأتوبُ إليه ، وأسـأله أن يقبـل معذرتي ، وحسبي أنّي ما ابتغيتُ إلاّ وجهه ، ونُصحي إخواني المسلمين .

وصلى ا لله على سيدنا محمد النبيّ الأمين وعلى آله الطيّبين الطاهرين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ،،،

قائمة المراجع

أولاً : كُتب التفسير

١ ـ أضواء البيان ، الشنقيطي ، خرّج أحاديثه : محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٧ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٣ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، عبد الرحمن السعدي ، مجلّد ضخم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، خرّج أحاديثه د . محمود حامد عثمان ، راجعَه د . محمد إبراهيم الحفناوي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٥ ـ في ظلال القرآن ، سيد قُطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٦ ـ الكشّاف ، الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت .

٧ ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الرّاغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

ثانياً : كُتب الحديث

٨ ـ آداب الزفاف ، الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمّان ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٩ ـ الأذكار للنووي ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الهدى ، الرياض ، ط٦ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

١٠ ـ إرواء الغليل ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

١١ ـ تحريم آلات الطرب ، الألباني ، مكتبة الدليل ، الجبيل الصناعية بالسعودية ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

١٢ ـ تخريج أحاديث مشكلة الفقر ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٤م .

١٣ ـ ترتيب أحاديث صحيح الجامع وزيادته على الأبواب الفقهية ، رتّبه : عوني نعيم الشريف ، وشرَح غريب ألفاظه : علي حسن عبد الحميد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١٤ ـ جامع العلوم والحِكَم لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شُعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باحس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

١٥ ـ جلباب المرأة المسلمة ، الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، ط٢ ، ١٤١٣هـ .

١٦ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

١٧ ـ سُنن ابن ماجة ومعها حاشية السندي ، اعتنى بها : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

١٨ ـ سُنن أبي داود ومعها عون المعبود لشمس الحق العظيم أبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٩ ـ سُنن الترمذي ومعها تُحفة الأحوذي للمباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٢٠ ـ سُنن الدارقطني ، علّق عليه وخرّج أحاديثه : مجدي منصور سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٢١ ـ سُنن الدارمي ، علّق عليه : مصطفى ديب البغا ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٢٢ ـ السنن الكبرى للبيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٢٣ ـ سُنن النسائي ومعها حاشية السِّندي ، اعتنى بها : عبد الفتاح أبو غُدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلَب ، ط٤ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٢٤ ـ شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

٢٥ ـ صحيح الأدب المفرد ، الألباني ، مكتبة الدليل ، الجبيل الصناعية بالسعودية ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .
٢٦ ـ صحيح البخاري ومعه فتح الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .
٢٧ ـ صحيح الترغيب والترهيب ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
٢٨ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٢٩ ـ صحيح سُنن ابن ماجة ، الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .
٣٠ ـ صحيح سُنن النسائي ، الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
٣١ ـ صحيح مسلم ومعه شرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٢ ـ الصحيح المسند من فضائل الأعمال ، لأبي عبد الله علي بن محمد المغربي ، راجَعَه : مصطفى العدوي ، دار ابن عفان ، الخُبَر ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .
٣٣ ـ ضعيف سُنن أبي داود ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٣٤ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٣٥ ـ الكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، علي محمد معوض ، وشاركَ في تحقيقه د . عبد الفتاح أبو سنة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٣٦ ـ كتاب السنّة للضحّاك ، ومعه ظلال الجنّة في تخريج السنّة من ١ ـ ٢ للألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٣٧ ـ المسند للإمام أحمد ، تحقيق : أحمد شاكر ، وحمزة أحمد الزين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٣٨ ـ مشكاة المصابيح للتبريزي ، تحقيق : الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط٣ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٣٩ ـ الموطّأ للإمام مالك بن أنس ، صحّحه ورقّمه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ثالثاً : كُتب الفقه

٤٠ ـ إغاثة اللهفان لابن القيّم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٤١ ـ الاستقصاء لأدلّة تحريم الاستمناء ، لأبي الفضل عبد الله بن الصديق الحسني الإدريسي ، مكتبة طبرية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٤٢ ـ التدابير الواقية من الزنا ، فضل إلَهي ، إدارة تُرجمان الإسلام ، باكستان ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٤٣ ـ الحدود والتعزيرات عند ابن القيّم ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٤٤ ـ الحلال والحرام في الإسلام ، د . يوسف القرضاوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١٥ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٤٥ ـ زاد المعاد لابن القيّم ، تحقيق : شُعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢٧ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٤٦ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع ، ابن عثيمين ، مؤسسة آسام ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٤٧ ـ المحلّى لابن حزم ، تحقيق د . عبد القادر سليمان البنداري ، دار الفكر ، بيروت .

٤٨ ـ المغني لابن قُدامة المقدسي ، تحقيق د . عبد الله عبد المحسن التركي ، د . عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٤٩ ـ عودة الحجاب ، محمد إسماعيل المقدم ، دار طيبة ، الرياض ، ط٩ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٥٠ ـ فقه السنّة ، سيد سابق ، دار الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة ، ط١٣ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

٥١ ـ مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة ، عدنان حسن صالح باحارث ، دار المجتمع ، جدة ، ط٥ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٥٢ ـ نيل الأوطار للشوكاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

رابعاً : الرّقائق

٥٣ ـ إحياء علوم الدين ، أبي حامد الغزالي ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٥٤ ـ الأخوّة ، جاسم محمد مهلهل الياسين ، دار الدعوة ، الكويت ، ط٤ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٥٥ ـ أدب الدنيا والدين ، الماوردي ، دار الفكر ، بيروت .

٥٦ ـ الإعلام بأن العزف والغناء حرام ، أبو بكر الجزائري ، مكتبة السنّة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٥٧ ـ الأعمال بالخواتيم ، سعد بن سعيد الحجري ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٥٨ ـ إلى كل أب غيور يؤمن با لله ، عبد ا لله ناصح علوان ، دار السلام ، القاهرة ، ط٧ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٥٩ ـ البحر الرائق في الزهد والرقائق ، د . أحمد فريد ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٦٠ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي ، خرّج أحاديثه : أبو سفيان محمود منصور البسطويس ، دار البخاري ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

٦١ ـ جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة ، د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الكويت ، ط٣ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٦٢ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الفراح ، ابن قيّم الجوزية ، تحقيق : محمد إبراهيم الزغلي ، دار رمادي ، الدمام ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

٦٣ ـ الدّاء والدواء ، ابن القيّم ، تحقيق : علي حسن عبد الحميد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٦٤ ـ ذمّ الهوى ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٥ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابن حبان البستي ، هذّبه وحقّقه : إبراهيم عبد الله الحازمي ، دار الشريف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

٦٦ ـ روضة المحبّين ونُزهة المشتاقين ، خرّج أحاديثه : عبد الرّزاق المهدي ، دار الصميعي ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٦٧ ـ الزهد ، الحسن البصري ، دار الحديث ، القاهرة .

٦٨ ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٦٩ ـ صلاح الأمة في علوّ الهمّة ، د . سيد حسين العفاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

٧٠ ـ صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٧١ ـ عقَبات في طريق الزواج ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، القاهرة ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٧٢ ـ الفوائد ، ابن القيّم ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٧٣ ـ قضايا وأحكام ، عبّود علي درع ، دار هجر ، أبها ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٧٤ ـ مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت .

٧٥ ـ المدهش ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٦ ـ معاملة الإنسان لنفسه ، عبد الرحيم الطحان ، شريط .

٧٧ ـ منهاج تزكية النفس في الإسلام ، د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٧٨ ـ موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبد العزيز المحمد السلمان ، ط٢٦ ، ١٤١٦هـ .

٧٩ ـ وقاية الإنسان من الجن والشيطان ، وحيد عبد السلام بالي ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ط٣ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٨٠ ـ ولا تقربوا الزّنا ، محمد عبد العزيز الهلاوي ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

٨١ ـ اليوم الآخر الجنة والنار ، د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، الأردن ، ط٦ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

خامساً : الفِكْر

٨٢ ـ الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، دار الوفاء ، المنصورة بمصر ، ط٣ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .

٨٣ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د . محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٨٤ ـ أرقام مخيفة ، دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٨٥ ـ الإسلام والحضارة الغربية ، د . محمد محمد حسين ، دار الرسالة ، مكة ، ط٩ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٨٦ ـ التغريب والمأزق الحضاري ، د . سليمان الخطيب ، دار هجر ، أبها ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٨٧ ـ الحجاب ، أبو الأعلى المودودي ، الدار السعودية ، جدة ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٨٨ ـ الحداثة في ميزان الإسلام ، د . عوض محمد القرني ، دار هجر ، أبها ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٨٩ ـ حقيقة اليهود ، فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي .

٩٠ ـ الخطر اليهودي "بروتوكولات حُكَماء صهيون" ، محمد خليفة التونسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٩١ ــ الديمقراطيــة في المــيزان ، د. ســعيد عبــد العظيــم ، دار الفرقــان ، الاسكندرية .

٩٢ ـ الصحافة وأقلام مسمومة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط١ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٩٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، مكتبـة السـنّة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٩٤ ـ مذاهب فكرية معاصرة ، محمـد قطـب ، دار الشـروق ، بـيروت ، ط٦ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٩٥ ـ المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منهـا ، د . عبـد الرحمن عمـيرة ، دار اللواء ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

٩٦ ــ معركـة الإسـلام والرأسماليــة ، ســيد قطــب ، ط١٢ ، دار الشــروق ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

٩٧ ـ الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالميـة للشـباب الإسلامي ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٩٨ ـ واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

سادساً : متفرّقـات

٩٩ ـ ديوان أبي العتاهية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٠ ـ ديوان الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

١٠١ ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

١٠٢ ـ مجلّة المجتمع ، الأعداد (١٢٧٨ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٦) .

١٠٣ ـ مختارات شعرية ، بدر عبد الله الناصر ، دار الصميعي ، الرياض ، ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

١٠٤ ـ الموضوعة مؤلّفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة ، دار الجيل ، بيروت .

فهرس المحتويات

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

(تابع الفهرس)

